تاريخ الفلاسفة

ترجمه

من اللغة الفرنساوية الى اللغة العربية

الكاتب اللوذعي • اللبيب الاريب الالمعي

السيد عبد الله افندي نجل حسين افندي المصري

الطبعة الثالثة

نقلت من النسخة المطبوعة بمطبعة الجوائب بالاستانه سنة ١٣٠٢

طبع بمطبعة هنديه

مصر — القاهرة

سنة ١٣٢٨ هـ ١٩١٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نوع اصناف الخلائق * وجعلهم مختلفين في العوائد والخلائق * وجعل فلاسفة اليونان اشهر الفلاسفه * وحكماءهم مشاهير الحكماء بلا سفه * أو ليس ان منهم من وضع الطب والميقات * والرياضيات والطبيعيات * فهل ينكر احد معارف افلاطون وسقراط * ولطائف مهارة ارسطاطاليس وبقراط * والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي جاء دينه بالعمل بمقتضى الاخبار الجميله * والآثار الجليله * وحفظت شريعته من احكام الاوائل كل فضيله * وتنزهت عن كل رذيله * وعلى آله الذين ازالوا الشبه والضلالات * وايدوا دينه بالآيات الباهرات * ﴿ اما بعد ﴾ فيقول المتوسل بسيد اهل الخافقين * عبد الله بن حسين * لما تعلقت همة وزير مصر الاعظم * وعزيزها المفخم * صاحب العز الاكبر * الذي يعجز عنه امثال كسرى وقيصر * باحياء ممالكه الاسلاميه * واخراجها من حيز الجهالة الى حيز العلميه * بذل في ذلك الجهد التام * وارسل الى الديار الافرنجية عدة شاع امرهم في الانام * فحصلوا قدر جسيما من اللغات والفنون * وجلب لهم كتب العلوم * وصار يترجمها المترجمون * وكنت من جملة من تعلم اللغة الفرنساوية على قدر الحال فاردت ان اصرف همتي في كسب رضاء الخديوي الاكرم * الذي احسن اليّ بحسن التربية وانعم *

فشرعت في ترجمة تاريخ فلاسفة اليونان * حيث انه عند الافرنج عظيم الشان * وكنت وقت ترجمته بمدرسة الالسنة بالازبكية * فاستعنت في مشكلات الكتاب وتحرير ترجمته بمدير تلك المدرسة البهية * كما ان المدرسين بها اعتنوا بتصحيحه * واجتهدوا في تهذيبه وتنقيحه * وقد اهديت هذا الكتاب الفائق * ذا المنهل الرائق * المشتمل على الدرر النفائس * لحضرة البيك ناظر عموم المدارس * حفظه مولاه * ولكل خير اولاه * وهذا اوان الشروع في التعريب * فاقول مستمدا من القريب المجيب *

﴿ هذا مختصر ترجمة مشاهير قدماء الفلاسفة ﴾

﴿ طاليس الفيلسوف ﴾

طاليس المليطى ولد في السنة الاولى من الاولمبياد الخامس والثلاثين اي قبل الميلاد بنحو ستمائة واربعين سنة لان الاولمبياد دور مدته اربع سنوات وتوفى في الاولمبياد الثامن والخمسون وعمره اثنتان وتسعون سنة وطاليس هذا من ذرية قورموس بن اوجنور من اهالي بلاد الصور من اعمال الشام وكان سبب انتقال اهله لمليطة التي ولد فيها طاليس جور ظلمة ملوك بلادهم حتى على صلحاء الناس وحتى على اهل ذلك الفيلسوف فلما اهانوهم خرجوا من بلادهم الشامية واقاموا بمملكة مليطة اليونانية وهذه المدينة من مدن يونيا التى ولد فيها طاليس في السنة الاولى من الاولمبياد السابق وكان اول من استحق ان يلقب باسم الحكيم بل كان اعظم مؤلفى الفلسفة المسماة يونانية نسبة للمملكة التي بها ميلاده ومكث مدة من الزمان فى منصب الاقضية والاحكام وبعد ان قضى ذلك على وجه حسن مناسب لاصول المصلحة حملته الرغبة فى البحث عن اسرار الكائنات على ترك خدمة المصلحة العامة المتعلقة بالمملكة فتوجه الى بر مصر الذي كان مشهورا بالعلوم حينئذ ومكث مدة من السنين يمارس علماء البلاد وهم القسيسون فتعلم اصول ديانتهم وكان معتنيا بسائر العلوم مجتهدا فيها لا سيما في علم الهندسة وعلم الاسترونومية يعني علم الهيئة وكان لا يكتفى بمعلم واحد بل كان يتحيل على جميع الحكماء المصريين في التلقى عنهم مدة اقامته عندهم وكان لايبني المعارف في الفلسفة الا على التجربة مع وفور العقل والتدبير ومن ثم كان قليل التكلم كثير التفكر وكان لايعتني بمصلحة نفسه

بل لايعتنى الا بالامور التي تتعلق بالبلاد عموما فهى عنده مقدمة وقال بعض المؤلفين ان بعض الحكماء كان يرى ان اخذ الثار احب اليه من جميع لذات الدنيا ولكن هذا الرأي بعيد جدا من مذهب اكرسيب ومن لبن جانب طاليس ولما رجع طاليس الى بلده المسماة مليطة اعتكف في خلوة عظيمة ولم يشغل فكره الا بالامور العلوية والسماوية يعني علم النجوم والهيئة وما اشبه ذلك وحمله حب الخلوة والحكمة على اختيار الوحدة وترك الزواج وكان عمره فى ذلك الوقت ثلاثاوعشرين سنة فاشارت عليه امه اقلو بولين بالتزوج ومخالطة الناس فقال لها ان الانسان في صغر سنه لا يليق به الزواج وفي كبر سنه يفوت عنده اوان الزواج وبين هذين الاجلين لا ينبغي له ان يختار زوجة وقال بعض الناس انه تزوج في آخر عمره بامرأة مصرية صاحبة معارف مؤلفة لجملة من الكتب العظام واتفق لبعض غرباء مملكة مليطة انهم عدوا الى الجزيرة اليونانية المسماة « قو » وتسمى الآن جزيرة استكوى واشتروا من بعض الصيادين النصيب الذى يخرج في الشبكة بان يقول المشتري للصياد كل ما خرج في هذه الرمية يكون لي بكذا فرمى الصياد الشبكة فخرج فيها كرسي من الذهب الاكبير له ثلاث قوائم فقيل في شأنه ان هيلانة ام اليونان كانت اتت من مدينة « ترواه » مرة وألقت ذلك الكرسي في هذا المحل باشارة بعض الكهنة عليها فحصلت مشاجرة بين الذى معه الكرسي وبين الغرباء وبقية الصيادين ودخل في تلك المشاجرة اهل المدائن اليونانية واشتد الشر بين جميع اهل المدائن حتى كاد ان يقع بينهم حرب شديد ثم اتفق جميعهم على تحكيم الوحي اي الكاهن فارسلوا الكاهن دلفيس وحكموه في ذلك فحكم بان الكرسي يعطى للحكيم الاول يعني لاعظم الحكماء فعند ذلك ارسلوه الى طاليس فلم يرض به وارسله الى بياس وبياس ارسله الى واحد آخر تواضعا منه وهذا الآخر ارسله الى واحد فارسله الى سولون

فقال سولون لا يوجد احد اعظم من صاحب الكهانة فارسله الى دلفيس فوهبه دلفيس لصنمة الشمس واعترض بعض الناس من مملكة مليطة على طاليس وقال ان علومه لا تنفع لكونها لم تخرجه عن حيز الفقر والمسكنة فقال طاليس ان اهل العقول لا يحبون جمع المال الكثير بل يحتقرون وصف الغني وانما يحبون اكتساب العلوم والمعارف التي لا تتولد منها حادثة مضرة ولم يزل مفكرا في ما قيل له حتى علم بشدة فطنته في الاسترونومية اي علم الهيئة بالقحط فاخبر ان السنة القابلة تكون مجدبة جدا فاشترى جميع ثمار الزيتون التي كانت موجودة حول مملكة مليطة قبل اوان ظهورها فحملت الاشجار بثمار كثيرة جدا وحصل منها ربح عظيم ولكن لما كان طاليس منزها عن الطمع بالكلية قسم جميع ما ربحه في تلك السنة على جميع تجار مليطة وكان طاليس يحمد الله على ثلاثة اشياء حيث جعله من العقلاء دون البهائم ومن الرجال دون النساء ومن الروم دون البربر اي الاعجام

وكان يزعم ان العالم لا اول له ولا آخر له وانه يرى في جميع ازمنته على حاله التي هو عليها الآن وكان اول من قال من الروم ان الارواح غير فانية بل هي ازلية ابدية ودخل عليه رجل من اهل مليطة في بعض الايام وسأله هل يمكن ان نخفي اسرارنا على الاله فقال له طاليس لا تظن هذا ابدا لان جميع الاسرار الخفية لا تخفى على الاله العليم وكان يقول ان اكبر الاشياء في الدنيا المكان لانه مشتمل على جميع الموجودات وان اقوى البواعث الحاجة لان الانسان يقطع دونها كل مشقة حتى يدرك غرضه واسرع الاشياء العقل لانه في طرفة عين يمكنه ان يطوف بالكون كله واحكم ما يكون الزمن لانه يظهر جميع الامور الخفية ولكن اعظم من هذا كله وألطف منه عمل الانسان بما يليق بعقله وكان كثيرا ما يقول ان كثرة الكلام ليست من شأن العقلاء وانه يلزم تذكر الاحباب في حال حضورهم

وغيابهم على حد سواء وانه يجب على الانسان بر والديه واعانته لهما لاجل ان يجازى بذلك في كبره فتشد ذريته ظهره عند ضعف قواه الذي هو اصعب الاشياء وكان يقول ان الذي يسلينا عند حلول المصيبة من احد علمنا بان الذي اذا نابها هو اشقى منا واسوأ حالا منا وكان يقول ان الامر الذي تلوم اخاك على فعله لا ينبغي لك ان تفعله بنفسك وان السعادة الحقيقية هي تمتع الانسان بالعافية وان يكون عنده رزق الكفاف وان لا يضيع عمره في الجهل والجبن وكان يقول انه لا شيء اصعب على الانسان من معرفة حقيقة نفسه فهو الذي اخترع هذه الحكمة العظيمة الآتية وكتبها على رق من الذهب وعلقه في هيكل الشمس وهي هل انت ايها العالم تعرف حقيقة نفسك وكان يزعم ان الموت والحياة مستويان دائما فسئل لاي سبب لم تقتل نفسك فاجاب بقوله حيث كان الموت والحياة مستويين فما يحملني على ايثار الموت على الحياة وكان يتسلى بعض الاحيان بنظم الاشعار ويقال انه الذي اخترع نظم الاشعار الهكسامترية يعني المسدسة واتفق انه جاءه رجل من شرار الناس وقال له هل يصدق الانسان في ما قاله بحلفه عليه فاجابه ارتجالا من غير روية وقال له ذنب الحلف اخف من الزناء بيسير وكان له تلميذ صديق اسمه مندريتي البريني فجاءه يوما في مدينة مليطة ليزوره وقال له ما تريد ايها الاستاذ مني من الجزاء في نظير ما صنعته من المعروف العام حيث مهدت اصولا وحكما منها تعلمت وبها عرفت واود ان اكافئك عليها شكرا لمعروفك ومجازاة لفضلك فقال له طاليس لا اود في نظير ذلك شيئا اللهم الا انك حين يقتضي الحال ان تعلم هذه الاصول لتلامذتك فانسبها اليّ ولا تكتم عزوها لي بل اخبر من يتلقاها عنك اني مخترعها ومبتدع المذهب الذي يحتوي عليها وكان اول اليونانيين الذين عرفوا علم الطبيعة وعلم الهيئة وكان يزعم ان الماء هو الاصل الاول لكل شيء ويقول ان الارض ما هي الا

ماء وجد والهواء هو ماء ثقيل الزنة وان جميع الاشياء تتغير دائماً من حالة الى حالة الى ان يؤول امرها الى رجوعها ماء وان سائر ما في الكون لا يخلو عن احساس ما وانه مملوء بما لا يدركه الطرف من المخلوقات وكلها متحركة ذات ارواح وان الارض في وسط العالم تتحرك على مركزها الاصلي الذي هو عين مركز العالم لانها من حيث كونها موضوعة على مياه البحار ثبت لها هذا الاضطراب الذي كان سبباً في تحركها وكان يقول ان كلا من الآثار العجيبة الناشئة عن الاشياء وكذا الائتلافات بين الاشياء المتجاذبة كالمغناطيس والكهرباء يدل على انه لا شيء في الدنيا الا وله روح احساس وكان يقول ان سبب زيادة النيل كثرة هبوب الرياح الدورية اي التي تهب كل سنة في اوقات معلومة من الشمال الى الجنوب فتحجز المياه التي تجري من الجنوب الى الشمال وتجريها الى ان تعم الارض وهو اول من اخبر عن كسوفات الشمس والقمر قبل وقوعها وهو الذي اجتهد الغاية في رصد حركات هذين الكوكبين على اختلافهما وكان يقول ان الشمس جسم مضيء بنفسه وان جرمها قدر جرم القمر مائة وعشرين مرة والقمر جسم غليظ لا يمكنه ان يعكس نور الشمس الا بجهة واحدة من سطحه وبهذا يقام البرهان على اختلاف الصور التي يرى بها القمر اي منازله الاربعة وهي تربيعه في اول الشهر وقبيل آخره وانتصافه ومحاقه وكان اول من فحص على اصول الهواء والزوابع والصواعق واسباب البرق والرعد ولم يكن احد قبله يفهم طريقة مقياس ارتفاع القلاع والاهرام ونحوها من ظلها الجنوبي حين تكون الشمس في زمن الاعتدال وهو الذي قال ان السنة ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً ورتب قواعد الفصول وحدد كل شهر ثلاثين يوماً وفي آخر كل اثني عشر شهراً اضاف خمسة ايام لاجل تمام السنة وهذه القاعدة تعلمها من المصريين وهو الذي رصد الدب الاصغر اي بنات نعش الصغرى الذي

به تهتدي الملاحون من اهل مملكة الصوريين ‌ وبينما هو ذات يوم خارج من محله بقصد رصد الكواكب واذا هو قد وقع في حفرة عميقة فمضت اليه عجوزٌ من خدمة بيته واخرجته ثم قالت له أتزعم ياطاليس انك تعلم جميع ما يقع في السماء مع انك لم تعلم ما تحت رجليك وقد قضى طاليس عمره في عز وجاه وكان يستشار دائماً في مهمات الامور حتى ان اكريبوس لما عزم على حرب بلاد العجم وكان قد نصب رئيسا على جيش عظيم وسار به الى ان وصل الى نهر هاليس وهو نهر عظيم عميق لا قناطر له ولا سفن عنده فتحير في تعدية عساكره واذا بطاليس اقبل عليهم في ذلك الوقت والتزم له ان يعدي له جميع الجيش بدون قناطر ولا سفن فابتدأ اولا بعمل صورة خندق كبير على شكل هلال مبتدئا باحد طرفي الجيش منتهيا بطرفه الآخر فتشعب بهذه الطريقة ذلك النهر الى ذراعين اي فرعين حتى صيره قابلا للخوض فيه من الجهتين ثم عدى جميع الجيش بدون تعب وكان لطاليس مزيد اعتناء في هذه الواقعة بكون المليطيين لا يتعاهدون مع اكريبوس الذي كان يسعى في المعاهدة معهم دائما وهذا الاحتراس والتبصر كان سببا في خلاص وطنه ونجاته لان الملك قيروس الذي كان انتصر على اللديين اغار على جميع المدائن التي تعاهدت معهم واحترم من كان من اهل مدينة مليطة فانهم لم يخالفوه ويتعاهدوا مع غيره وكان طاليس في ذلك الوقت هرما جدا فلاجل حظ نفسه امرهم ذات يوم ان يضعوه على تل مرتفع من التراب لاجل ان يروح نفسه بنظرة الى القتال فظمئ ظمأً شديدا من شدة الحر فهلك بغتة في ذلك المحل الذي كان ينظر القتال به وكان ذلك في الاولمبياد الثامن والخمسين بعد ان عاش اثنتين وتسعين سنة وعمل له اهل مدينة مليطة جنازة عظيمة

﴿ تاريخ سولون الفيلسوف ﴾

سولون ولد في السنه الثالثة من الاولمبياد الخامس والثلاثين اي نحو ستمائة واربعين قبل الميلاد وصار يقارش بماله في مدينة اثينا في السنة الثالثة من الاولمبياد الخامس والاربعين وتوفي في ابتداء الاولمبياد الخامس والخمسين وكان عمره ثمانية وسبعين سنة وكان اصل سولون من مدينة اثينا وولد في مملكة سلامين في الاولمبياد الخامس والثلاثين وكان من نسل ملك يوناني يسمى قدروس وكانت امه بنت عم ام بيزاسترات فصرف بعض زمن صباه في السفر الى بر مصر الذي كان ميدانا لاهل العلوم في ذلك الوقت فمن بعد تعلمه قوانين الحكم وجميع مايلزم للشرائع وعوائد البلاد رجع الى مدينة اثينا ولما صار بذلك من ارباب العز والجاه بلغ اعظم المناصب وكان سولون ذا عقل عظيم وقوة عظيمة مع صدق وثبت وكان شاعرا ماهرا وخطيبا فقيها بالقوانين شجاعا في الحرب ومضى طول عمره شديد الغيرة على حماية حرية وطنه وعدوا كبيرا للظلمة وقليل الاعتناء في علو مراتب اهله وعياله ولم يكن يعتني بالبحث في اسباب الطبيعة وكان مثل طاليس لا يلازم شيخا بعينه بل كان يصرف همته بالكلية في علم الاخلاق والسياسة وله هذه الحكمة العظيمة وهي ﴿ خير الامور اوسطها ﴾ ولما سمع بشهرة طاليس سافر من بلده الى مدينة مليطة فلما وصلها واجتمع بهذا الفيلسوف تحادث معه قليلا ثم قال له ياطاليس اني تعجبت من عدم زواجك فهلا تزوجت حتى يكون لك ذرية تربيهم وتعلمهم فلم يجبه حالا عن سؤاله ثم بعد ايام احضر له رجلا واوهمه انه غريب جاء يزوره فقال طاليس هذا الرجل يزعم انه قدم عن قرب من مدينة اثينا فقال سولون لذلك الغريب ماعندك من اخبارها فقال الغريب ما عندي خبر وانما رأيت فيها شابا ميتا دفن يوم

خروجي منها وشهد جميع اهل المدينة جنازته ودفنه لانه ذو نسب عظيم وابن رجل مكرم عند جميع الناس وان اباه غائب عن مدينة أثينا من مدة قريبه واحبابه بتلك المدينة كتموا هذا الخبر عن ابيه خوفا عليه ان يموت من الغم والحزن فصاح سولون اني لاب مسكين قليل الحظ ثم سأل الغريب عن اسم اب الشاب فقال ان اسمه غاب عن حفظي ولكن سمعت جميع الناس يقولون انه رجل كثير الحكمة فزاد على سولون القلق والاضطراب في هذا الوقت وحصل له انزعاج عظيم فقال له سولون هل سمعت ان اب الشاب يسمى سولون فاجابه الغريب بالبديهة وقال نعم هو سولون فعند ذلك غاب سولون عن الوجود وحصلت له حرقة شديدة ومزق ثيابه وازال شعره وضرب رأسه ولم يدع شيئا من الامور المحركة للغم والحزن من اشعار وغيرها الا استعمله حتى صار كئيبا فقال له طاليس مالي اراك حيران في امرك تبكي كثيرا اتبكي على الخسارة التي لا يمكن جبرها ولا يدموع الدنيا فقال سولون هذا هو الذي ابكاني لان هذا امر لا دواء له فعند ذلك اخذ طاليس في الضحك على سولون من هذه الامور المختلفة التي حصلت منه وقال له يا اخي هذا هو الذي منعني من الزواج لاني اعرف ان اثبت الرجال قلبا لا يمكنه تحمل مشقة العشق وتربية الاولاد ثم قال له لا تغتم لان الذي قيل لك امر مخترع ومزاح ابتكرته لك لمجرد الهزل وقيل انه من مدة زمان طويل حصلت حروب كثيرة بين الاثينيين والمغاريين بسبب جزيرة سلامينا وانتهى الامر بعد حروب شديدة من الجانبين الى ان انهزم الاثينيون وحصل لهم مشقة شديدة بسبب كثرة سفك الدماء حتى انهم اتفقوا على ان كل من تكلم في شأن الحرب مع المغاريين لاجل جزيرة سلامينا وطلب تجدد الحرب معهم يكون عقابه الموت ما دام المغاريون مستولين عليها ثم ان سولون رأى انه اذا تكلم في ذلك اضر نفسه واذا سكت يعود الضرر على

وطنه واهل مملكته وهو اشد فاخذ في اسباب الجنون عمدا خديعة لهم ليقول كل ما يخطر بباله فشاع في المدينة انه صار مجنونا وبعد ذلك انشأ بعض ابيات من الاشعار المحزنة وحفظها ثم خرج من محله بثياب من صوف رثة باليه وربط رقبته بحبل وجعل على رأسه طيلسانا قديما فاجتمع عليه اهل المدينة فطلع لهم فوق الحجر الذي كانوا يعتادون المناداة عليه فانشد تلك الاشعار على خلاف عادته وقال ياليتني لم اكن من اهل هذه البلدة واحسرتي اعنى لو كنت مولودا في بلاد الاعجام او البرابرة او في اي محل يكون اشد خشونة في العيش وقسوة في القلب وجهلا بالعلوم من هذه البلدة فان ذلك اهون عليَّ من ان يراني الناس ويشيروا اليَّ ويقولوا ان هذا الرجل من اهل مدينة أثينا الذين هربوا من حرب سلامينا فاسرعوا في اخذ الثار وامحوا عنا هذا العار الذي لحقنا وتنبهوا حتى نأخذ هذه المدينة التي اخذها اعداؤنا ظلما فأثر قوله ذلك في عقول اهل مدينة أثينا وابطلوا اتفاقهم الذي كانوا اتفقوا عليه اولا واخذوا سلاحهم وتوجهوا الى حرب المغاريين

واتفقوا على جعل سولون رئيسا على العساكر وحاكما عليهم فنزل هو وجيشه في جملة من مراكب الصيادين ومعهم مركب كبير له ستة وثلاثون مقذافا فرسى بالمراكب بالقرب من سلامينا فلما علم المغاريون الذين كانوا بالمدينة بذلك حملوا اسلحتهم من غير ترتيب وارسلوا سفينة كبيرة من سفنهم بمن فيها لينظروا تلك المراكب التي رست بالقرب من مدينتهم فاخذ سولون تلك السفينة واسر جميع من كان فيها من المغاريين ونقلهم منها عنده وشحن تلك السفينة باشجع من معه من الرجال من اهل مدينته وامرهم بان يتوجهوا جهة سلامينا ويختفوا جدا وطلع هو ومن بقي معه من جماعته الى البر من جهة اخرى بقصد ملاقاة عسكر المغاريين الذين خرجوا من سلامينا مستحضرين للحرب فلما اشتغلوا بتعديل الصفوف وما يتعلق بترتيب الجيش

للحرب اسرع الذين ارسلهم سولون في السفينة الى جهة سلامينا ودخلوا المدينة وانتهبوا جميع ما كان فيها ثم لما اخذ سولون المدينة وهزم المغاريين ارسل جميع الاسراء الذين اخذهم من المغاريين الى مدينة أثينا وانشأ هيكلا عظيما لشرف المريخ وهو كوكب القاهر المسمى عندهم اله الحرب في المحل الذي رجع فيه منصورا ثم بعد مدة من الزمن تحركت جماعة من المغاريين وصمموا على اخذ سلامينا فلم يأتوا بطائل ثم انحط الامر بينهم وبين سولون على تحكيم اهالى لقدمونيا في تلك القضية والرجوع الى رأيهم فيها

ثم ان سولون قال بحضرة المحكمين من اهل اسبرتا وهي لقدمونيا ان فيلوس واوريفاس ولدي جاكس ملك مدينة سلامينا كانا حضرا سابقا بمدينة أثينا وسكنا بها واعطيا هذه المدينة للأثينيين بشرط ان يصيروا اهلها أثينيين وامر سولون اهل مدينة سلامينا بانهم يفتحون القبور ليروا ان رؤوس امواتهم جهة مدينة أثينا لا الى الجهة التي امرهم المغاريون الآن بالوضع اليها واطلعهم على انهم كانوا يكتبون على تابوت كل ميت اسم عشيرته وهذه العادة خاصة باهل أثينا ولكن المغاريون لم يحملهم ما قاله على الصلح بل صمموا على الحرب وذلك لما ان المخاصمات التي مكثت زمانا طويلا متحكمة بين ذرية قيلون وذرية ميغاكلس اخذت في التمادى حتى انتهى امرهم ان عزموا على هلاك المدينة بالكلية وذلك لان قيلون كان اراد ان يكون سلطانا بمدينة أثينا فظهر ما نواه فقتل مع عدة من المتعصبين معه المهيجين للفتنة ومن فر منهم ونجا بنفسه احتمى في هيكل منيرف اي هيكل الحكمة وكان حاكمها في ذلك الوقت ميكالس فتكلم بحكم عظيمة وامرهم بالوقوف بين يدي اهل الشرائع فامروهم ان يمسكوا الشبكة المربوطة في نهاية صورة الصنم لاجل ان يحتموا فيه فعند نزولهم من الكنيسة انقطعت الشبكة المذكورة فقال ميكالس هـذا دليل واضح على ان الصنم ليس راضيا عنهم وامر اهل المدينة

برجمهم ومن فر منهم واحتمى في محراب من المحاريب امر بذبحه ولم يحترم هذه المحاريب فذبحوا كل من امر بذبحه ولم ينج منهم الا القليل بسبب شفاعة نساء القضاة تخلصوا من ذلك فمثل هذه الافعال الشنيعة صيرت القضاة وذراريهم مبغوضين عند الناس فصاروا من ذلك الوقت غير مألوفين لاحد من الاهالي فبعد مدة من السنين كثرت ذرية قيلون وصارت ذات شوكة وكان سولون في ذلك الوقت قاضيا بالمدينة تخشى عليها من التلف بسبب ذلك فشرع في امر يكون فيه رضاء الجانبين وهو ان يختار من الطرفين جماعة يكونون محكمين لاجل انهاء هذا النزاع الواقع فحكموا مراعاة لجانب القولينيين بطرد جميع ذرية مغاكلس من المدينة حتى انهم نبشوا عظام امواتهم والقوها خارج مدينة اثينا فعند ذلك انتهز المغاربون هذه الفرصة الملائمة لهم وتوجهوا باسلحتهم حين كانت نار الفتنة مضطرمة بين الطرفين واخذوا جزيرة سلامينا فما خمدت نار هذه الفتنة الاولى حتى جاءت عقبها فتنة اخرى اشد منها واكثر ضررا خصوصا على الفقراء فقد تراكمت عليهم الديون التي صيرتهم تحت اسر اصحاب الديون كالعبيد وذلك ان الفقير اذا كان عليه دين مؤجل بيوم معلوم اذا مضى ذلك اليوم ولم يدفع ما عليه من الدين يأخذه صاحب الدين ويجعله عبدا له اما ان يستخدمه او يبيعه في مقابلة دينه فنشأ من ذلك ان جملة من اصاغر الرعايا الفقراء اجتمعوا واتفقوا على ان يجعلوا لهم رئيسا منهم لاجل ان يمنع عنهم ذل الاسترقاق بالديون فلا يكونون عبيدا لاحد من ارباب الاموال ولاجل ان يلزم القضاة بقسمة جميع الاموال على جميع الناس بالمساواة على حسب الرؤوس مثل ما صنع ليكرغه في مملكة اسبرنا وتولد من ذلك فتنة عظيمة اضطرمت نارها ولم يقدر احد على اطفائها فاتفق الفقراء والاغنياء من الجانبين وارتضوا على ان سولون هو الذي يسكن هذه الفتنة ويحكم بين الفريقين لاجل تسكين هذه

الفتنة بطريقة سهلة فامتنع من ذلك وتعلل بامور كثيرة ولم يقبل هذا المنصب المتعب ثم في آخر امره قبله ولم يكن له رغبة الا في نفع وطنه كما نواه وسبب اختيارهم له من الجانبين انه كان سابقا يقول المعادلة تمنع المجادلة فسمعه جميع الناس من الفقراء والاغنياء فكل فرقة فسرت هذا القول بما يناسب حالها فالفقراء يقولون ان سولون مراده ان تكون جميع الناس متساوية وتقسم الاموال على حسب الرؤوس والاغنياء يقولون مراده ان جميع الاشياء من مال وغيره تكون بين الناس على قدر مراتبهم في الشرف وهذه المقالة هي التي جعلت سولون محبوبا عند الفريقين وكانت باعثة لهم على توليته عليهم واسرع كل فريق منهم في اختياره قاضيا لظنه انه يحكم له بما فهمه من كلامه حتى ان بعض الناس الذين لا دخل لهم في هذه الفتنة ولا يخشون على ضياع شيء لهم دخلوا في ذلك وقالوا يلزم ان يكون الرئيس المحكم على الناس من احسن اهل الارض واحكمهم وان يتولى سولون ملكا فتباعد سولون عن ذلك بالكلية ولم يرض به اصلا وقال ان صاحب هذا المنصب يسمى باسم طاغيه اي ظالم فلامه خيار احبابه في ذلك وقالوا كانك لا خبرة لك بالامور بمجرد هذه التسمية يمنعك من هذا المنصب الذي اكتسبته بطريق حلال اما سمعت بان طيموداس ولى نفسه سلطانا بجزيرة اوبا وهي جزيرة اغربوز سابقا وبيتاخس الذي هو حكيم فيلسوف هو الآن سلطان بمدينة ميطيلينا فامتنع سولون ولم يزده هذا القول الا رغبة عنه وبعدا وقال ان الامارة الشرعية والولاية الملكية من اعظم المناصب العلية تحتف بها مصائب من كل جهة ولا يمكن الخروج منها بعد الدخول فيها ولم يكن له اقدام ولا رغبة على هذا الامر الصعب الذي عرض عليه حتى ان جميع اصحابه قالوا انه كالمجنون واراد سولون ان يصرف جهده في تسكين هذه الفتنة التي وقعت بمدينة اثينا فامر بان جميع الديون التي تقدم ذكرها توضع

عن المديونين وتبرأ ذمتهم منها بحيث انه لا يمكن احد من ارباب الديون ان يطالب واحدا من المديونين بدين وكان له سبع قطع من معاملة ذلك الوقت المسماة طالان ورثها من ابيه فتجاوز عنها وتركها لاجل ان يقتدي بها الناس في التجاوز عن الديون وامر ايضا ان من حدث عليه دين من الآن فصاعدا لا يسوغ لرب الدين ان يطلبه منه ولا يتعلق الدين بذات المدين كما كانت عادتهم قبل ذلك وانما صنع ذلك لاجل دفع مضرة الفتن التي كانت بين الفقراء والاغنياء وفي اول الامر لم يرض احد من الفريقين بذلك وحصل لكل منهما غم فاغتم الاغنياء على خسارة اموالهم وكان الفقراء اشد غما حيث لم يتساووا في القسمة مع الاغنياء ولكن آل الامر الى ان رضي الفريقان بما صنعه سولون ولما رأوا حسن تدبيره النافع اختاروه ثانيا ان يسعى في تسكين الفتن التي كانت سببا في قسمة مدينة أثينا الى ثلاث فرق مختلفة وسلموا له ايضا ان يصنع الشرائع والقوانين بما يليق بعقله ويحكم بما يختار فاهل الجبال ارادوا ان الرعية هي التي تتكلم في سائر المصالح لان اهل المدينة ليسوا مثلهم في العدد واهل السهول قالوا ينبغي ان توكل المصالح الى اهل الاعتبار والبحريون قالوا انه ينبغي الحكم من الاهالي واهل الاعتبار ولما اختاروا ان يكون حاكما يحكم بما يريد ابتدأ بابطال جميع القوانين التي كان عملها ادراكون الذي كان قبله لانها كانت مبنية على التشديد جدا حتى كان اخف الذنوب فيها كالبطالة وسرقة شيء حقير كالفاكهة والحشيش يجازى عليه بالقتل كجزاء الذنوب العظيمة التي هي مثل الكفر والقتل وهذا معنى قولهم ان الشرائع مكتوبة بالدم وقد سئل ادراكون ذات يوم لاي سبب تأمر في القصاص بالموت في سائر الذنوب المختلفة فقال اقل ذنب عندي يستحق هذا القصاص ولا اعرف اشد منه حتى اجعله عقابا للكبائر فلذلك سويت بين الجميع وسولون قسم الاهالي ثلاث طوائف مختلفة بحسب ما

يملكه كل واحد من الاموال ورخص في الدخول في المصالح العامة الميرية لجميع الاهالي الا الصنائعية فانهم لا يعيشون الا من اشغالهم فكانوا مستثنين من الوظائف فليس لهم هذه المزية التي اختص بها غيرهم وامر بان كبار القضاة والحكام لا ينتخبون الا من الرتبة الاولى وامر بان الذي يدخل في فتنة من الفتن بعد ذلك يرسم له علامة في جسده لتكون علامة يفتضح بها وامر بان من تزوج بامرأة غنية فوجدته عنينا فلها ان تمكن من نفسها من تختاره من اقارب زوجها وان النساء لا يدخلن بجهاز عند الازواج وقت التزوج الا بثلاثة اثواب وبعض امتعة تكون بثمن قليل وان من شاهدوه يزني بمتزوجة وقتلوه فلا قصاص على قاتله حيث كان قتله حال الاطلاع عليه وقلل مصاريف النساء حيث ابطل بعض عوائد لهن كان يلزمها مصاريف كثيرة ونهى ان يتكلم الانسان بسوء في حق الاموات واذن للناس الذين ليس لهم ذرية ان يجعلوا ميراثهم لمن يختارونه بان يوصي الرجل في اختياره بميراثه لمن اراد وامر بان الذي يسرف في امواله يعلم بعلامة الفضيحة ويفقد جميع ايراداته المرتبة له وكذلك الذي يقصر في الانفاق على ابيه وامه عند كبرهما وعجزهما ولكن قال ان الابن لا يلزمه الانفاق على ابيه الا اذا كان علمه صنعة في صغره وامر بان الغريب لا يحسب من اهل مدينة أثينا الا ان كان مطرودا من بلده طردا مؤبدا ويأتي بجميع اهله لاجل ان يتخذ له فيها حرفة من الحرف ونقص من الانعامات التي كانت تعطى للمصارعين او البهلوانية وامر بان بيت المال يربي جميع الاولاد الذين قتل آباؤهم في حرب الاعداء لاجل حماية الوطن وامر بان اوصياء الايتام لا يمكنون من السكنى مع ام الايتام الموصي عليهم وان الوارث القريب لا يمكن ان يجعل وصيا على الايتام وان السرقة مهما كانت عقابها الموت ومن فقأ عينا لشخص يعاقب بفقأ عينيه وجميع هذه القوانين التي احدثها سولون

كتبت على الالواح وارباب المشورة الذين ولاهم تنفيذ هذه القوانين والعمل بها عاهدهم فحلفوا على رؤوس الاشهاد انهم يلتزمون حفظها والعمل بها وحلفوا ان كل من حاد منهم عن العمل بها يلزمه ان يصنع صورة من الذهب وزنها ثقل نفسه وينذرها الى هيكل الشمس وكان هناك قضاة لتفسير الشرائع لاجل اجراء القانون بين الرعايا عند وقوع الاختلاف على هذا المنوال

وبينما هو ذات يوم يؤلف في شرائعه واذا بانكرسيس الحكيم اتاه وسخر من قوله وقال له ما هذا أتزعم انك بهذه النقوش تمنع ظلم الناس واهويتهم وقال ما مثل هذه الاوامر الا مثل بيت العنكبوت الذي لا يصيد شيئاً غير الذباب فقال سولون ان الناس يحفظون الاشياء على حسب اتفاق بعضهم مع بعض وقال انا اجرى شريعتي على وجه بحيث ان جميع اهل بلادى يفهمون ان الانفع لهم امتثالها لا مخالفتها وسئل لاي سبب لم يخصص جزاء لمن يقتل اباه وامه فقال لاني لا اظن انه يوجد احد يفعل هذا الفعل القبيح ابدا

وكان دائما يقول لاصحابه اذا بلغ عمر الرجل سبعين سنة فلا ينبغي له ان يخاف من الموت ولا يشتكي من مكاره الحياة وان جميع جلساء الملك يشبهون الترس الذي يستعمل للحساب في اللعب فهو يلعب بهم على مايقتضيه هوى نفسه مثل آلات الشطرنج وان الذي يتقرب من الملك ليس لكونه محبوبا بل لكونه نافعا له وانه ليس لنا هاد يهدينا اعظم من العقل فلا تقول شيئاً الا بعد استشارته وانه ينبغي الثقة بصلاح الانسان اكثر من الثقة بيمينه وينبغي للانسان قبل ان يصاحب انسانا ان يمارسه ويتفكر في شأنه لانه من الخطر انقطاع المحبة بعد انعقادها وان اعظم الاسباب في دفع اساءة المسيء عنك ان تنسي اساءته لك وانه ينبغي للانسان ان لا يتولى حاكما حتى يتعلم الطاعة لغيره وان الكذب ينبغي ان يكون مبغوضا عند جميع الناس وانه ينبغي للانسان ان يهتم بعبادة مولاه وبر

والديه ويجتنب مخالطة الاشرار ولحظ سولون ان بيزستراتث عمل له عصبة عظيمة بمدينة أثينا واخذ في اسباب كونه يصير بها سلطانا فعمل سولون غاية جهده في معارضة ما شرع فيه من المخاصمة وجمع الناس في محفل عام ولبس جميع سلاحه واظهر جميع ما كان بيزاستراتث شرع فيه وصاح سولون وقال ياأهل مدينة أثينا انا اعقل من الذين لا يعرفون قبيح قصد بيزستراتث وانا اشجع من الذين يعرفونه ولكن خوفهم وقلة شجاعتهم منعتهم من المعارضة فانا مستعد لان اكون قائدكم واحارب مع طيب نفس بذلك لاجل حماية حرية الوطن فالجماعة الذين كانوا مساعدين لبيزستراتث قالوا ان سولون مجنون ثم ان بيزاستراتث بعد ايام جرح نفسه وامر ان يحملوه على عربة وهو غريق في دمائه واحضروه في محل ظاهر بحيث يراه جميع الناس وقال ان اعدائي جرحوني بطريق الخيانة وصيروني بهذه الحالة الشنيعة التي تروني عليها فعند ذلك تعرض جماعة من رعاع الناس واخذتهم الغيرة فاخذوا سلاحهم لمساعدة بيزاستراتث فصاح سولون وقال له يا ابن ايبراقراس انت تعمل الحيلة التي عملها اوليس حيث خدش نفسه ليغش اعداءه ويتهمهم وانت جرحت نفسك لاجل ان تغش اهل بلدك فاجتمع الناس وطلب بيزاستراتث خمسين حارسا فسولون اظهر على رؤوس الاشهاد وابدى مايترتب على ذلك من الامور الخطرة ولم يفد كلامه شيئاً مع هؤلاء السفلة القائمين الذين اذنوا لبيزستراتث ان يأخذ منهم اربعمائة ويجمع له عساكر لاجل ان يأخذ بهم القلعة فتعجب من ذلك اصحاب المدينة الاصلية وعزم كل واحد منهم على الهروب الى اي جهة كانت ولكن لم تفتر همة سولون من ذلك فبعد ما اظهر لاهل البلاد حماقتهم وجبنهم قال لهم قبل ذلك كان يسهل عليكم منع حدوث هذا الاستيلاء الظلمي والآن بعد الوقوع يعد من فخركم ابطاله وازالته بالكلية فلما رأى ان جميع ألفاظه لا تفيد

في رجوع اهل البلاد عما عزموا عليه رجع الى بيته واخذ سلاحه والقاه امام باب مشورة الاهالي المسماة السنت وصاح وقال ياوطني العزيز والله لقد ساعدتك على قدر ما يمكنني بالقول والفعل واشهد الله على اني ما ابقيت شيئا لحماية الشرائع وحماية حرية وطني الا فعلته فيا ايها الوطن العزيز اني ذاهب ومفارقك الى الابد لاني قد اظهرت وحدي العداوة للحاكم الظالم وجميع اهل البلد اتفقوا على انه يكون عليهم حاكما ولم يرض سولون ان يكون مطيعا لبيزستراتث ابدا ثم تخوف سولون من ان الأثينيين يجبرونه على ابطال شرائعه التي حلف ان يحفظها وتعاهدوا على اقامتها فاستحسن ان يطرد نفسه طائعا مختارا وان يسافر لاجل معرفته الدنيا اولى من ان يعيش معيشة رديئة بمدينة أثينا فتوجه حينئذ الى بر مصر ومكث فيها مدة من الزمن بديوان الملك امسيس ولما كان بيزستراتث يعتبر سولون اعتبارا كاملا ويعرف مقامه حصل له تأثر شديد بخروجه فكتب له هذا المكتوب المشتمل على التبجيل والتعظيم لقصد ارجاعه الى أثينا ﴿ وصورته ﴾ لست اول انسان من اليونان استولى على بلاده ولم ارتكب شيئا يخالف الشرائع ولا الآلهة وذلك لاني من ذرية السلطان قدروس الذي تعاهد اليونانيون على انهم يبقون المملكة لذريته وانا لي اعتناء عظيم بحفظ اوامرك من حفظها حين كانت البلاد محكومة بالعامة ولقد اكتفيت بالخراج الذي رأيته مرتبا من غير زيادة ولم يكن لي شيء يميزني من الاهالي الا امور تشريفية يحتاج اليها منصبي وليس عندي لك شيء من الغيظ من حيث كونك اظهرت للناس حالي الذي كنت اضمرته ولا شك عندي ان اظهارك ذلك انما كان الحامل عليه حبك للوطن لا بغضك لي وانك لاتدري كيف كانت طريقتي التي انا عليها ولو رأيتها لربما كنت ترضى بها فارجع حينئذ مطمئنا وثق بكلامي واعلم انه لا ينبغي لحكيم يكون مثلك ان يخشى من انسان مثل

بيزستراتث لاني ما رضيت ان اضر الذين كانوا اعدائي طول عمرهم فكيف اضر احبابي واني دائما اعتقد انك من اعز احبابي ويكون لك جميع مايسرك من جهتي لاني اعلم انك لست مذنبا ولا خائنا ابدا فان كان لك اسباب تمنعك من المجئ الى مدينة اثينا فانك تسكن حينئذ باي محل تريده ويحصل لي غاية السرور اذا كان سبب غربتك شيء غيري ولا اكون سببا فيها ﴿ فاجابه سولون بهذا الجواب ﴾ انا أيقن واجزم انك لا تصنع معي شرا لاني كنت لك صاحبا من قبل ان تتولى طاغية واعلم اني لست عندك ازيد من الناس الذين يكرهون الطاغية ولو خلينا كل انسان وعقله لما شك ان الاحسن ان تكون بلاد اثينا محكومة بعدة حكام ومشورات وهذا بالضرورة انفع لها من حاكم واحد فاعل مختار وانا اشهد انك احسن من جميع الطواغي ولكن لا اظن ان رجوعي الى مدينة اثينا لائق بعد ان رتبت سياسة مبنية على الحرية وامتنعت من الامارة التي اعطوني اياها فاذا رجعت يكون الحق لهم ان يلوموني ويظنوا اني رضيت بما تفعله من جورك حتى رجعت ثانيا

﴿ وكتب مكتوبا آخر لابيمنديس بهذه الكيفية وصورته ﴾ ولما كانت شرائعي لم يترتب على عملها فائدة عظيمة للمدينة وحصل بفتحها منفعة عظيمة وحينئذ فارباب الشرائع والاحكام لا يمكنهم ان يجلبوا نفعا للمدن ولكن الذي ينفع هم الذين يسوقون الرعايا كما يريدون اذا كان مقصدهم حسنا وشرائعي لم يكن لها نفع ولكن الذين خالفوها ابطلوا الجمهورية والحرية ولم يمنعوا بيزستراتث عن ان يتغلب عن السلطنة وقد اخبرتهم عن الذي سيأتي قبل وقوعه فما صدقوني وبيزستراتث الذي كان اطمع اهل مدينة اثينا ظهر لهم انه احسن مني وانه يقول لهم الحق وقد عرضت عليهم ان اكون رئيس الاهالي لاجل تدارك ما يقع من المضار فظنوا اني مجنون ورخصوا لبيزستراتث ان يجعل له حراسا فتغلب بهم على المدينة واسترق اهلها وانا

اخذت في اسباب الخروج منها فخرجت انتهى واكرسيوس ملك مدينة لديانس طلب من جميع اليونان الذين ببلاد اسيا ان يدفعوا له الجزية فهرب كثير من عظماء النـاس الماهرين الموجودين في هـذا المحل وتركوا ارض اليونان وسكنوا بمدينة ساردس كرسي سلطنة ذلك الملك وكانت هذه المدينة في هذا الوقت عامرة كثيرة العز والشرف والاموال وكان هؤلاء الغرباء الذين دخلوها يتكلمون كثيرا في حق سولون ويكثرون من مدحه والثناء عليه فكان ذلك باعثا للملك المذكور على ان ينظر سولون فارسل اليه يطلبه ويترجاه ان يحضر عنده فارسل له سولون هـذا الجواب قد عرفت منك كثرة المحبة والعز لي وشاهدت منك التشريف لي والله شهيد على انني من حين فراقي لوطني ما سكنت بمملكة حرة فاحب ان اعيش بمملكتك ولا اقيم بمدينة اثينا ما دام بيزستراتث متصرفا في تلك الدوله ولكن حالتي التي انا عليها من المعيشة في المحل الذي يستوي فيه جميع الناس اهنأ عندي من معيشتي في مملكتك ومع ذلك لابد اني انظرك وامكث معك مدة من الزمن ثم توجه سولون الى مدينة ساردبس بتضرع اكرسيوس له في ذلك حيث كان هـذا الملك يرغب غاية الرغبة في نظره لشدة الاشتياق اليه فلما اجتاز بلاد لديا رأى كثيرا من اعيان الناس العظام كل واحد في موكب عظيم ومحفله جميل وكان سولون كما رأى واحدا من هؤلاء الاعيان يظن انه الملك فلما تمثل بين يدي الملك اكرسيوس وتجمل الملك قصدا بافخر ما عنده من الثياب وانواع الزينة والحلل فلم يتعجب سولون في شيء من ذلك ولم يحصل له ارتياب بسبب ما رأى من تلك الهيئة والابهة فقال له اكرسيوس ايها الضيف انا اعرف حكمتك المشهورة على قدر سماع الصيت واتيقن انك اكثرت السفر في البلاد فهل رأيت احدا يلبس مثل ملابسي فقال له سولون نعم الديوك الاهلية والبرية والطاوس لها

شئ اعظم من هذا لان جميع ما كان عليها من الزينة شيء خلقي لم تتكلف التزين به فتعجب الملك اكرسيوس من هذا الجواب الارتجالي وامر خدمته ان يفتحوا جميع خزائنه وينشروا جميع ما فيها امام سولون وامر ايضا بانهم يحضرون نفيس امتعة السرايا فجهزوا جميع ذلك واحضروا سولون مرة ثانية بين يدي الملك فقال له هل رأيت احدا اسعد مني فقال له نعم رأيت طيلوس من اهل مدينة أثينا وهو الذي عاش طول عمره على غاية من الصلاح في الجمهورية المتأدبة وخلف ولدين معتبرين واموالا كافية في معيشتهما ومات سعيدا سلاحه في يده قرير العين بنصرة وطنه واهل مدينة أثينا عملوا له قبرا عظيما في المحل الذي توفي به واحتفلوا بجنازته احتفالا كبيرا وأظهروا له غاية الشرف فتعجب اكرسيوس من كلامه وظن ان سولون رجل مجنون وقال له من اسعد الناس بعد طيلوس فأجابه بقوله كان في الزمن السابق اخوان احدهما يسمى اكليوبيس والآخر بيطون وكانا شجاعين جداً وكانا دائماً ينتصران في جميع الحروب وكانا محبين لبعضهما جدا وكانت أمهما قسيسة هيكل يونون وكانا يحبانها غاية المحبة فقصدت أمهما ان تقرب قرباناً لهيكل يونون فركبت على عربة فتأخر الذي يجر بها العربة فجاء ولداها المذكوران وجرا بها العربة عوضاً عن البقر وأوصلاها للهيكل فاثنى عليهما جميع الناس ودعوا لهما بالبركة ففرحت أمهما بذلك وطلبت من صنمة يونون أن تعطيهما كل ما ينفعهما فلما فرغوا من القربان واكلوا رجعوا الى منزلهم فرقد الاثنان وأصبحا ميتين فى ليلة واحدة فلم يقدر اكرسيوس أن يمنع نفسه من الغضب وقال له كيف لا تعدني من جملة السعداء فقال له سولون يا ملك الليدينيا أنت من أسعد الناس ومن اكثر الملوك رعايا ولكن الدهر كثير التغير والزمن له حادثات لا يمكن الانسان ان يشك فيها والليل والنهار يتولد فيهما الحوادث وانه لا يمكن للانسان ان

يعلم النصرة قبل انقضاء الحرب فاغتاظ الملك اكرسيوس من ذلك غيظاً شديداً وطرد سولون ولم يشته ان ينظر اليه بعد ذلك أبداً وكان ايزون الذى قيل انه لقمان الحكيم في ذلك الوقت بمدينة سادريس وكان حضر اليها لقصد تسلية الملك اكرسيوس فلما بلغه ما حصل منه في حق سولون صاحب الفضل والمعرفة تأثر من ذلك وقال ياسولون لاينبغى القرب من الملوك فان كان ولا بد فانه لا ينبغي ان تخبرهم بما يستعظمونه فيغتاظون منه فقال له سولون ان الامر بخلاف ذلك وهو انه لا ينبغي القرب من الملوك فاذا قرب الانسان منهم فانه ينبغي له دائما ان ينصحهم على قدر الطاقة ولا يقول لهم الا الحق ويحكي ان قيروس ملك العجم كان اسر الملك استياجس جد اكرسيوس ابا امه واخذ جميع ملكه وذلك اساءة ادب في حق اكرسيوس فغضب اكرسيوس لذلك واخذته الحمية على جده وقصد حرب بلاد العجم لانه رأى نفسه ذا ثروة كثيرة لانهاية لها ونظر ان اهل مملكته اشجع من جميع العالم في الحرب فظن انه لا يبعد عليه شيء فمن سوء حظه انهزم ورجع بالهزيمة الى مدينة ساردیس فحاصروه فيها مدة اربعة عشر يوما وبعد ذلك اخذوه اسيرا بالسلاسل والاغلال واحضروه الى قيروس فامر بان يوضع مربوطا في مستوقد مملوء بالحطب ووضعوا حوله اربعة عشر غلاما من بلاد لديا وامر بان يحرقوه بالنار بمشاهدة قيروس وجميع العجم وهموا بوضع النار في الحطب المذكور فبينما اكرسيوس في هذه الحالة المحزنة واذا هو يتفكر في الاقوال التي كان سمعها سابقا من سولون فصاح بتأسف وقال ياسولون ثلاث مرات فتعجب منه قيروس وارسل يسأله ما هذا الاسم الذي تذكره هل هو من اسماء الآلهة تدعوه لاجل ان يخلصك من هذا الامر فما اجابه اكرسيوس اصلا فشددوا عليه في الجواب فاجابهم مع شدة حزنه وقال هذا الذي ذكرته رجل ينبغي ان

الملوك يستصحبونه دائما ويقربونه منهم ويعتبرونه ويسمعون كلامه فانه انفع من خزائنهم وجميع ماعندهم من الاشياء النفيسة فقالوا حدثنا عنه واستعجلوه على ذلك فقال انه اعظم حكماء اليونان وأنا قد كنت ارسلت له سابقاً لاجل ان استشيره في جميع أموري المهمة فقال لي من غير اعتناء ان هذه الحياة الدنيا ما هي الا باطل زائل وانه ينبغي ان اتوقع آخر عمري وانه لا ينبغي للانسان أن لا يغتر بسعادته ولا يعتمد عليها لانها معرضة لكثير من المصائب التي لا نهاية لها فقد عرفت الآن حقيقة جميع ما قاله لي وفي اثناء تكلمه بهذا الكلام اشتعلت النار في الحطب من تحت المستوقد وابتدئ بصعودها الى فوق فعند ذلك حصل لقيروس شفقة على اكرسيوس لما سمع كلامه ولما رأى هذه الحالة المحزنة التي كان بها هذا الامير الذي كان صاحب شوكة فاتعظ في نفسه وخاف ان تحصل له مصيبة بعد ذلك هذه الحالة قام في الحال باطفاء النار واطلاق اكرسيوس من السلاسل والاغلال التي كان بها وأحسن له باحسن وجوه الاحسان مع غاية التشريف واعتمد على مشورته في سائر الامور المهمة جدا ثم ان سولون بعد ما ترك اكرسيوس توجه الى مدينة تبليقيا وبنى مدينة عظيمة وسماها سولون باسمه وبلغه ان بزسترانت الى الآن قائم بالسلطة في مدينة اثينا ومدمن على الظلم بها وان أهلها ندموا على رضاهم له بغضب الملكة فكتب لهم سولون كتابا صورته هكذا انكم لم تصفوا في نسبتكم سوء حظكم للآلهة وما تقولونه الآن انما هو ناشىء عن طيشكم في عدم تصديقكم الناس الذين لهم خبرة ومعرفة بتدبير ما يلزم للوطن ومن كونكم ركنتم الى قول الذى أراد غشكم وأمرتموه بأن يتخذ لنفسه خفراء فتوصل بذلك الى ان استولى على وطنكم واستعبدكم طول العمر ثم ان برياندر ملك مدينة كورانت أظهر لسولون جميع اشغال دولته وترجاه فى كونه يكون مشيرا عليه فيها فرد عليه سولون بهذا الجواب

انت ولو نجوت من اعدائك الذين تعصبوا عليك وقتلتهم جميعاً فانهم لا يفيدوك حسن الحال فان من لا يخطر ببالك عداوته هو الذى ينصب لك الشرك وذلك لان الناس ثلاثة أقسام فمنهم من يخاف على نفسه ومنهم من لا تسمح نفسه ان يرضى بأفعالك التي تعود بالضرر ومنهم من يظن بعداوتك نفع وطنه نفعاً عظيما فاعظم ما ينبغى لك سلوكه هو أن تترك المملكة بالكلية وان لم تصبر على ترك المملكة فاتخذ لنفسك جيوشاً آخرين من بلاد الغرباء لاجل ان تمسك زمام ملكك وتستعين بها على امانك ولا يبقى عندك خوف من أى محل وبعد ذلك لا تطرد احداً من بلادك ثم بعد ذلك توجه سولون الى جزيرة قبرص واصطحب مع فيلو قبرص امير مدينة اوبيا وهذه المدينة كانت موضوعة في محل عقيم جدا فأشار عليه سولون ان يبنى له مدينة غيرها بمحل آخر يكون احسن من هذا فاختار له قطعة ارض سهله كثيرة الخصب والثمار وصار سولون يباشر عمارتها بنفسه فنجحت فاراد فيلو قبرص ان يسمى هذه المدينة سولوس لاجل اظهار الاعتراف والشكر لسولون في نظير معروفه وكان سولون دائما يحب الحظ في مدة عمره الذى عاشه وكان يحب المطعومات اللذيذة ويحب الموسيقي يعنى علم الالحان وجميع ما يستعان به على لذة المعيشة وكان يكره الاشعار والتآليف المخترعة التي يخترع فيها الانسان كل ما يبدو ويخطر بباله وكان يرى ان هذا يعود بالضرر على الجمهورية وانه ربما يترتب عليه ما لا يحصى من الفتن وحين كان سولون له اعتبار عظيم بمدينة أثينا شرع تثبيس أن يتلاعب أيامه وينشد قصائده المحزنة التي نظمها بنفسه فحصل للرعية غاية الحظ فعند ما فرغ من هذا كله قال سولون لتثبيس انت ما تستحي من هذا الكذب الذى تقوله عند جميع الناس فاجاب تثبيس بقوله ان هذا لا ضرر فيه لانه لاجل الهزل والمباسطة فضرب سولون الارض بعصا كانت بيده وقال انا اذا أقررنا على هذا الكذب

في هزلنا فعن قريب يصير جدا ويكون في الاشغال العامة والمصالح المهمه ولهذا صاح سولون بعد ذلك حتى حملوا بزستراتث على العربة وهو مجروح ملوث بالدماء في المجمع العام فلما رآه على تلك الحالة قال هذا الاصل الخبيث يتولد منه الغش والخداع والتحيل يشير بهذا الى هذه الاشعار والقصائد والالعاب وزعم بعضهم ان الذى أحدث المحكمة المسماة اريوباجه وهى مشورة مؤلفة من جميع الكبار الذى كانوا تقلدوا على التعاقب بجميع مناصب أثينا وسئل سولون ذات يوم فقيل له ما المملكة التى بلغت غاية التأديب عن غيرها من الممالك فقال هى التي لم يحصل لاهلها ذل ولا ظلم واذا حصل لغيرهم ظلم ينتصرون للمظلوم ويأخذون حقه مع غاية الشدة والقسوة كأنهم هم المظلومون وفي أوائل عمره ابتدأ بنظم قصيدة في شأن جزيرة اطلنطيله التي سمع بير مصر انهم يجعلونها وراء البحر المحيط المعروف فادركه الموت بجزيرة قبرص ولم يكمل منظومته وكان ذلك فى الاولمپاد الخامس والخمسين وكان عمره قريباً من ثمانين سنة وأمرهم قبل أن يموت بانهم ينقلون عظمه الى مملكة سلامينا ويحرقونه ويذرون رماده فى الفلاة وأهل مدينة أثينا بعد وفاته رسموا صورته من نحاس أصفر وجعلوه ماسكا كتاب القانون الذى الفه بيده وعليه ثياب مثل ثياب أمير الرعية وأهل مدينة سلامينا صوروه فى هيئة أخرى مثل خطيب يتكلم وينهي العالم ويداه موضوعتان فى طي ثيابه

﴿ تاريخ بيتاقوس الفيلسوف ﴾

ظهر بيتاقوس في الاولمپاد الثاني والاربعين وتوفى في السنه الثالثة من الاولمپاد الثاني والخمسين وعمره سبعون سنة وهو ابن هيراديوس اصله من

مدينة نهراس وولد في مدينة ميلطينا وهي مدينة صغيرة من جزيرة ليسبوس قريبا من الاولمبياد التاسع والعشرين واستمر مدة صباه يمارس الامور العظيمة وكان من رؤساء العساكر وشجعانهم وكان محبا لوطنه واهله ومن حكمه ينبغي للانسان ان يدور مع الزمن وان لايضيع الفرصة وفي اول امره تحزب مع اخي السيا على ميلانحوس الملك الذي كان تغلب واستولى على مملكة جزيرة ليسبوس وهزمه فصار له صيت عظيم في الشجاعة بسبب هذه الواقعة وقيل انها وقعت حروب شديدة مدة من الزمن بين الميطيلينيين والأثينيين بسبب قطعة ارض تسمى اخليطيدس فالميطيلينيون اختاروا ان يكون كبير جيوشهم بيتاقوس فلما تجهز الجيشان وأرادوا القتال طلب بيتاقوس المبارزة مع افروتون قائد جيوش الأثينيين لاجل ان يتحاربا وكان افروتون مشهورا بالشجاعة والنصرة في جميع الحروب ولبس الاكليل مرارا عديدة في الالعاب الاولمبيقية أى ميدان الصنم فرضي بذلك افروتون وقال ان الذي يغلب صاحبه يصير له الفخر ويكون حاكما لتلك الارض التي هي سبب للقتال من غير شك فتقارب هذان الاميران من بعضهما بين الجيشين وكان بيتاقوس قد خبأ سهمه تحت الدرقة وقبل ان يتهيأ افروتون للقتال رماه بيتاقوس بالسهم مسرعا فقتله امام الجيشين وصاح باعلى صوته انا ما قتلت رجلا وانما هي سمكة وصار بيتاقوس من هذا الوقت حاكما في تلك الارض ولما طال عمره لان جانبه وصار يذوق حلاوة الفلسفة شيئاً فشيئاً وكان الميطيلينيون يكرمونه اكراما زائدا حتى جعلوه اميرا على مدينتهم فرتب قوانين في الجمهورية في جميع ممالكه ثم لما طال عمره واكتسب التجارب حصل له التعب والمشقة مدة نحو اثنى عشرة سنة فاختار لنفسه المعيشة في الغربة اولى من هذه المعيشة التي حصلت له في هذه المدة ثم شرع في امر سهل لاجل المعيشة في الدنيا فلما تم له ما اراده شهد له

الميطليبيون بجميع المعروف الذي صنعه من اجلهم وصنعوا له محلا عظيما جدا محتفا بانواع من اشجار الورد واشجار العنب وصنعوا فيه الشبابيك المذهبة المزينة لاجل ان يعيش بينهم مسرورا وينسى جميع ما اصابه من الامور الصعبة في نظير ما صنعه معهم من الجميل فعندها جرد سيفه بعزمه من غمده وجذبه جذبة عظيمة فحصل له سرور عظيم من جذبة ذلك السيف فتعجب من هذا حكام البلد وطلبوا منه ان يخبرهم عن سبب جذب السيف فقال لهم لا تطيلوا في الكلام ان هذا السبب اعظم عندي من جميع الاشياء

ثم ان اكرسيوس كتب له في بعض الايام ان يحضر عنده ويرى ما هو عليه من الثروة والغنى فكتب له بيتاقوس هذا الجواب أريد ان تحضرني الى مدينة ليديا لاجل ان انظر خزائنك وانا سواء نظرت ذلك ام لم انظره لا اظن انك اغنى الملوك واذا كان عندي جميع ما تملكه لا اظن في نفسي ذلك وايضا لا حاجة لي في النظر الى شيء لا ينفعني في معيشتي ولا ينفع احدا من اصحابي ولكن يمكن ان احضر عندك لاجل السرور بالاجتماع ثم ان اكرسيوس بعد ان قهر جميع الروم الذين كانوا بمملكة اسيا نوى على ان يحضر له سفنا ويسير فيها ليستولى على جميع جزائر اليونان وكان بيتاقوس في ذلك الوقت بمملكة سرديس فسأله اكرسيوس عن خبر بلاد اليونان فقال له ايها الملك ان اهل الجزائر اشتروا عشرة آلاف فرس لاجل الحرب معك ويأخذوا مدينة سادريس فحصل له من ذلك وجل وقال له أتظن ان اهل الجزائر يقدرون على اخذ ممالكنا بخيلهم هذه فقال له بيتاقوس الظاهر انهم نووا على ذلك فلو رأيتهم ايها الملك على ظهور خيولهم وعلى الارض لرأيت عجبا ولا اظن انك تقهرهم اذا ارسلت اليهم جيوشا في البر والاحسن ان ترسل اليهم جيوشا في البحر فيمكنك ان تقهرهم انت والليديانيون الذين انتقمتم من الاروام وصاروا في غاية الذل والاسر فظن

اكرسيوس ان بيتاقوس كان صادقا فى ذلك القول الذي قاله له فرجع عما كان نواه واصطلح مع اهل هذه الجزائر وكان بيتاقوس قبيح المنظر وصورته بشعة وكان كثيرا ما يشتكي وجع عينيه وكان غليظ الجثة قليل الانتباه جدا وكان رديء المشية بسبب خلل كان فى رجليه وكان متزوجا ببنت القاضي ادراكون وكانت امرأة متكبرة بذية اللسان سيئة الاخلاق جدا بحيث انها لا تطاق وكانت تحتقره احتقارا كليا لبشاعة منظره ولكونها من ابناء الناس العظام وفى بعض الايام دعا بيتاقوس جملة من اصحابه الفلاسفة فلما طلب احضار الطعام لهم فمن سوء اخلاق زوجته ألقت السفرة بما عليها من الاطعمة واللحم فلم يغتم بيتاقوس من ذلك ولم يحصل عنده غيظ وقال لاصحابه انها مجنونة فلا تلوموها في ما صنعته وذلك بسبب ما وقع له من زوجته من الشقاق ومن هذه القبائح كانت له كراهة شديدة فى النساء المخالفات لازواجهن وجاءه فى بعض الايام رجل يسأله فقال اني اريد ان اتزوج باحدى اثنتين واحدة منهما تساويني فى الحسب وغيره والثانية اغنى مني واعلى نسبا فاختر لي واحدة منهما فرفع عليه عصا كان يتوكأ عليها وقال له اذهب الى مجمع الصبيان الذين يلعبون فيه واسمع منهم الذي يقولونه واعمل به فتوجه الرجل الى ملعب الصبيان فسمعهم ينبهون بعضهم ويقولون كل واحد يأخذ نده فاعتبر بذلك هذا الرجل وانتهى عن اخذ التي هي فوقه فى الغنى والنسب واخذ الاخرى التى تقاربه فى الصفات وكان بيتاقوس كثير القناعة وكان لا يتعاطى شيئاً من أنواع الشراب ولم يكن يشرب غير الماء مع جميع الاشربة من خمر ونبيذ كانت مباحة لجميع الناس فى مدينة ميطلينا وكان دائماً ينهي بورياندرس سراً عن شرب النبيذ لينال غرضه من سلطنة كورينته ويتمكن من بقائه سلطاناً وامر بان الذى يحصل منه ذنب حال السكر يضاعف عقابه وكان يقول أن الشرائع هى أعظم من كل شيء

لان الآلهة فى اغلب الاوقات يلتزمون ان يطيعوا أمر الشرائع وكان من ذوى العقول العظام المقربين فى الجمهورية لان الرجل الحكيم يلزمه دائماً الامتثال لجميع ما يطرأ عليه من الشدائد حتى تزول وتنكشف بأسهل حالة وكان يقول أنه يصعب على الانسان جداً ان يسعد نفسه بنفسه وكان يقول انه ليس شيء أحسن من صنع المعروف المعجل وكان يقول اذا أردت نجاح امر فتفكر فيه وحدك ويلزم الاهتمام والاسراع فى عمل الشيء الذى تريد فعله وكان يقول ان النصر المقبول هو الذى يحصل من غير سفك دماء وكان يقول يلزم الملك اذا أراد ضبط مملكته أن يكون هو وخاصته طائعين للشرائع مثل أقل الرعايا وقال لتلاميذه اذا شرعتم في اختراع شيء أو عمل امر فلا تفتخروا به قبل تمامه لانه ربما منع من اتمامه سوء حظ صاحبكم فتسخر بكم العامة ولا تلوموا أحدا بسبب مكروه اصابة فيصيبكم مثل ما أصابه ولا تتكلموا بسوء فى حق أحد ولو كان عدوا لكم واحفظوا أصحابكم وعيشوا معهم بالمعروف مع الاحتراس فلربما انقلب الصديق عدوا وعليكم بالعفة والزهد والصدق وعليكم بطاعة الله ما أتمنتم عليه من الودائع والامانات حتى تؤدونها الى أهلها ولا تبحوا بالسر أبدا وكان قد نظم جملة من الاشعار وقال فيها يلزم الانسان ان يأخذ قوسه ونشابه ويقصد قتل ارباب الشرور فى أى محل يراهم به لان صاحب الشر صدره مملوء بالحقد وفمه لا يبوح بما فى ضميره فينبغى ان يكون الانسان منه على حذر وكان اكرسيوس أرسل اليه جملة من الدراهم على جهة الهدية فامتنع بيتاقوس من قبولها مع غاية فقره وأرسل يقول له أنا عندى قدر ما أنا طالبه مرتين لان أخى توفى وليس له ذرية فرجع ميراثه الىّ وحدى وكانت أجوبته سريعة دائما وسئل أىّ الاشياء اكثر تغيراً فقال مجارى المياه واعراض النساء وسئل أىّ شيء لا يفعله الانسان الا بغاية النظر والتأني جداً فقال اقتراض الدراهم من الاحباب وسئل ما

الشيء الذى يلزم فى كل محل فأجاب ان الانسان يغتنم الخير ويصبر على الشر حين يأتي وسئل ما أعظم الاشياء فاجاب هو الزمن وسئل ما أخفى الاشياء فاجاب بقوله هو المستقبل وسئل ما الاكثر أمانة فاجاب بقوله هو الارض وسئل ما الاكثر خيانة فقال هو البحر وقال له فوقيوس اني أريد ان استشير رجلا صالحاً في شيء في ضميرى فقال بيتاقوس لا يمكن انك تجد أميناً ولو بحثت مهما بحثت وقيل ان تيري بن بيتاقوس كان ذات يوم في قومس بحانوت رجل حجام مع جمع من الشبان الذين كانوا يجتمعون هناك على العادة للتحدث والاستخبار فبينما هو كذلك واذا برجل صانعي ألقى سكة من حديد من غير عمد فوقعت على رأس تيرى فقسمتها نصفين فهمّ اهل مدينة قومس بقتل ذلك الرجل وأمسكوه واحضروه عند بيتاقوس والد هذا الميت المقتول فبحث عما حصل لولده وعن ذلك الفعل فرأى ان الذى ألقى قطعة الحديد على رأس ولده غير متعمد بل هو معذور فعفا عنه وأمر باطلاقه وقال ان الذنب الذي لم يكن مقصودا يستحق العفو عنه واما المقصود فيستحق التشديد على فاعله ويقاص بما يليق وكان يتسلى فى بعض الاحيان بنظم الاشعار وألف جميع قوانينه وبعضاً من كتبه منظومة على طريقة الاشعار واشتغاله في العادة كان بتسلى بدوران البغل في الرحى لاجل طحن الحنطة والحب وهو كان استاذ افريقيدس وهو ممن جمله بعضهم من حكماء اليونان والذى كان موته من العجائب قيل انه لما كانت الحروب منتصبة بين الافسوسين والمغنيسيين وكان افريقيدس له ميل عظيم لاهالي افسوس وهي مدينة اهل الكهف فتلاقى مع رجل في طريقه فسأله من أى بلد هو فقال له من افسوس فقال له امسكنى من رجلى واسحبني الى مدينة مغنيسيا ثم اذهب مسرعا الى الافسوسين واخبرهم بالكيفية التي أمرتك بها واوصهم ان يدفنوني بجانب المنصورين فجر ذلك الرجل افريقيدس كما أمره

وذهب للافسوسيين واخبرهم بجميع ما قاله افريقيدس فقاموا حالا الى الحرب وحصلت مقتلة عظيمة وانتصروا على اعدائهم وقصدوا الجهة التي كان أخبرهم بها فوجدوه فيها ميتا فحملوه حتى أتوا به مدينتهم وعملوا له جنازة عظيمة وتوفى بيتاقوس بجزيرة لسبوس وعاش سبعين سنة وكانت وفاته في الاولمباد الثاني والخمسين

﴿ تاريخ بياس الفيلسوف ﴾

كان هذا الفيلسوف في عصر بيتاقوس وظهر في زمن حكم هلياطس وزمن اكرسيوس اللذين هما من ملوك لوديا واصله من مدينة ابريت وهي مدينة صغيرة من ممالك كاريا وكانت له شهرة عظيمة في سائر بلاد اليونان في مدة حكم هلياطس واكرسيوس واستمرت شهرته من مبدأ الاولمبياد الاربعين الى وقت وفاته وكان من اعيان اهل المدينة المتعلقين باوطانهم وله معرفة جيدة بسائر الامور وصاحب تدبير وادب وعاش مقترا على نفسه مع انه كان اغنى اهل زمانه وكان يصرف جميع امواله لمساعدة المحتاجين وكان من اعظم خطباء اهل زمانه وكان كثيرا ما يحامي عن الفقراء والمساكين ولا يقصد بذلك الا تحصيل الشرف لوطنه ولم يكن له مدخلية الا في الامور التي يجزم بانها حق وقد صار هذا مثلا في جميع البلاد فكانوا اذا جزموا بصدق شيء يقولون هو مثل ما قال بياس واذا مدحوا خطيبا قالوا انه مثل بياس وتعدى جماعة من قطاع الطريق قريبا من مدينة مسينه في موره على بعض السفن واخذوا منها بعضا من البنات وارادوا أن يبيعوهن فاشتراهن بياس منهم باغلى ثمن وأرسلهن الى محله وبالغ في اكرامهن حتى كأنهن من اولاده وبعد ذلك اعطي لكل واحدة منهن هدية عظيمة

وأرسلها الى أهلها فصار له بسبب ذلك شهرة وصيت عظيم بسائر بلاد الروم وأغلب الناس انما كان يسميه امير الحكماء ثم بعد مدة من الزمن اتفق ان جماعة من الصيادين الذين بمدينة مسينه اخرجوا سمكة كبيرة فرأوا في بطنها اناء من الذهب مكتوباً عليه يعطى لاعظم الحكماء فاجتمع قضاة أهل هذه المدينة وتشاوروا في من يعطى له هذا الاناء فاجتمع البنات اللاتي صنع معهن بياس المعروف المتقدم ذكره وقلن لاهاليهن وآبائهن ان هذا الاناء لا يعطى الا لبياس لانه أعظم الحكماء فاتفق رأى القضاة على ذلك فأرسلوه الى بياس فلما وصل اليه ونظره وقرأ ما هو مكتوب عليه امتنع من قبوله وقال لست له أهلا وانما الذى يستحقه اوبولون يعني صنم الشمس لانه اعظم الحكماء وزعم بعض الناس ان هذا الاناء هو الكرسي ذو الثلاث قوائم الذى تقدم في ترجمة طاليس الفيلسوف وهذه الحكاية مخترعة على منوال الحكاية المتقدمة وقال آخرون ان الكرسي ارسل الى بياس اولا وكان الملك هلياطيس سلطان مدينة لوديا خرب جملة من مدائن اليونان التي فى بلاد أسيا وبعدها حاصر مدينة بريانة وكان بياس فى ذلك الوقت رئيس قضاة المدينة فقاوم مدة طويلة ولكن لما كان هلياطس مصمما على بلوغ مقصوده حتى يبذل غاية جهده وحصل للمدينة كثرة التعب بسبب ما فيها من القحط الناشيء عن الحصار فعلف بغلتين له حتى سمنتا وطردهما على الجهة التي فيها عساكر الاعداء ليريه انهما هاربتان منه فلما رأى هاتين البغلتين مع غاية السمن حصل له غاية العجب وتخوف انه لا يمكنه أخذ هذه المدينة لكثرة خصبها وعدم قحط أهلها فدبر حيلة وأرسل رجلا يتأمل له سراً فى احوال اهلها وينظر كيفية معيشتهم ولكن بياس فهم الذي يقع من هلياطس فصنع حفرا عظيمة وملأها رملا ووضع فى فم كل حفرة شيئا من أنواع الحنطة والمطعومات بحيث ان

الجواسيس اذا حضروا لا يرون الا كثرة الخصب فلما حضروا ورأوا ذلك اخبروا هلياطس بذلك ودخلت عليهم هذه الحيلة فرفع عنهم المحاصرة وقال اهل هذه المدينة يكونون فى الصلح وتحالف معهم واشتاق ان يرى بياس وارسل اليه ان يحضر عنده لينظر الى عسكره فقال بياس للرسول قل للملك اني ساكن فى هذه المدينة واوصيك ان تاكل البصل وتعيش فقيرا وتحزن فيما بقى من ايام عمرك وكان دائما يحب نظم الاشعار فنظم الفى بيت من الشعر وجعلها حكما تفيد جميع العالم ان كل انسان يمكنه ان يحسن معيشته ويحسن تدبير الجمهورية فى وقت الحرب والصلح وطالما كان يقول اجتهد فى كونك تعجب جميع الناس لانك اذا بلغت ذلك ترى لذات كثيرة لا منفعة لها مدة حياتك وكان يقول ان اظهار التفاخر والازدراء بغيرك لا يفيد خيرا ابدا وقال عليك بحب اصحابك مع الاقتصاد وكن منهم على حذر فربما صاروا لك اعداء واقتصد في بعض اعدائك ايضا لانه ربما صاروا في العواقب لك احبابا وقال اختر لنفسك من تصاحبه وميز كل شخص على قدر درجته واقتد بمن يشرفك الاقتداء به واعلم ان صلاح الاصحاب يكون معينا على حسن شهرتك ولا تستعجل في الكلام فان هذا علامة الطيش والجنون واجتهد في اكتساب المعارف في زمن صباك لان هذا يكون عونا لك في زمن عجزك ولا يمكنك ان تصنع شيئا احسن من الذي يكون لك به الفخر في الاواخر والغضب والاستعجال شيئان يضادان الحزم وكان يقول اهل الصلاح قليلون جدا واشرار العالم ومجانينهم كثيرون وقال لا تقصر ابدا في وفاء ما وعدت به كما وعدت واشكر مولاك على ما اولاك واحمده فالحمد واجب على كل انسان وقال لا تثقل على اصحابك والاحسن لك ان تجبر على ان تأخذ وذلك خير لك من ان تجبرهم على ان يعطوك ولا تتصدى لما لا تستطيعه واذا عزمت على شيء فنجزه بغاية الهمة ولا تشكر

انسانا لاجل غناه بل لصفاته الحميدة وقال ينبغي لك ان تتيقن كل وقت انه لا بد لك من الموت ولا سبيل للبقاء على وجه الارض والعافية هدية من الخالق والغنى امر اتفاقي والحكمة هي التي تجعل الانسان قادرا على اصلاح نفسه واهل وطنه وقال طلب المستحيل مرض من امراض العقل وسئل يوما عما يتسلى به الانسان فقال الاماني وسئل ما يسر الانسان فقال الاكتساب وسئل اي شيء يعسر على النفس حمله فقال هو الفقر بعد الغنى

وكان يقول انه لا افقر ممن يصاب بمصيبة لا يصبر عليها وكان ذات يوم في سفينه مع جماعة من اهل الاشراك فهبت عليهم ريح عاصفة حتى اشرفت السفينة على الغرق فحصل للمشركين غاية الخوف من الموت وابتهلوا لآلهتهم بالدعاء بالنجاة فقال لهم بياس عليكم بالصمت لان آلهتكم اذا عرفوا انكم في السفينة اغرقوها وهلكنا جميعا وسأله رجل من اهل الشرك فقال ما يجب على كل انسان من العبادة للاله فلم يجبه بياس بشيء اصلا فاستعجل المشرك بالكلام وقال له ما سبب سكوتك فقال له بياس انت تسألني عن شيء لا يعنيك فلا جواب لك عندي وكان يقول انا احب ان افصل الخصومة بين اعدائي ولا افصل خصومة بين اصدقائي لاني اذا فصلت خصومة الاعداء وقضيت على واحد من الخصمين فقد ارضيت الآخر فاكتسب محبة من قضيت له واذا قضيت على واحد من اصدقائي للآخر فلربما صار المقضي عليه عدوا بعد ان كان صديقا وكان ذات يوم مضطرا لان يحكم بالقتل على صديق من اعز اصدقائه لاقتضاء الشرع ذلك فقبل ان ينطق بصيغة الحكم شرع في البكاء في وسط المحكمة فقيل له ما يبكيك مع انه لا يمكن ان يحكم احد بالقتل او البراءة غيرك فقال انما بكيت لان الجبلة اوجبت في الشفقة على من اصيب بنكبات الدهر وان الشريعة فرضت على اني لا اعتبر هذه الطبيعة وكان لا ينظم الاشياء التي تتعلق بالغنى في سلك الخير وان المال

حظ للنفس يمكن ان يستغني عنه الانسان وهو زائل لا محالة وكان دائما يهدي الناس الى ما ينفعهم من غير فرق بين العظيم والوضيع ولما اخذت مدينة بريانة كان هو فيها فكان كل واحد من اهلها وقت السلب والهجوم يأخذ ما يمكنه ان ينجو به ويهرب الى المحل الذي يأمن فيه على نفسه فلم يبق في المدينة الا بياس وحده مطمئنا لم يتحرك من محله وكأنه لم يشعر بشيء مع شدة الفتنة واختلال الامر ومع وقع هذه النكبة فسأله بعضهم لاي شيء لم تخرج متاعك كغيرك فقال انه لا يمكنني اخذ شيء عند وفاتي فلا يكون لي بذلك حاجة وما وقع له في آخر عمره اشهر مما وقع له قبل ذلك في اول حياته واتفق انه في بعض الايام امرهم ان يحملوه الى المحكمة لاجل قضاء حاجة لبعض اصحابه مع غاية الاجتهاد وكان في ذلك الوقت هرما فحصل له غاية المشقة حتى اسند رأسه على احد اسباطه الذي كان معه في ذلك الوقت فلما فرغ الخطيب المحامي عن خصم صاحبه من محاماته حكم القضاء لصاحب بياس بالبراءة فقضى على بياس حالا ومات مستندا على ذراع سبطه فاجتمع اهل المدينة وعملوا له جنازة عظيمة وعزاء عظيما وحصل لهم الغم الكلي على موته وبنوا له قبرا عظيما مكتوبا عليه هذه الكلمات ﴿ كانت بريانة وطن بياس الحكيم الذي كان سابقا زينة جميع بلاد اليونان وكان اعظم الحكماء الفلاسفة رأيا ﴾ انتهت وكان عند اهل مدينة ابريانة معظما جدا حتى انهم شيدوا له هيكلا وصاروا يزورونه ويعظمونه

﴿ تاريخ برياندرس الفيلسوف ﴾

كان هذا الفيلسوف ملك مدينة كورينته وهو من الفلاسفة المتقدمين في الاعصر الاول ولم تعرف السنة التي ولد فيها على وجه التحقيق ولا السنة

التي توفى فيها ايضا وكان فيه نوع من الجنون ومن العجائب كون اليونان جعلوه حكيما مع ذلك وسبب ذلك انه كانت له حكم ظريفة ساطعة وله افعال قبيحة رديئة جدا فاغتروا بسواطع حكمه ولم يتأملوا في افعاله القبيحة مدة عمره وكان تارة يتكلم كلام الحكماء واخرى بكلام الحمقى ولا يستحي ولا يختشى من فضيحة حتى انه اتى امه مع ان الطبع السليم يأبى ذلك واتفق انه نذر على نفسه انه اذا كان ينتصر في الملاعب الاولومبيقية يعمل صورة انسان من الذهب ويهديها لهيكل جوبيتر يعني الشمس فانتصر في اول الملاعب ولم يجد عنده من المال ما يوفى به هذا النذر لكونه كان فقيرا فقطع ما كان على النساء المجتمعات للتفرج في ذلك الوقت من جميع الحلى فبهذه الطريقة وفي بنذره وهو كان ابن سبسيلس من بدنة فيرقليدس وتولى سلطنة مدينة كورينته التي كان بها ميلاده في مدة حكم هياطس ملك مملكة لوديا وكان تزوج لوسيس بنت امير ابيدور وكان يحبها محبة زائدة فغير اسمها وسماها ميليس وله منها ولدان اولهما سبسيلس وكان بايدا خفيف العقل والثاني ألبكفرعون كان عاقلا ذكيا يصلح ان يكون رئيس مملكة وكانت زوجته ميليس ضخمة غليظة الجثة فاتفق ان بعض نساء زمانه اظهروا له صورتها مع ما هي عليه من الغلظ على جهة الهزء فحصل له غيظ عظيم من ذلك واخذته الحمية فقابل زوجته في ساعته وهي صاعدة على سلم المنزل فضربها برجله في بطنها فسقطت من فوق الى اسفل فماتت هي وجنينها الذي في بطنها ثم بعد موتها ندم على ما فعله بها وحمله غمه على ان احضر النساء المذكورات وامر باحراقهن فلما وصل خبر موت زوجته الى ابيها ابريقلى وما جرى عليها من الامور الشنيعة ارسل فاحضر ولديها الاثنين ليسليهما على فقد امهما وكان يحبهما حبا شديدا فلما حضرا عنده امهلهما لحظة لطيفة وقال لهما أما تعرفان الذي قتل امكما فاما الاكبر فلم يفهم ما قيل له

لسخافة عقله واما الاصغر فحصل له تأسف شديد وتغير من ذلك واضمر في نفسه انه بعد رجوعه الى مدينة كورينته لا يخاطب والده ابدا ولا يمتثل له امرا فلما رجعا تحيل برياندر على ولده الاكبر بجملة من الاسئلة كي يستفيد منه ما قاله لهما جدهما ابريقلى فلم يفده ولده شيئاً من ذلك لعدم فهمه ما قاله له جده الا انه اخبره ان موت امهما بلغ والدها فلم يقنع منه برياندر بذلك وطلب منه زيادة الاخبار بسرعة فتذكر كل ما كان قاله لهما جدهما عند خروجهما من عنده للسفر واخبر به اباه ففهم ابوهما الكلام الذي قاله لهما جدهما فاراد برياندر ان يجعل ولده الاصغر واسطة بينه وبين جده في تلك الواقعة وامر اهل البلد انه اذا دخل ولده المذكور في بيت واحد منهم لا يبقيه فيه زمانا ففهم ان اباه طرده او يريد نفيه فاراد الدخول في بعض بيوت اهل البلد فلم يمكنه احد من ذلك خوفا من مغاضبة والده ثم بعد ذلك اجتمع على بعض اصحابه الذين يحبونه فادخلوه منازلهم وعزموا على مخالفة امر والده والخروج عن طاعته وبعد ذلك جمع برياندر اهل المدينة وقال كل من يدخل هذا الولد عنده يكون عقابه الموت فمن خوف اهل المدينة من هذا العقاب الشديد لم يتجاسر احد منهم على مصاحبته ولا الجلوس معه ولا على ادخاله منزله فمكث اليكفرعون مدة من الايام والليالي وهو في ازقة المدينة لا يأويه احد ولا يدخله منزله كأنه من الحيوانات الوحشية فمر عليه والده برياندر بعد اربعة ايام فرآه في حالة الاموات من شدة الجوع والمشقة التي حصلت له فرقّ عليه لما رآه في هذه الحالة قال له يا اليكفرعون ما ألجأك الى هذه الحالة التي انت عليها والمعيشة الضيقة أُريد ان تتصرف في جميع ممالكي كيف تشاء وفي جميع خزائني التي املكها فانت ولدي وانت امير مدينة كورينته العامرة وان كان قد حصل لك غيظ على موت والدتك فعندي من الغيظ عليها ما هو اشد مما عندك خصوصا وانا الذي باشرت ذلك

واما حالك هذا فانت جلبته لنفسك بمخالفة والدك الذي يجب عليك بره ولكن حينما عرفت ان من عاند اباه حصل له مثل ذلك واكثر فانا آذن لك في الدخول الى بيتي فلما سمع كلام والده اجابه من غير اكتراث به وكان قلبه اقسى من الحجر وقال له انت الذي تستحق العقاب الذي تتوعد به الناس فلما رأى برياندر من ولده الجفاء وعدم اللين اخذ في اسباب بعده عن عينه ونفاه في مملكة قورقيره التي كانت تحت حكمه ثم ان برياندر ازداد غيظا على ابريقلى بسبب الشقاق الذي حصل بينه وبين ابنه فعزم على قتاله وجهز له جيشا عظيما وسار اليه بنفسه وكان هو رئيس ذلك الجيش فتيسرت له جميع الاسباب في تلك الواقعة بسهولة فاخذ مدينة ابيدور وقبض على ابريقلى ولم يقتله ولكنه خلده في السجن ثم بعد مدة من الزمن صار برياندر هرما فارسل الى مدينة قورقيره وطلب أليكفرعون لاجل ان يوليه السلطنة ويجعل ذلك جبرا لما صنعه معه من المضرة فلم يرض ألیكفرعون بذلك ولم يجب الرسول وكان برياندر يحب ابنه محبة زائدة فامر بنته ان تذهب الى مدينة قورقيره لظنه ان اخاها يقبل كلامها وانها تحضره بحيلتها ومكرها فلما وصلت هذه الاميرة الى تلك المدينة اقسمت على اخيها باعز ما عنده لتستعطفه وقالت له أتحب ان تصير تلك المملكة لغيرك فان الشوكة كالمرأة الجميلة الغير العفيفة التي لا تمكث مع عاشق واحد أما تعلم ايها الاخ العزيز ان ابانا صار الآن هرما وقد قربت وفاته فان لم تحضر سريعاً يضمحل ملكنا وعزنا فينبغي لك ان تصمم على الحضور ولا تضيع ذلك العز والجاه الذي يكون لك فحلف لها ألیكفرعون انه لا يعود ابدا الى مدينة كورينته ما دام والده مقيما بها فلما رجعت هذه الاميرة الى المدينة اخبرت اباها بما صمم عليه اخوها فارسل برياندر مرة ثالثة الى مدينة قورقيره الى ابنه يعلمه بانه متى اراد ان يستولى على مدينة كورينته فليحضر بها وانه يريد ان يقضي

باقي ايامه بمدينة قورقيره فلما سمع اليكفرعون بذلك رضي به وكل واحد منهما تهيأ للانتقال من المدينة التي هو فيها فلما علم أهل مدينة قورقيره قتلوا أليكفرعون خوفا من ان برياندر يقيم عندهم فحصل له اليأس من ولده

فامسك برياندر ثلاثمائة غلام من اولاد عظماء اهل المدينة وارسلهم الى هلياطس لاجل ان يجبهم ليصيروا خصيانا فلزم الامر ان السفينة التي كانوا فيها رست بهم على جزيرة شامس فلما عرف اهل هذه الجزيرة السبب في مجيء هؤلاء الفقراء حصل لهم شفقة عليهم واشاروا اليهم سراً بانهم يدخلون في هيكل ديانه وهي صنمة فاذا دخلوا امتنع اهل مدينة كورينته من الدخول اليهم ولا يقدرون على اخراجهم من الهيكل لكونهم في حماية الصنمة فاستدلوا بهذه الحيله من طريق نجاتهم ولم يظهر من أهل المدينة عداوة لبرياندر وفي كل ليلة صار اولاد اهل تلك المدينة ذكورا وأناثا يجتمعون ويرقصون حول الهيكل ويلعبون معهم في وقت رقصهم يرمونهم بالفطير المصنوع بالعسل من داخل الهيكل فتمنى هؤلاء الجماعة ان يدوم هذا الرقص فطال الامر على اهل مدينة كورينته ولم يتمكنوا من الاولاد فرجعوا الى مدينتهم ثانياً فلما رجعوا حصل لبرياندر غيظ شديد لما لم يتمكن من أخذ ثار ولده على الوجه الذي أراد وفي هذا الوقت كان رأى نفسه قد اشرف على الهلاك ودنا اجله وكان مراده ان لا يطلع احد على محل جسمه بعد وفاته فصنع هذه الحيلة يقصد بها اخفاء جسمه واحضر له شابين ودلهما على طريق منقطعة وامرهما بان يدوروا الليلة الآتيـة في تلك الطريق ويقتلا أول من يلاقيهما ويدفنا جسمه حالا في ذلك المحل فتوجه هذان الشابان واحضر اربعـة آخرين وأمرهم بان يدوروا في هذا المحل ويقتلوا الاثنين اللذين يقابلونهما ويدفنونهما وبعد أن ارسلهم احضر جملة من الناس وأمرهم بان يقتلوا هؤلاء الاربعة الذين يقابلونهم ويدفنونهم في المحل الذي يجدونهم فيه فامتثلوا امره وبادر

هو الى الحضور في تلك الطريق المنقطعه فقتله الشابان اللذان قابلاه كما أمرهما
وتم جميع ما امر به فلما علم به اهل مدينة كورينته عملوا له قبرا عظيما منقوشا
وهو اول من غير اسم الحاكم بالظالم او الطاية وكان يصاحب الفقراء وكان
لا يأذن لجميع الناس في ان يقيموا بالمدن على السواء وكان يتبع آراء
ترازيبولس وكان سرازينول قد كتب له هذا الجواب انا ما اخفيت شيئاً
بالانسان الذي ارسلته اليّ ولكن احضرته في غيط قمح ودققت بحضرته
جميع السنابل الزائدة على غيرها فاتبع مثلي ان كان قصدك حفظ ملكك
واهلك كبار المدينة سواء كانوا اعداءك ام احبابك لان الغاصب لا ينبغي ان
يامن احداً ولو كان اعز اصحابه وكان يقول متى كان الانسان متعلقاً
لشيء وصرف اليه جهده وصل اليه كيف لا مع ان الانسان اذا احتال على
برزخ بين بحرين هدمه وقال لا ينبغي للانسان ابدا ان يأخذ في نظير عمله
ذهبا ولا فضة فان ذلك قليل عليه وقال ان الملوك لا يمكن ان يوجد عندهم
فخر اعظم من محبة الرعايا لهم وقال لا يوجد شيء احسن من الراحة وقال
لا ينبغي ان يقتصر على معاقبة فاعل الشر بل يعاقب مثله من اضمر على فعله
وقال الحظوظ تمر من السحاب والفخار لا يعتريه ذهاب وقال ينبغي للانسان
ان يكون لين الجانب عند الشدة حازم الرأي عند المصيبة وقال لا تبح بالسر
الذي تؤتمن عليه وقال ينبغي للانسان ان يكون مع اصحابه على حالة واحدة
سواء كانوا في سعة ام ضيق ام شدة ام رخاء وكان يحب الحكماء فلذلك
كتب لحكماء اليونان ان يحضروا بمدينة كورنيته ويقيموا مدة من الزمن
كما كانوا بمدينة ساردس فلما حضروا قابلهم بالبشاشة وبذل غاية جهده في
اكرامهم وكانت مدة حكمه اربعين سنة وتوفي قرب الاولمبياد الثاني
والاربعين وزعم بعض الناس انه وجد اثنان مسميان بهذا الاسم وان حكم
الاثنين وجمع ما قالاه وما فعلاه منسوب الى واحد

﴿ تاريخ شيلون الفيلسوف ﴾

كان هذا الفيلسوف موجودا في الاولمبياد الثاني والخمسين وكان حينئذ هرما جدا وكانت مدة حياته قدر مدة بيتاقوس تقريبا وكان ظهوره بمدينة لقدمونا نحو الاولمبياد الثاني والخمسين وكان ثابتا جيد العقل جدا وكان دائما على حالة واحدة في الشدة والرخاء واذا جلس كانت عليه السكينة والوقار ومكث مدة عمره معتكفا في محله من غير طمع في شيء وكان يقول اصعب الاوقات ما قطعه الانسان في الاسفار وعاش ملازما للصدق وكان يتعجب جميع الناس من حسن تدبيره وكثرة صمته وقلة كلامه حتى يتميز جميع ما يقوله ورتب امور معيشته على التأني على طبق الحكمة التي قالها وهي قوله يلزم التأني في جميع الاشياء وفي نحو الاولمبياد الخامس والخمسين تولى في المحكمة العالية بمدينة لقدمونا وهذه المحكمة تمنع الملك من التعدي على الرعايا وحصلت لاخيه منه غيرة بسبب ذلك وغيظ شديد فاجابه شيلون بجواب حسن فقال له هم اختاروني لكونهم رأوني أليق منك في الصبر على الامور الصعبة التي تمر بي وعلى ترك الراحة التي كنت بها واقتحامي للاخطار التي تصيرني اسيرا وقال لا ينبغي للانسان ان يرفض الكهانة بالكلية فان الانسان بقوة عقله يمكنه ادراك جملة من الاشياء المستقبلة واتفق في بعض الايام ان بقراط قرب قربانا في الملاعب لاولمبيقية فلما وضع لحم القربان في قدر ممتلئ بماء بارد صار الماء حارا في الحال وغلا وفار من غير نار توقد تحته وانتشرت الحرارة وفار الماء على فم القدر وكاد اللحم ان ينضج من غير نار كما تقدم وكان هناك شيلون في ذلك الوقت فتأمل غاية التأمل في هـذا الامر العجيب وتعجب منه واشار على بقراط بعدم التزوج ابدا وقال له لو ساء حظك وتزوجت فلا بد لك من

احد شيئين اما ان تطلق او تقتل جميع الاولاد الذين يحصلون لك من زوجتك فاخذ بقراط في الضحك من قوله ولم يمنعه ذلك من الزواج فتزوج امرأة فولدت له بيزستراتث الملك الذي غصب سلطنة مدينة أثينا التي كانت وطنا له وظلم اهلها ولما نظر شيلون ارض جزيرة قيثير وتأمل احوالها صاح بحضرة عموم الناس وقال يا ليت هذه الجزيرة لم توجد ولم ينكشف عنها البحر ابدا لاني ارى ان هذه الجزيرة تكون سببا في هلاك اهل لقدمونا وكان الامر كما قال فقد اخذ الأثينيون هذه الجزيرة بعد مدة من الزمن وكان سببا لتدمير الممالك وكان يقول أصعب الاشياء ثلاثة كتم السر وتحمل المسبة وحسن صرف الزمن وكان قصير القامة وحيز الكلام لبي كان به وكان كلامه من جوامع الكلم وكان يقول لا ينبغي للانسان ان يهدد احدا لان هذا جبن من ذميم خصال النساء وقال اكثر الحكمة صون اللسان لا سيما في الولائم وقال ينبغي ان لا يغتاب الانسان احدا لان ذلك يورث العداوة وربما اسمعك ما تكره وقال ينبغي ان يزور الانسان احبابه في وقت الشدة اكثر من زيارتهم في الرخاء وقال الخسارة خير للانسان من كسب الحرام والظلم وقال لاتمدح انسانا متصفا بسوء الحال والاخلاق وقال ينبغي للرجل الشجاع ان يكون لين الجانب وان يعمل ما يصيره محترما عند الناس لا ما يجعله مخوفا وقال اعظم السياسة في دولة الحاكم هو تعليم السياسة المنزلية وقال ينبغي ان لا يتزوج الانسان المرأة الحمقاء وقال ينبغي ان لا يسرف في عمل الافراح وقال ان الذهب والفضة يمتحنان بالحك على الحجر وامتحان قلب الانسان بالذهب والفضة وقال ينبغي للانسان الاقتصاد في سائر الامور لان التبذير ربما جر الى الضياع وقال ان الحب والبغض لا يدومان فاذا احببت صديقا فأبق للعداوة موضعا واذا ابغضت انسانا فأبق للمحبة موضعا وكان قد كتب بالذهب في هيكل صنم

الشمس لا ينبغي لك ان تتمنى ما هو اعلى من مقامك وقال الذي يضمن لا بد له من الخسارة ثم ان برياندر اراد ان يجلبه الى مدينة كورينته وبذل غاية جهده في ذلك لاجل ان يستشيره على حفظ السلطنة التي كان اخذها هذا الملك بالتغلب فاجابه شيلون بهذا الجواب انت مرادك ان تدخلني في مكاره الحرب وتبعدني عن وطني لاعتقادك ان ذلك يصيرك تعيش في امان مع انه لا شيء اقل ثباتا من ابهة الملوك فاسعد الملوك هو الذي يموت منهم على فراشه ولما احس ان اجله قد دنا وقرب موته جمع جميع اصحابه وقال لهم يا اصحابي أتعلمون اني عملت شيئا ندمت عليه وما ندمت على مشاورتي لكم في الامور الا في واقعة واحدة واريد ان اخبركم بها لاجل ان اعلم هل اصبت فيها اولا وهو اني كنت في بعض الايام وانا ثالث جماعة في حكومة واحد من احبابي كان محكوما عليه بالموت عملا بالقوانين فتحيرت جدا ودار الامر بين مخالفة الشرائع والحكم على الحبيب بالقتل فمن بعد ما تفكرت في ذلك عملت طريقة وهي اني اظهرت جميع مايؤيد المدعي عليه المصود فتله مع اجتماع جملة من الناس ولم يمكن لاحد من ارباب القضاء ان يناقضني حتى ظهرت لهم براءته ثم حكمت عليه بالقتل من غير ان اخبرهم بشيء فبهذا وفيت بحق كوني قاضيا وبحق كوني حبيبا ومع ذلك ارى نفسي غير مطمئنة وذمتي غير خالصة من الخطأ وطال عمره حتى اتعبته الشيخوخة والهرم وتوفي بمملكة بيزه وسبب موته ان ابنه غالب في السباق في الملاعب الاولمبيقية فتوجوه فلما عاينه فرح بذلك غاية الفرح وعانقه وطفح عليه السرور فقتله واهل المدينة عملوا له صورة من الذهب بعد وفاته

﴿ تاريخ اكليو بول الفيلسوف ﴾

كان هذا الفيلسوف في العصر والعمر قريبا من سولون يعني انه ظهر

بين الاولمپياد الخامس والثلاثين والخامس والخمسين وكان اقل الحكماء اعتبارا ولكنه كان غنيا وهو ابن اوجراس وينسب لهرقول بانه من ذريته وولده بمدينة لندة وهي مدينة بحرية من جزيرة رودس وظهر في مدة حكم اكرسيوس ملك مدينة لديا وكان يعد من اعظم العقلاء من مدة صغره وكان له صورة عظيمة وقامة معتدلة ذا قوة شديدة وسافر الى بر مصر في زمن صباه لاجل ان يتعلم الفلسفة على حسب عوائد ذلك الوقت ولما رجع تزوج بامرأة عظيمة جدا نشأت بين اهلها في غاية العز فولد لهما بنت تسمى اقلوبيين صارت حكيمة جدا مما اكتسبته من ابيها حتى الخمت عظماء الفلاسفة في ذلك الوقت خصوصا في الالغاز وكانت اديبة محسنة جدا ومن حسن اخلاقها كان كل من حضر عند والدها في الدعاوي تغسل رجليه قريبا كان ام بعيدا على حسب عوائدهم وكان قد اختير حاكما في مملكة صغيرة من ممالك اللنديين فوفى بأداء الحكومة حتى كأن المملكة من اجله انما هي عيلة واحدة وكان يتباعد جدا عن الامور التي تجلب الحرب وكان يحب الاتفاق مع اهل البلاد ومع الغرباء واعظم معرفته في المكاتيب التي كان يكتبها ويلقيها على الناس لانه كان اما ان يفسر فيها مسائل معضلة بغاية الدقة واما ان يكتب فيها ألغازا ويلقيها على الناس فهذا هو الذي صير له صيتا وشهرة عظيمة وهو الذي اظهر في بلاد اليونان الالغاز التي تعلمها من المصريين وهو صاحب هذا اللغز الآتي انا اب لي اثنا عشر ولدا كل ولد له ثلاثون بنتا مختلفات الجمال منهن من وجهها كامل في البياض ومنهن من وجهها كامل في السواد وكلهن غير فانيات ويمتن كل يوم وجواب هذا اللغز السنة وهو الذي عمل الرسوم المكتوبة على قبر ميداس ومدح هذا الملك بالمدح الكلي وزعم بعض الناس ان هذه الكتابة هي من عمل اوميروس كان قبل ميداس بزمن طويل وكان هذا الحكيم يقول ان اصل الفضائل

الفرار من الظلم والامور الذميمة وقال ينبغي مراعاة الترتيب والزمن والمقايسة والتأمل في جميع الاشياء ولاجل ابعاد الحمق العظيم من جميع الممالك يلزم كل واحد من اهالي البلد ان يعيش على قدر مرتبته وانه لم يوجد شيء في الدنيا اكثر من الجهال والمتشدقين وكان يقول اجتهد دائما في ان تكون عظيم الرأي لا جاهلا ولا خائنا واصنع الجميل مع اصحابك واعدائك فبهذا تبقى مع احبابك على المحبة ويمكن ان تكتسب محبة اعدائك وقبل خروجك من منزلك تفكر في الذي تريد ان تعمله وبعد دخولك في منزلك أعد فكرك في الذي تقدم وكان يقول تكلم قليلا وتفكر كثيرا ولا تتكلم في احد بسوء ابدا واستشر دائما الذي تظنه اعقل منك ولا تتهمك على الحظ واصطلح مع اعدائك ان كان لك اعداء ولا تأخذ شيئاً بطريق القهر والغلبة واجتهد في تربية ذريتك وفي تعليمهم ولا تسخر من الفقراء واذا تنسم لك الوقت فلا تكن متكبرا واذا جار عليك الوقت فلا تضجر ابدا ولا تتزوج دائما الا بالكفؤ لانك اذا تزوجت بامرأة تكون اعلى منك حسنا كان جميع اقاربها كأنهم ساداتك ولهم عليك الكلمة وكان يقول ان الاب يلزم ان يكون عنده تمييز خصوصي لذرية البنات ولم يلتزم ابدا ان يزوجهن بمجرد بلوغ السن بل بعد كمال عقل النساء وحسن الرشد وان الرجل لا ينبغي له مدح زوجته عند الاجانب ولا يليق به ذلك ولا تنبغي المشاجرة معها عند الاجانب ايضا فان مدحها عد ذلك ضعفا وان نازعها بحضرة الناس كان ذلك من الجنون ولما علم اكليوبول ان سولون ترك بلده بالكلية عمل غاية جهده لاجل ان يجذبه ويجابه عنده وكتب له هذا الجواب ونصه ان لك كثيرا من الاصحاب الذين جميع بيوتهم كبيتك فاظن انك لم تكن تستريح في ملكك احسن من مدينة لندة فهذه المدينة هي بحرية وحرة بالكلية ولا تخف ابدا من بيزستراتث وجميع اصحابك يحضرون ينظرونك

ولا يخشون من شيء انتهى   واكليوبول مضى ايام عمره متوسط الحال ومعيشته سالمة خالية من هموم الدنيا وكان حسن العشرة مع زوجته واولاده واهالي بلده وكان فلسفيا عظيما وتوفي بعد ان عاش سبعين سنة وكان طول عمره محترما مجلا واهل مدينة لندة حزنوا عليه الحزن الشديد وعملوا له قبرا عظيما منقوشا لاجل تشريفه

﴿ تاريخ ابيمنيدس الفيلسوف ﴾

جاء بمدينة أثينا في الاولمبياد الخامس والاربعين ويقال أنه نام سبعة وخمسين سنة في مغارة وقد عاش في هذه المغارة مائة وأربعة وخمسين سنة وقيل مائة وسبعة وخمسين سنة وقيل مائتين وثمانية وتسعين سنة وكان ابيمنيدس من مدينة اغنوس، واشتهر في جزيرة كريد حين ان كان سولون مشهورا شهرة عظيمة في مدينة أثينا وكان ابيمنيدس منهمكا في العبادة وافنى عمره في الزهد والديانة وكان اليونان يزعمون انه ابن منف بلط وهو عندهم جنية او من الحور العين وكان يعتقدون انه يوحى اليه لانه كان دائما ذا كهانة واخبار بالمغيبات وكان لا يشتغل دائما الا بنظم الاشعار وبالاشياء المتعلقة بالديانة فكان اول من قرب القربان للهياكل وطهر الارض والمدائن والمنازل وكان لايعتبر اهل بلده ولا يحترمهم   فان مارى بوليس ذكر بعضاً من اشعاره التي قالها في حق اهل جزيرة كريد ووصفهم فيها بكونهم ارباب كذب عظيم وارباب كسل وانهم من شر الحيوانات وكان ابيمنيدس ارسله ابوه ذات يوم فى الخلاء ليرعى نعجة له في الكلا فعند رجوعه الى المنزل رجع من طريق طويلة وكان اذ ذاك وقت الظهيرة فاشتد به الحر فدخل فى مغارة لاجل الراحة الى ان تذهب شدة الحر فنام فيها سبعة وخمسين سنة فلما استيقظ من نومه ظن

انه نام على العادة مدة قليله فنظر الى النعجة فلم يجدها فخرج من المغارة فرأى سطح الارض قد تغير بالكلية فتعجب جدا من ذلك وذهب يعدو وهو متعجب الى المحل الذى بعثه ابوه منه بالنعجة فرأى المساكن قد تغير اهلها وصار يخاطبهم فلم يفهموا ما يقول فذهب فى مدينة اغنوس حائرا خائفاً فصار يرى وجوها غير الذي كان يعهدها فزاد تعجبه جدا من ذلك ودخل بيت ابيه فسأله اهل المنزل من اين انت وما تريد فصار يذكر لهم حال نفسه وصفتها وهم لا يفهمون ذلك ولم يعرفه احد منهم الا اخاه الصغير الذي كان ولد في زمن خروجه بالنعجة وصار الآن شيخاً هرما فعرفه بعد ان حصل له التعب الشديد فى افهامهم فصار له فى جميع البلاد صيت وشهرة بهذا الامر العجيب المستغرب وصاروا يرون ذلك من المعجزات الا جماعة لم يصدقوا انه مكث فى نومه تلك المدة بل اعتقدوا أنه كان فى هذه المدة مسافرا فى بلاد غريبة غير معروفة ثم عند حضوره اخبر بذلك الامر او أنه أراد بذلك خطاب الحمقى ولما فعل مغقليس امورا فظيعة فى فتنة قولون فقتل جميع من كان فى هذه الفتنه حتى انه لم يحترم من احتمى فى محاريب الاصنام بل قتله ايضاً فحصل عند الأثينيين خوف من ذلك ثم اذداد خوفهم من الطاعون الذى افناهم وخرب بلادهم وزعموا ان مدينتهم امتلأت من الجن فذهبوا الى معبودهم الذي يقربون له القربان واخبروه بما وقع فى المدينة من امتلائها بالجن وان ليس هذا الا سحرا فيها وكتابة ببغضها وكراهتها فلذلك وقع فيها هذه الامور الشنيعة وارسلوا حالا رجلا يسمى نقياس الى جزيرة كريد واعطوه سفينة لاحضار ابيمنيدس الذي اشتهر امره فى جميع بلاد اليونان فلما حضر فى مدينتهم اخذ جملة من الغنم البيض والسود وذهب بها الى محكمتهم المسماة اريوباج وتركها تمشي على حالها كما تريد وأمر جماعة ان يتبعوها وأمرهم ايضاً بأن يذبحوها وكلما ذبحوا واحدة يجعلونها قربانا لاله من الآلهة ويكون

الذبح المذكور فى المكان الذي تقف فيه النعجة عن المشي لنحو الاستراحة فلذلك كان فى زمن لويرس يرى حول مدينة أثينا جملة من المحاريب والقربان مهداة لآلهة غير معينة وقد ترتب على هذا الفعل مقصودهم فذهب الطاعون من عندهم وعند حضور ابيمنيدس الى مدينتهم حصل بينه وبين سولون الصحبة وغاية المودة وحصل لابيمنيدس السرور من احكامه وصار ينهاهم عن الامور الغير اللائقة التي كانت تفعلها النساء على القبور وصار يعودهم شيئاً فشيئاً على ان يحضروا الصلاة في وقتها وان يقربوا القربان لمعبوداتهم وقال لهم يلزم الانسان ان يجرى على هذا المنهج وان لا يرتكب الا ما يليق بحاله ولا يعصى الحكماء والقضاء وذهب ذات يوم ليتفرج على مينا مدينتهم المسماة مونيخيا فلما رآها قال لمن حوله ان الناس فى غفلة عظيمة لانهم لم ينظروا فى العواقب ولو علم اهل مدينة أثينا ما ينشأ عن هذه المينا من المصائب الكثيرة لبادروا بسدها واهتموا بابطالها ثم انه بعد ان مكث مدة من الزمن فى مدينة أثينا اراد السفر من عندهم وعزم على عدم العود اليها ابدا فجهز له الاثينيون سفينة عظيمة وعرضوا عليه مقدارا من الدراهم في نظير تعبه فامتنع من اخذها وقال يكفيني سرورا وفرحا محبتكم والذي ارجوه منكم ان تعقدوا المعاهدة بينكم وبيننا وكان قبل خروجه بنى فيها هيكلا عظيماً وجعله منذورا على الفورية وهي من السفليات وامر ابيمنيدس الياقوسيين انهم يلاحظونه ويتذكرونه فى جميع امورهم وكان لا يراه احد يأكل أبدا فكانوا يزعمون ان الوحي هو الذي يطعمه وانه جاعل له ما يأكله فى ظلف بقرة وهو المنّ ولا يأكل سوى ذلك من غير ان تخرج منه فضلات اصلا

وكان يخبر اهل مدينة لقدمونا بما سيحصل لهم من الارقاديين من الشدة والصعوبة والاسر وكان يبني هيكلا وهبه للوحي او للجان فبينما هو يبني اذ سمع صوتا من السماء يصيح به يا ابيمنيوس لا تقل ان هذا الهيكل للوحي وانما

هو للاله الاعلى وبلغه ان سولون خرج من مدينة أثينا فكتب له جواباً لتسليته وجبر خاطره وأمره فيه بانه يجتهد في الذهاب الى جزيرة كريد وقال له يا صاحبي عليك بالصبر وليكن عندك اهتمام في النظر في حال بيزستراتث فان كان قد اعاد الناس المعتادين على عدم الحرية والاستقلال من حكمه او الذين لا يمكنهم الاستمرار تحت القوانين العظيمة لما كانوا عليه من الذل والاسترقاق فانه يمكن ان يدوم حكمه ويمكن زمنا طويلا ولكن حيث كان هؤلاء الناس اهلا للحرية ومستعدين للذب عن انفسهم فانك اذا طلبتهم لذلك وجدتهم معك وذلك لما هو حاصل لهم مما يوجب الفضيحة من وضع الاغلال في اعناقهم المدة الطويلة في حكم هذا الرجل ولو فرض ان بيزستراتث يبقى حاكما طول عمره بهذه المثابة فانه لا يمكن لذريته التولية بعده على المملكة وذلك لان الناس الذين تعودوا على الحرية والاستقلال والقوانين الحسنة لا يمكنهم ان يمكثوا ويستمروا على هذه الحالة من الذل والاسر واخبرك بانك لا تسكن ابدا بلاد الغير كأنك غريب تذهب من محل الى محل آخر بل بادر بالحضور عند مدينة كريد التي ليس فيها ظلم ولا طغيان اصلا فاني اخشى عليك ان يقابلك بعض اصحاب بيزستراتث في الطريق كما هو الظاهر فلا تضر الا بنفسك وافنى ابيمينيدس عمره في تعليم الاشياء المتعلقة بالديانة وكان يحب نظم الاشعار فقد ألف جملة من الكتب مراعياً فيها قانون من الشعر ونظم كتباً ايضاً وتكلم فيها على غزوات عدة أمم وصنف مصنفات أخرى في تقديم القربان وفي جمهورية جزيرة كريد وألف أيضاً تاليفات تتعلق بما وقع بين مينوس ورادمنتي ومات ابيمينيدس وسنه مائة وسبع وخمسون سنة وقيل ان عمره مائتان وثمان وتسعون سنة وكانت مدة حياته محتوية على حكم واسرار وقد تعجب بعض الناس غاية العجب في المدة السابقة التي مكثها في المغارة وهو نائم ثم استيقظ بعدها وكان أهل جزيرة كريد يقربون له بعد موته

القربان كأنه اله وكان مسمى عندهم قوريت يعني سيدا وقد اعتنى به اهل مدينة لقدمونا وحفظوا جسمه عندهم غاية الحفظ بسبب اخبار بعض الكهنة القدماء بذلك

﴿ تاريخ انخرسيس الفيلسوف ﴾

جاء هذا الفيلسوف في مدينة أثينا في الاولمبياد السابع والاربعين وقتل بعد ان رجع لبلده بمدة قليلة من الزمن ويقال انه ظهر في عصر جماعة كثيرين من اعظم الفلاسفة المتقدمين وكان انخرسيس تتاري الاصل وكان محترما بين الحكماء غاية الاحترام وكان اخوه يسمى قدويداس ملك بلاد التتار وكان ابوه يسمى اغنوروس وكانت أمه يونانية فلذلك كان جامعا بين اللغتين وكان فصيحا ذا نشاط في كل شيء يعانيه ويتعلق به وكان يلبس في اغلب اوقاته ثيابا عريضة طويلة مرتفعة الثمن جدا وكان غذاؤه خصوص اللبن والجبن فقط وكان سريعا في خطبه مع اختصار دقيقا في الفاظه وعباراته ولاجل كونه لا يسأم من مطلق شيء يزاوله ويعانيه كان كلما تعلق بامر من الامور اتمه واكمله وكانت سليقته البلاغة والسرعة في الكلام وكانت عباراته تستعمل كالامثال فكان اذا ماثله احد في النطق بمثلها يقال ان فلانا يتكلم بعبارة تتارية وقد رفض انخرسيس سكنى بلاد التتار وعزم على السكنى بمدينة أثينا فحضر في تلك المدينة وذهب الى بيت سولون وقرع الباب فجاءه شخص يفتح له الباب فقال له اخبر سولون بان من بالباب أتى بقصد زيارته والسكنى عنده مدة من الزمن فارسل سولون يقول له ان الانسان لا يمكنه قبول الضيوف الا ببلده او بمحل يكون له فيه التصرف فلما سمع انخرسيس ذلك دخل في البيت وقال يا سولون انت في بلدك وفي بيتك الخاص بك

فحينئذ عليك ان تقبل الضيوف تخذ فى أسباب الصحبة معى فتعجب من فصاحته وحصل له غاية السرور من ضيافته وعقد معه الصحبة واستمرا على الصحبة والمودة الى آخر عمرهما وكان انخرسيس يحب نظم الاشعار فلذلك نظم جميع قوانين بلاد التتار وضم لذلك منظومة في علم الحرب وكان كثيرا ما يقول شجرة الكرم ينشأ عنها ثلاثة اشياء السكر والحظ والندم وكان يتعجب كثيرا من مجالس أثينا العمومية وذلك ان الحكماء هم الذين يفيدون الاحكام ولا يجريها الا الحمق وكان يعجب أيضاً من الحكم بالعقاب على من حصل منه سبب لاحد ولو اقل قليل ولا يلتفتون لمن يحصل منه اعظم من ذلك كاصحاب الالعاب من سبهم الاعيان وغيرهم في ألعابهم بل يحترمونهم ويكرمونهم وكان يتعجب أيضاً من اليونان فى موائدهم حيث يشربون فى ابتداء الاكل بالكاسات المتوسطة بين الصغر والكبر وفي آخر الاكل يشربون في الكاسات الكبيرة مع احساسهم بمبادئ السكر وكان لا يمكنه ان يتحمل المزح ونحوه مما شأنه ان يكثر صدوره في الولائم وسألوه ذات يوم كيف العمل في منع الانسان من شرب النبيذ فقال لهم لم يوجد في ذلك طريقة احسن من ان يجعل امام ذلك الانسان شخص سكران فيذهب عنده ويختلي معه ويتأمل في احواله وسألوه ايضاً ذات يوم هل في بلادك آلات موسيقي فرد عليهم تبكيتا لهم وقال بل ولا العنب وكان يسمى تدليك المسارعين بالزيت حين ارادتهم اللعب تجهيز الجنون العظيم وقد تأمل ذات يوم في ثخن ألواح سفينة فتاوه باعلى صوته وقال ان المسافرين في البحر ليسوا بعيدين عن الموت الا بمقدار اربعة اصابع وسألوه ايضا عن آمن السفن فاجاب بانها هي التي تأتي الى البر سالمة وكان دائما يكرر ويقول يجب على كل انسان ان يمتلك لسانه وبطنه وكان عند نومه يضع يده اليمنى على فيه وهذا منه اشارة عظيمة الى انه ينبغي للانسان ان يهتم الاهتمام الكلي ويحرص

على حفظ لسانه وصونه وجاءه رجل من اثينا وعيره بكونه من التتار فقال له ان بلدي قد فضحتني وانت قد فضحت بلدك وسئل ذات يوم هل في الرجال قبيح وحسن فاجاب بان فيهم اللسان وكان يقول الصديق الواحد الموفى بحق الصحبة والصداقة اولى واحسن من اصحاب متعددين لا يجتمعون على الانسان الا في حال الثروة والغنى وكان حين يسأل هل الاحياء اكثر ام الاموات يقول في الجواب من اي قبيل تعدون من فوق البحر

وكان يقول اتخذ الناس الاسواق لاجل غش بعضهم فيها وكان ذات يوم مارا من زقاق فسخر به رجل بعقله تخدير فرمقه بطرفه وقال بهدو يا هذا الشاب امك الآن وانت شاب لم تحمل النبيذ فسيمر بك تحمل الماء وانت شيخ هرم وطالما شبه القوانين بنسج العنكبوت وكان يلوم سولون على دعواه ان كتابة القوانين تمنع شهوات الناس ومن مخترعاته طريقة عمل اواني الفخار بالدولاب وذهب انخرسيس ذات يوم الى كاهنة صنم هيكل الشمس ليستخبرها هل يوجد حكيم اعظم منه فقالت له نعم وهو ميزون الشانيسي فتعجب انخرسيس من كونه لم يكن سمع به قط وذهب يبحث عنه في قرية كان هاجر اليها فوجده يصلح محرانه فقال له ياميزون لم يبق لحرث الارض وقت فقال ميزون قد عكست بل وهناك وقت لاصلاح المحراث المكسور وميزون هذا قد عده افلاطون من جملة الحكماء وكان منفردا دائما عن الناس ومضى عمره على ذلك لا يجتمع مع احد لانه كان يكره الناس بالطبع وروى ذات يوم ابعد في مكان العزلة وهو يكثر في الضحك جدا فقرب منه انسان وسأله ما سبب هذا الضحك الكثير مع عدم احد عندك فقال له هذا هو سبب ضحكي وكان اكريسيوس قد سمع بصيت انخرسيس كثيرا فارسل يعرض عليه هدية دراهم وترجاه ان يحضر اليه بساردیس فاجابه انخرسيس بقوله ياسلطان اللذين اتيت ببلاد اليونان

لاتعلم اللغة والاخلاق وعوائد البلاد ولست محتاجا لذهب ولا لفضة وسيدخل عليّ سرور كبير حين ارجع الى بلاد التتار امهر مما كنت عليه وقت خروجي منها وساحضر عندك لاجل زيارتك لاني اتمني ان اكون من اصحابك وبعد ان مكث مدة طويلة في بلاد اليونان عزم على الرجوع الى بلاده فلما مر في سيره بمدينة « قيربيك » رأى اهلها في اشهار العيد العظيم لام الآلهة فنذر انخرسيس لهذه الالهة على نفسه قربانا وعيدا مثل قربانهم وعيدهم وان يرتبهما لها ببلده في كل سنة ان وصل الى بلاده سالما فلما وصل الى بلده اراد ان يغير عوائدهم القديمة وان يجرى فيها قوانين اليونان فلم يعجبهم ذلك اصلا ودخل ذات يوم في غابة سرا ببلدة «هوله» ليوفى ما عليه من النذر الذي التزمه خفية من غير ان يطلع عليه احدفاخذ يعمل المولد لها وهو ماسك بيديه طفلة قدام القربان الذي نذره لآلهة اليونان كما يعملون فاطلع عليه شخص من اهل بلاد التتار فذهب الى الملك واخبره بذلك فحضر الملك في هذه الغابة ورأى اخاه انخرسيس على تلك الحالة فضربه بسهم فغاص فيه فلما قرب خروج روحه صرخ وقال باعلى صوته قد تركت في الراحة ببلاد اليونان التي كنت ذهبت اليها لاتعلم اللغة والاخلاق وعوائد بلاد ميلادي ثم انهم جعلوا له جملة صور بعد وفاته لتبقى سيرته

﴿ تاريخ فيثاغورس الفيلسوف ﴾

ظهر فيثاغورس قريبا من الاولمبياد المتمم ستين وجاء الى ايطاليا في الاولمبياد الثاني والستين وتوفى في السنة الرابعة من الالومبياد المتمم سبعين وعمره ثمانون سنة وقيل تسعون سنة وكان يوجد فرقة مشهورة بالفلسفة

في « يونيا » وايطاليا فطاليس من مدينة مليطا كان شيخ اليونانية وكان فيثاغورس شيخ الايطالية وقد روى ارستيب الغرنياني ان هذا الفيلسوف سمي فيثاغورس لانه كان من قوة كهانته يخبر بالاشياء فتقع كما أخبر مثل اخبار كهنة الشمس وهو اول من امتنع تواضعاً منه ان يلقب حكيما ورضي بلقب الفلسفة والصحيح الذي اشتهر ان فيثاغورس من جزيرة ساموس وان اباه كان يسمى امنيزارك النقاش وان حقق بعضهم انه من طوسكانه وانه ولد بجزيرة صغيرة من جزائرها التي استولى عليها الأثينيون الممتدة على شاطئ البحر الترهيني وكان فيثاغورس يعرف صنعة ابيه وصنع بنفسه ثلاثة كؤوس من الفضة واهداها لثلاثة من القسيسين المصريين وكان اشد ميلا لاول معلميه الحكيم فيرسيد وكان هذا الحكيم يحبه جدا حتى انه ذات يوم كان على خطر الموت من المرض فاتاه تلميذه ليعوده وينظر حاله فمن خشية فيرسيد ان يكون مرضه معديا اسرع بغلق الباب دونه واخرج اصابعه من بين الواح الباب وقال له انظر وتأمل لاصابعي التي قد نحلت تعلم حالتي وبعد ان مات فيرسيد مكث فيثاغورس مدة من الزمن وهو يتلقى عن هرمودامنط بجزيرة ساموس ثم بعد ذلك لرغبته الكلية في التعلم ومعرفة اخلاق الغرباء ترك وطنه وجميع املاكه للسفر فمكث بمصر مدة طويلة لمخالطة القسس وليتبحر في الاشياء الدقيقة الخفية في دياناتهم وكتب بوليقراط الى امزيس ملك مصر يوصيه على فيثاغورس باكرامه واحترامه ثم بعد ذلك توجه فيثاغورس الى بلاد الكلدانية ليتعلم علم المجوس وبعد ان سافر في عدة مواضع من بلاد المشرق اتى الى مملكة اكريطه واتحد مع الحكيم ابيمنيدس اتحاداً كليا ثم خرج من هذه المملكة وذهب الى جزيرة ساموس فرأى اهل بلده قد حل بهم الظلم تحت حكم بوليقراط فحصل له غيظ شديد من ذلك وقدح فكرته في هذا الشان فأدته الى انه ينفي نفسه بنفسه فذهب الى ايطاليا وسكن

باقروطون فى بيت ميلون وعلم النـاس الفلسفة واشهرها فنشأ من ذلك ان المذهب الذي علمه سمى ايطاليا وقد انتشر صيت فيثاغورس وشاع في سائر بلاد ايطاليا وكثرت تلامذته فكان الملازمون له اكثر من ثلاثمائة تلميذ فتألف منهم جمهورية صغيرة مرتبة ترتيبا حسنا وذكر جماعة في كتبهم ان « نوما » كان من جملة هذه العدة وانه سكن بمدينة اوقرطون عند فيثاغورس حين اتته سلطنة مدينة رومية ولـكن ادعى ثقاة النسابين انه لم يقل ما تقدم الا بسبب ان فيثاغورس وافقت آراؤه آراء « نوما » الذي كان يعيش قبل وجود هذا الفيلسوف زمناً طويلا وكان فيثاغورس يقول ان سائر اشياء المحبين شيوع بينهم وان المحبه ترث المساوات بين الاحباب فلذلك كان هؤلاء التلامذة متحدين ولم يتميز احد منهم بشيء يخصه بل كان كل ما يملكونه لجميعهم ولم يكن لهم الا كيس واحد وكان التلميذ يمكث خمس سنواته الاول في استماع أصول معلمه من غير ان يتفوه في تلك المدة بكلمة واحدة ثم بعد هذا الامتحـان الطويل ومقاساة تلك الشدة يؤذن له فى الكلام وان يحضر عند فيثاغورس لزيارته والمحاورة معه وكان فيثاغورس مهابا محترما وكان معتدل القامة حسن الصورة وكان في جميع اوقاته يلبث ثوبا لطيفاً من الصوف الابيض مع غاية النظافة دائما وكان لا يميل لهوى نفسه وحظوظها وكان اذا اودع سرا لا يبوح به ويحافظ على كتمانه جدا ولم يره احـد يضحك ولم يسمع منه مزاح ولا هزل وكان لا يقتص من احد فى حال غيظه بل كان لا يضرب عبيده بيده فلهذا كانت تلامذته يعتقدون الوهيته وكان جميع الناس يأتونه افواجا افواجا من سائر الجهات ليحظوا بسماعه ويتأملوا منه وهو بين تلامذته فكان يأتي في مدينة اقروطون فى كل سنة اكثر من ستمائة من الناس من جميع البلاد فكان السعيد عندهم صاحب الشان العظيم هو الذي يدنو من فيثاغورس ويتداخل معه قليلا وكان فيثاغورس قد رتب جملة من

الامم قوانين لطلبهم ذلك منه وترجيهم له وقد كان من كثرة ما اعجب جميع الناس ما كان يفرقون بين اقواله واقوال كاهن دلفيس وكان يحرم الحلف بالآلهة والاستشهاد بها فى جميع الاشياء تحريما كبيرا وكان يقول يلزم لكل انسان ان يغلظ على نفسه حتى يصير متصفاً بالكمال لاجل ان لا يعسر على احد تصديقه بمجرد الاخبار وكان يزعم ان العالم له روح وادراك وان روح هذا الدولاب العظيم هو الاثير فمنه جميع الارواح الجزئية للآدميين وسائر الحيوانات وكان يقول ان الارواح لا تفنى غير انها تسوح في الهوى من جهة الى اخرى الى ان تصادف جسما اياكان فتدخل فيه مثلا اذا خرجت الروح من جسد الانسان فيتفق ان تدخل فى جسم فرس او ذئب او حمار او فار او طائر او سمكة او غير ذلك من باقي انواع الحيوانات كما يتفق انها تدخل فى جسد انسان أيضاً من غير فرق كما انها اذا خرجت من جسم اىّ حيوان تدخل في جسم انسان او في جسم حيوان فلذلك كان فيثاغورس يشدد في منع اكل الحيوانات وكان يزعم أيضاً ان ذنب من يقتل الذبابه او الزنبور او غيرهما من الهوام مثل ذنب الذى يقتل انسانا حيث ان سائر الارواح واحدة متنقلة فى جميع الحيوانات واراد فيثاغورس ان يثبت لجماعته مذهبه فى تناسخ الارواح فاخبرهم انه كان سابقاً في جسد اسمه ايثاليديس وادعى انه كان ابن عطارد من آلهة اليونان وكان عطارد يقول له اذ ذاك سل مني ما تحب تعطه ما عدا البقاء والدوام حتى يتم غرضك ومقصودك فطلب منه ان يعطيه قوة تذكر جميع الاشياء التي تحصل له في الدنيا في حياته وبعد مماته ومن ذلك الوقت صار عالما بجميع ما يقع في الدنيا واخبرهم أيضاً بانه لما خرج من جسم ايثاليديس انتقل الى جسم اوفوربه وكان حاضرا في حصار مدينة تروادة وجرحه شخص يسمى مينلاس جرحا شديدا وبعد ذلك خرج الى جسم هرموتيموس وفي هذا الزمن اراد ان

يثبت للناس ما وهبه له عطارد فذهب الى بلد ابرانخيدس ودخل هيكل اوبولون واراهم فيه درقته البالية التي كان سلبها مينيلاس حين جرحه ونذرها لذلك الهيكل دليلا على نصرته ثم انتقل الى جسم صياد يسمى بورروس ثم الى ذلك الجسم الذى هو فيثاغورس وانه لم يعد انتقاله الى اسم ديك كذا او طاووس كذا او غير ذلك وقال انه حين سفره في اودية جهنم رأى روح الشاعر هزيودس مسلسلة في الاغلال ومصلوبة في عمود وتقاسي الشدائد جدا ورأى ايضاً روح هوميرس معلقة في شجرة واحتاطت بها الافاعي من كل جانب وذلك عقاب له على اكاذيبه التي كان ينسبها للآلهة ورأى ارواح الرجال الذين كانوا لا يحسنون العشرة مع نسائهم ويسيئونهن في غاية العقاب في تلك الاودية واتفق ان فيثاغورس بني له تحت الارض حجرة صغيرة وعند ما اراد النزول فيها عاهد أمه ان تكتب مع التحقيق سائر ما يحصل في مدة غيبته وسجن نفسه فيها سنة كاملة ثم خرج منها نحيفاً اشعث اغبر في صورة مهولة وجمع الناس واخبرهم انه كان في جهنم ولاجل ان يحملهم على تصديقه في ذلك شرع يذكر لهم ما حصل في مدة غيبته فظنوا انه فوق سائر البشر ورثوا لحاله وبكوا وتضرعوا الرجال اليه ان يعلم نساءهم فمن ذلك صارت نساء اوقروطون ينسبن اليه فيقال لهن الفيثاغوريسيات وكان فيثاغورس ذات يوم في محفل لعب عمومى من الناس فصفر صفيرا مخصوصاً واذا بنسر نزل له من الجو فتعجب منه الناس حين رأوه غاية العجب مع انه كان قد علم النسر على ذلك سابقا من غير شعور احد بذلك ولاجل ان يؤكد عندهم صحة التخيلات اراهم ايضاً فوق ساقه فخذا من ذهب وما كانت قرباناته الا العيش والفطير وما اشبه ذلك لانه كان يقول ان الآلهة تكره القربان من ذوي الارواح وانها تغضب على من يزعم تشريفها بقربان مثل ذلك وقد يظهر من اصول هذا الفيلسوف انه اراد ان يحول الناس عن

الامتلاء الى التقليل لانه الاولى لهم والاحسن لما يترتب عليه من الصحة وعدم شغل البال والفكر فيتفرغ العقل لوظائفه واحب ان يضرب المثل بنفسه فكان لا يكاد ان يشرب الا الماء القراح وكان لا يجاوز في غذائه العيش والعسل والفاكهة والخضروات ما عدا الفول فانه كان يتباعد عنه ولا يعلم لذلك سبب وكان يقول انما الناس في الحياة الدنيا كارباب الموسم الحفل بعض يأتيه للفرجة ومنهم من يذهب للتجارة ومنهم من يذهب للمسابقة ليمرن نفسه على القتال فكذلك حالهم في الدنيا بعض خلق اسير الفخر وبعض للحرص وبعض لا يحث الا عن مجرد الوقوف على الحقائق وكان يحب ان الانسان لا يطلب شيئاً لنفسه لانه يجهل ما يصلح له وقسم عمر الانسان اربعة اقسام متساوية فقال هو من صغره الى عشرين سنة صبي ومنها الى الاربعين شاب ومنها الى الستين رجل ومنها الى الثمانين شيخ ومتى زاد على ذلك لا يعد من الاحياء

وكان يحب علم الهندسة كثيرا وكذلك علم الهيئة وهو الذى نبه على ان النجمة التى تظهر احيانا وقت الصباح هي بعينها التي تبدو احيانا في المساء وهو الذي برهن على ان مربع الوتر في كل مثلث قائم الزاوية مساو لمجموع مربعي الضلعين الآخرين وقيل ان فيثاغورس حين اخترع هذه المسألة النظرية حصل له غاية السرور حتى ظن انها الهام الهي فاراد في ذلك الوقت ان يهدي قربانه بمائة من البقر اظهارا لشكر الاله هكذا ذكر في كثير من الكتب لكن هذا يخالف مذهبه من تحريم ذبح الحيوانات الا ان تكون تماثيل البقر اتخذت من الدقيق والعسل كما يصنع ذلك في القربان كل من انتسب اليه وذكر بعضهم انه مات من شدة فرحه بتلك المسألة لكن نص الحكيم لوبرقه على انه لا اصل لذلك وكان فيثاغورس يحب تأليف تلامذته ببعضهم وكان ربما علمهم وكلمهم بالاشارة كقوله لهم لا ينبغي لكم ان لا تقسطوا في الميزان يعني بذلك لا تخرجوا عن حد القوانين ولا تحيدوا عنها ابدا وكان

يقول لا تجعلوا الزاد الحاضر وطأ كم يكنى عن عدم الاكتفاء براهن الحالات وانه ينبغى الاهتمام بالمستقبلات وكان دائما ينبههم على ان كلا منهم يختلي بنفسه برهة من الزمن آخر يومه ويخاطبها بهذه الكلمات لمحاسبتها يانفسي كيف صرفت يومك هذا واين كنت فيه وماذا صنعت فيه من اللائق وغيره وكان يأمرهم ايضاً بالاقتصاد في ظواهر احوالهم وجعلها موافقة لحال من هم بينهم وعدم اظهار آثار السرور او الحزن وبر الوالدين وان يتمرنوا على الرياضات حتى لا تغلظ اجسامهم واحترام شيوخهم وان لا يفنوا أعمارهم في السفر وكان يحثهم على التمسك بطاعة الاله وعبادته كما ينبغى وكان لفيثاغورس عبد يقال زامولكيز من التتار قد اكتسب العلوم من سيده وفهم قواعد معارفه ولما رجع لبلده قربوا له قربانا ونظموه في سلك من يبعد عندهم وكان فيثاغورس يزعم ان الاصل الاول لجميع الاشياء هو الواحد ومنه تخرج الاعداد ومنها تخرج النقط ومن النقط تخرج الخطوط ومن الخطوط السطوح ومن السطوح الاجسام ومن الاجسام العناصر الاربعة وهي النار والهواء والماء والتراب التي تركب منها العالم وانها دائما تستحيل وتتغير ويرجع احدها للآخر ولا ينعدم من جواهر العالم شيء بل جميع ما يعتريه محض تغيير وكان يقول ان الارض مستديرة وانها موضوعة في وسط الكون وانها معمورة من سائر جهاتها فبناء على ذلك يوجد الناس مقاطرون لنا بمعنى انه لو رسم خط من قدم اي انسان الى اسفل الكرة لوقع على قدم انسان يقابله ويكون ذلك الخط قطرا للكرة وان الهواء المحيط بالارض غير شديد الحركة بل يكاد ان يكون قارا وهذا هو علة قابلية حيوانات الارض للموت والفساد بخلاف الهواء الذي في السماء فانه رقيق جدا شديد التحرك والاضطراب دائما فلذلك كان سائر ما في السماء من ذوي الارواح لا يزول ولا يفنى بل هي آلهة ابدية باقية فاذن الشمس والقمر وسائر الكواكب آلهة لانها في وسط هذا

الهواء الرقيق والحرارة الفعالة التي كانت اصلا للحياة وقد اضطربت الاقوال في موت هذا الفيلسوف وكثر فيه الخلاف فذهب بعض المؤرخين الى ان السبب فيه انه طرد بعضاً من تلامذته من عنده ولم يقبله فحصل له غيظ شديد حمله على ان اوقد النار ببيت ميلون الذي كان فيثاغورس مقيما به وذهب آخرون الى ان فاعل ذلك انما هو الاقروطينياطه خوفا من ان يستولى على بلادهم وترجع مملكتهم اليه فلما رأى فيثاغورس اشتعال النار وتاججها فى سائر جهات هذا الموضع بادر بالهروب ومعه اربعون من تلامذته وقال بعضهم انه هرب باشجار موزبس بمدينة ميتاغنته ومات جوعا في ذلك المحل وقال آخرون انه اضطر في هروبه الى دخول زراعة فول فقال ان الاولى لي ان اموت هنا خارج الزرع المسكين ولا اتلفه بالمشي وانتظر مع السكون الاقروطينياطه حتى قتلوه هو واغلب تلامذته وآخر الاقوال ان الذي قتله انما هو جماعة من السيراقوسيين وذلك لانه وقعت بينهم وبين الاغريجنتيين محاربة فذهب فيثاغورس لمساعدة الاغريجنتيين لانتمائهم اليه ومحبتهم له فهزموا فوجد فيثاغورس نفسه عند غيط فول فما اراد المرور فيه واستحسن مد عنقه للذين نقبوا جسده بالضربات وقتلوا من معه من التلامذة ولم ينج منهم الا القليل منهم ارشيتاس الطرنطيني الذي كان اعظم المهندسين في ذاك الوقت

﴿ تاريخ هيرقليس الفيلسوف ﴾

ظهر امره في الاولمبياد التاسع والستين وهو من مدينة افسوس وكان ابوه يسمي ابلوزون وظهر قريباً من الاولمبياد التاسع والستين كما سبق قريبا وكان يسمى في اصطلاحهم الفيلسوف المعمى لانه كان لا يتكلم الا بالالغاز ووصفه لويرقه بانه كان يحتقر الناس ولا يعتبر الا نفسه وكان يقول انه

يلزم طرد كتب اومـيروس وارخيلوقوس من سائر المواضع وكان له صاحب صديق يقال له هرمودروس نفاه اهل مدينة افسوس فمن ثم كان قلبه حزيناً وكان ينادى باعلى صوته ويقول ان جميع رجال هذه المدينة يستحقون الموت وأولادهم النفي لتمحى ذنوبهم التي فعلوها من نفيهم اعيان اهل بلادهم واعظم شجعانهم من اهل جمهوريتهم وكانت معارفه العظيمة وفصاحته وبراعته ناشئة من عقله وقوة فطنته لا بالتلقي والحضور على معلم وكان يزدري افعال الناس ويتأسف على عمي قلوبهم وغفلتهم فلذلك كان دائماً يبكي من غيظه وقال المؤلف جوفنال ان هذا الفيلسوف في دوام بكائه يباين دومقريطس في استمرار ضحكه على الناس في افعالهم وقال ايضاً ان ادامة دومقريطس الضحك على الناس رثاء لحالهم في قدرة كل انسان تدبر احوال اهل العصر تصوره وانما العجب كل العجب من تصور وجود عين ماء دائمة السيلان تمد دموع هيرقليطس الدائم البكاء ولم يكن هيرقليطس من المبدأ على منوال واحد لانه كان في صغره يقول اني لا اعرف شيئاً ثم لما طعن فى السن اظهر انه يعرف جميع الاشياء وانه لا يتعسر عليه شيء من المعارف وانه لا يعجبه احد من الناس ولا يحصل له حظ منهم وكان متباعـدا عن صحبتهم وكان يذهب للعب في الملاعب اللائقة عندهم قدام هيكل يسمى « ديانه » مع صغار تلك المدينة وكان اهل المدينة يجتمعون به ويتعجبون من لعبه مع صغارهم ويسألونه عن ذلك فيقول لهم يا هؤلاء المساكين لاى شيء تتعجبوا من لعبي معهم أليس هذا اولى واحسن من اجتماعى معكم واختلاطي بكم مع ما انتم عليه من قبيح الافعال بسبب عدم الاصلاح تدبيرات الجمهورية

وطلب منه اهل المدينة ذات يوم ان يرتب لهم قوانين فابى لما رأى من ان اخلاقهم وطباعهم فشا فسادها ولم يتيسر له كيفية تمنعهم عن ذميم الاخلاق وكان يقول انه يجب على الرعايا ان يجتهدوا الغاية ويبذلوا جهدهم فى

العمل بالقوانين وفي حماية البلاد ويلزم ايضاً انهم يبادرون بازالة الحقد والغل من بينهم اكثر من مبادرتهم باطفاء نار الحريقة لان ضرر الاول كثير عن الثاني جدا وذلك لان النار انما يتلف بسببها بعض البيوت واما الحقد والغل فانه ان لم يتدارك ويبادر بازالته قد ينشأ عنه الحرب الشديد وتخريب المواضع بل والتلف للرعايا ايضا واتفق انه حصلت فتنة عظيمة في مدينة افسوس فجاء بعض الناس الى هيرقليطس وترجاه ان يعمل طريقة لاطفاء هذه الفتنة امام العالم وينهاهم عنها فصعد هيرقليطس على منبر عال وطلب كأساً وملأه ماء وجعل فيه بعضا من الحشائش البرية وشرب ذلك الماء بما مازجه من تلك الحشائش ثم نزل وذهب من غير ان يتكلم بشيء وذلك اشارة منه الى انه يلزم لتدارك الفتن اجتناب زخارف الدنيا وتبعيد اللذات عن الجمهورية وتعويد الاهالي على الاكتفاء بأقل الاشياء وقد ألف هيرقليطس كتابا في علم الطبيعة وجعله بهيكل « ديانه » وسلك في كتابته طريقا صعبة بحيث لم يفهمه الا اكابر علمائهم خوفا من ان يطلع عليه عموم الناس فيرخص عندهم وتقل الرغبة فيه واشتهر شهرة عظيمة حيث يفهم مراد مؤلفه في عباراته فلما سمع دريوس ملك العجم بهذا الكتاب بعث مكاتبة للمؤلف يترجاه ان يحضر عنده فى بلاد العجم ويتوطن بها وان يفهمه معنى هذا الكتاب وانه يكافئه على ذلك بهدية عظيمة ويجعل له مسكنا في سرايته فلم يرض هيرقليطس بذلك وهذا الفيلسوف كان من دأبه الصمت فكان لا يتكلم ابدا فاذا سأله انسان عن سبب سكوته اجابه بغيظ ان سكوتي لاجل ان تتكلم وكان يحتقر الاثينيين لكونهم يحترمونه غاية الاحترام ولكونهم قد اعدوا له مسكنا عندهم بمدينة افسوس التى هى وسائر ما فيها احقر الاشياء عنده وكان دائما لا يرى احدا الا ويبكي على ضعف البشر وكون افعال الناس غير ملائمة واشتد به ذلك حتى اداه الى اعتزال الناس بالكلية واقام

بجبال قفرة لا يرى فيها احـدا وافنى عمره في البكاء والنوح وكان غذاؤه خصوص الحشائش والخضروات وكان هيرقليطس يزعم ان النار هي الاصل الاول لجميع الاشياء وكان يقول ان عنصر النـار يتغير بالتكاثف حتى يصير هواء وهذا الهواء ايضاً يتغير بالتكاثف ويصير ماء وكذلك عنصر الماء يصير بالتكاثف ترابا ثم ينعكس التغيير فاذا تفرق التراب تغير وصار ماء ثم الماء بالتفرق هواء والهواء نارا به فحينئذ الاصل الاول لجميع الاشياء هو النار

وكان يقول انه لا يوجد في الكون عالم غير هذا وقد تم الايجاد فلا ابدع منه وان هذا العالم قد نشأ وتركب من النار وانه سيذهب آخرا ويفنى بها

وكان يزعم ان الكون ممتلئ من الجن والعقول وان الاله لما قضى ازلا بوجود الاشياء تركها لتدبـير خلقه وان جرم الشمس لا يزيد عن المشاهد لنا وانه يوجد فوق الهواء اشياء تشبه الزوارق ويقابلنـا منها الجهة المقعرة واليها يصعد البخار من الارض وان جميع ما يسمى انجما ليس الا زوارق مملوءة ببخار ملتهب وان ما نشاهده من الضوء ناشئ من ذلك التلهب وان كسوف الشمس والقمر نشأ من دوران هـذه الزوارق حين تدور بمقعرها الى القطعة المقابلة للارض منها وقال ان سبب اختلاف منازل القمر هو ان زورقه ليس كثير الدوران بل يدور شيئاً فشيئاً اما كلامه في الروح فكان يقول اني افنيت عمري في البحث عنها بلا طائل حيث لم اظفر بحقيقتها لشدة خفائها ونشأ له مما قاساه في معيشته مرض عظيم وهو الاستـسقاء فرجع الى مدينة افسوس ليعالج نفسه فذهب الى بعض الحكماء وكان لا يفصح في كلامه عن مقصوده حيث كان لا يتكلم الا بالالغاز فقال للطبيب مشيرا الى مرضه هل لك في آن واحد ان تجعل المطر في الصحو واليبس فلم يفهم الحكيم مقصوده فتركه هيرقليطس وذهب الى مربض بقر ودخل فيه فوجد فيه الزبل والروث فاراد ان يصنع كيفية لاجل اخراج الماء الذي كان سببا

في ورمه فادخل نفسه في ذلك الروث وتوغل فيه ثم اراد الخروج منه فلم يمكنه واستمر حتى اكلته الكلاب وقال آخرون أنه مات حيث لم يمكنه الطلوع من هذا الوحل وكان عمره اذ ذاك خمسا وستين سنة

﴿ تاريخ انكسغوراس الفيلسوف ﴾

ولد في الاولمبياد السبعين وتوفي في الاولمبياد الثامن والثمانين وعمره اثنان وسبعون سنة وانكسغوراس هذا ابن اجيزيبول قد تعلم علم الطبيعة بطريق واضحة جدا وتلقاه عمن قبله من الفلاسفة وكان من مدينة اكلازومين احدى مدن يونيا وكان من عشيرة مشهورة في النسب والغنى اشتهر قريبا من الاولمبياد السادس والسبعين وكان تلميذا لاستاذ يسمى انكسيمينيس الذي كان تلميذ انكسيمنيدر احد تلامذة طاليس الذي عده جميع اليونان في اول عظماء حكمائهم وتولع انكسغوراس بالفلسفة وتعلق بها جدا فترك ما عداها من سائر الاماني وتفرغ لها بكليته وترك أمواله والتكسب وكل شيء عمومى او خصوصى خوفا ان يشغله ذلك عن قراءتها فاخبره اهله بان ذلك ليس من الصواب لانه يترتب عليه ضياع الاموال وتلفها فلم يقبل ذلك منهم وخرج من بلده بالكلية قاصدا ما عزم عليه من أمور الحقيقة والصدق وأسباب الخير وحين خروجه قابله بعض الناس فتجارى عليه وقال له انت لا لا تحب وطنك فقال له اني على خلاف ما ذكرت واني احب وطني حبا كثيرا وأشار باصبعه الى السماء ثم ذهب الى مدينة أثينا واقام بها ونقل اليها مكتبه المسمى اليونيقي بعد ان كان مؤسساً في مدينة مليطه في عهد طاليس مبتدع هذا المذهب وأخذ في تعليم الفلسفة من هذه المدرسة وعمره عشرون سنة مكث في التعليم ثلاثين سنة واتفق في بعض الايام انه جيء بشاة في مكتب

بيرقليس وكان لتلك الشاة قرن في وسط جبهتها فقال المنجم لبون ان هذا يدل على ان تفرق الاثنين الى عصبتين متباينتين سينقضي وتلتئم الفرقتان حتى تصيرا فرقة واحدة فقال انكسغوراس ان هذا الذي بالشاة امر خلقي لا يدل على شيء وانما سببه ان المخ لم يملأ جمجمة الرأس التي على شكل بيضة تنتهي بطرف مسنن في الموضع الذي ينبت منه القرن في الرأس وشرح لهم رأس هذه الشاة على رؤوس الاشهاد فوجد الامر كما قال فعند ذلك حصلت له شهرة عظيمة وصار محترما عندهم ومع ذلك فلم يقدح كلام انكسغوراس في الذي تفاله ذلك المنجم فانه بعد ذلك برهة انهزمت فتنة توفوديدس ودخلت جميع مصالح المملكة تحت حكم بيرقليس • ويقال ان انكسغوراس هو اول من اشهر علم الفلسفة بطريق جلية في جميع اليونان دون سائر المعلمين من الحكماء وكان يقول بعدم التناهي وانه هو الاصل الاول لكل موجود ويقول أيضاً بالعقل الذي يفيض على كل مادة ما يليق بها من الصورة بان يركب موادها بالالتئام ويفيض عليها الشكل اللائق بها ولهذا سماه حكماء عصره بالعقل لقوله به فليس قصده ان العقل ابرز الموجودات من عدم انما كانت في حيز الوجود مفرقة فرتبها ويدل لذلك قوله بان سائر الاشياء كانت جواهرها مختلطة ببعضها ومكثت بهذا الوصف حتى ميزها العقل عن بعضها اجناساً ورتب كل جنس في مرتبته وقد بين الشاعر اويديس هذا المذهب في مبدأ قصائده المسماة قصائد التناسخ • وبالجملة فانكسغوراس لا يقول بالوهية غير العقل المتقدم وشنع على جميع آلهة الجاهلية حتى قال بعضهم ان اله الصواعق انزل على هذا الفيلسوف صاعقة من السماء فاهلكته جزاء على انكاره له

وكان يقول لا فراغ في الجو بل سائره مملوء وان سائر الاجسام تقبل القسمة الى ما لا نهاية له ولو كان الجسم صغيرا جدا بحيث انه لو وجد قاسم ماهر وآلة تقسيم يمكن ان يستخرج من رجل البعوضة اجزاء لو وضعت على

الف الف سماء لسترتها من غير تناهيها في نفسها بل لا تزال قابلة للقسمة لان الفرض ان لا تناهي لشيء من الاشياء وكان يزعم أيضاً ان كل جسم مركب من اجزاء صغيرة متجانسة فالدم مثلا مركب من اجزاء صغيرة من دم والماء من اجزاء صغيرة من الماء وهكذا سائر الاشياء ومن ثم سميت الاقسام جنسية وقد اسس لوبرقه مذهبه على تلك القاعدة ومما اعترض به على هذا الفيلسوف في هذا الزعم انه بالضرورة كان يلزم ان تكون الاجسام مركبة من اجزاء غير متجانسة لان عظم الحيوان يتزايد في الجرم مع انه لا يتغذى بعظم وكذلك عروقه تطول وتغلظ من غير ان يتعاطى العروق في غذائه ويزيد دمه ويكثر من غير ان يشرب دما فاجابه بانا نسلم انه عند التدقيق لا يوجد في الحقيقة جسم تام التجانس في الاجزاء بل لا بد وان يختلط به اجزاء من غير جنسه فالحشيش مثلا فيه لحم ودم وعظم وعروق لانا نرى الحيوانات تغتذى به فكل جزء من جزاء الحيوان ان يجذب اليه ما في الحشيش من جنسه وحينئذ فتسمية الجسم باسم حشيش او خشب مثلا يكفي في صحتها كون معظم اجزائه من نوع الحشيش او الخشب لا شيء آخر ويكون ذلك المعظم هو الساتر لسطح الجسم الاعلى المرئي وكان يزعم ان الشمس ليست الا قطعة من حديد حامية وان جرمها اكبر من جميع بلاد موره وان القمر ليست الا جسما مظلما في نفسه ويمكن انه مسكون وبه جبال واودية كما في الارض وكان يزعم أيضا ان النجوم ذوات الذنب هي عدة من النجوم السيارة المتحيرة تتلاقى ببعضها من غير تعيين زمن لذلك التلاقي ثم بعد مضي جملة من الزمن تتفرق تلك النجوم وان الارياح تخلق وقت ان يجعل حر الشمس الهواء قليلا وان الرعد ينشأ من تلاطم السحاب وتصادم بعضه ببعض حين الملاقاة وان البرق ينشأ من مماسة السحاب بعضه لبعض فقط وان زلزلة الارض سببها تحرك الهواء المخزون بمغارات تحت الارض وان سبب زيادة النيل ثلج في بعض بلاد الحبشة يسيح

في ازمنة معينة فيخرج منه ماء كثير كانهطال السيل ويجتمع في منابع هذا النهر وكان انكسغوراس يزعم ان تحرك الكواكب ناشئ من الهواء فعارضوه بان الكواكب تحرك وتدور بين مداري الحمل والسرطان فدفع معارضتهم بان ذلك لا يحصل الا من مدافعة الهواء للكواكب بقوة كالدولاب الى ان تقف الى نقطة ايا كانت وكان يقول أيضاً ان الارض ممهدة مبسوطة وانها اثقل من جميع العناصر ومن ثم ملكت القسم الاسفل من جميع العالم وان المياه الجارية على سطحها قليلة بسبب ان حر الشمس يصيرها بخارا ثم يصعدها في الجو الى طبقة الهواء المتوسطة ثم تعود مطرا ينزل بالارض وقال انه يرى في الليل اذا كان صحوا ان في السماء بياضات متعددة تشبه القسى وتسمى طريق التبانة وزعم بعض القدماء ان تلك الطريق جعلت لسلوك بعض الآلهة الصغار الى الاله الاكبر الذي هو المشترى للاستشارة وذهب آخرون الى انها محل لارواح فحول الرجال حين تخرج من اجسامهم وتستمر طائرة فيها   واتفق ان انكسغوراس غلط كغيره من سائر قدماء الفلاسفة فزعم ان تلك البياضات انما هي انعكاسات ضوء الشمس الظاهر لنا وعلل ذلك بانه لم يوجد بين هذه البياضات والارض كوكب يكسف هذا الضوء المنعكس

وكان يزعم ان اول الحيوانات ناشئ من الحر والغمام ثم بعد ذلك تناسلت وتكاثرت   وقد اتفق ذات يوم ان حجرا سقط من جهة السماء فظن انكسغوراس ان السماء مصنوعة من حجارة وان سرعة دوران قبة الفلك اوجبت بقاء تلك الصنعة بلا خلل بحيث لو اختل الدوران لحظة لفسد نظام السماء والارض   واتفق انه انذرهم يوما بانه سيسقط حجر من الشمس في يوما من الايام فكان الامر كما ذكر ووقع ذلك الحجر قريبا من نهر اوغوس

وكان يقول ان ما كان من الارض قارا يصير بعد ذلك بحرا وما كان منها في وقتنا هذا بحرا يعود في زمن آخر قارا   فتجاسر عليه بعض الناس

وسأله هل يصعد البحر على جبال « لمبساك » فقال نعم ما دامت الدنيا
وكان يعظ الملك ويحمله على معاناة اسرار الطبيعة وما خفي منها حتى يصل الى
معاينتها ومشاهدتها ولذلك كان حين يسأل لاي شيء خلقت في الدنيا يقول
لاجل مشاهدة السماء والشمس والقمر وغيرها من سائر الانواع الحادثة وسئل
ذات يوم عن اسعد جميع الناس فقال هو لا يكون من الذين تظنونهم سعداء
وانما يكون من الذين تظنونهم فقراء وسمع ذات يوم رجلا يشكو ان
يموت غريبا فقال له انكسغوراس لا مكان في الدنيا الا وبه طريق للنزول
الى بطن الارض واخبروه ذات يوم بموت ابنه فلم يهتم لذلك وقال اني
اعلم يقينا انه ماخرج من صلبي الا قابلا للفناء، وذهب اليه فلحده بنفسه
والاحترام والتوقير الذي كان لهذا الفيلسوف بمدينة أثينا لم يستمر الى موته
بل حصلت له نكبة وذلك انه اتهم واشتهرت عليه دعوى على رؤوس الاشهاد
بين يدي القضاة فثبت عليه انه مذنب واختلف في ذنبه على قولين اشهرهما
ان ذنبه الكفر بقوله ان الشمس التي كانوا يعبدونها ليست الا قطعة حديد
حامية وقيل انه اذنب زيادة على ذلك بخيانة فلما بلغه ان الأثينيين حكموا عليه
بالموت لم يكترث وقال انا اعلم ان الحكمة الالهية حكمت بذلك من زمن
طويل وانتصر له بيرقليس احد تلامذته فخفف عقابه وآل الامر الى
غرامة بعض الاموال ثم النفي فتجلد لذلك انكسغوراس واشتغل في مدة
نفيه من بلاده بالسفر الى مصر وغيرها من الجهات بقصد مخالطة العلماء
ولتعرف احوال البلاد ثم لما شفى غليله من ذلك رجع الى مدينة كلازومينا
التي ولد بها فرأى اراضيه غير مزروعة بل متروكة بالكلية فقال متسليا لولم
تتلف لتلفت وكان انكسغوراس مجتهدا في تعليم بيرقليس اجتهادا عظيما
ونفعه نفعا كبيرا في تدبير مصالح المملكة ومع ذلك فلم يقم له بوفاء حقوق
اجتهاده له حتى يقال انه فرط فيه في آخر عمره فلما كبر انكسغوراس سنا

وافتقر وابتذل التف بيرنسه واراد ترك نفسه حتى يموت جوعا فبلغ ذلك بيرقليس فحزن لذلك حزنا شديدا وذهب ليراه مسرعا وترجاه ان يرجع عما عزم عليه من اتلاف نفسه لما رأى ان هلاكه خسارة كبيرة على المملكة وعلى نفس بيرقليس من كونه كان يستشيره عند المهمات لصداقته وحسن رأيه فكشف انكسغوراس وجهه فاذا هو يشبه صورة الموتى وقال يا بيرقليس من احتاج الى القنديل فليحافظ على مباشرته بالزيت وذكر لوبيرس ان انكسغوراس مات بمدينة لمبساك وقال انه حين قربت وفاته حضر عنده اكابر المدينة وسألوه هل لك في شيء تأمرنا به فاوصاهم انهم يجعلون للتلامذة في كل سنة مقدارا من الزمن يتفسحون فيه ويأذنون لهم باللعب كل عام في مثل اليوم الذي مات فيه فامتثلوا ما امرهم به واستمروا على ذلك مدة طويلة وكان عمره حين وفاته ينوف عن اثنين وسبعين سنة وكان ذلك في الاولمبياد الثامن والثمانين

﴿ تاريخ ديموقريطس الفيلسوف ﴾

ولد هذا الفيلسوف في الاولمبياد السابع والسبعين ومات في الاولمبياد المتمم مائة وخمسة وعاش مائة وتسع سنوات وشاع على ألسنة العامة ان ديموقريطس الفيلسوف كان بمدينة « ايديري » وحقق بعض الناس انه كان بمدينة مليطه وانه انما سمي « ابديريتين » لكونه هاجر اليها وتلقى العلوم اولا على الماجية والكلدانية اللذين خلفهما الملك اجريكيس عند والد هذا الفيلسوف لما نزل عنده حين جاء هذا الملك لمحاربة اليونان فتعلم منهما ديموقريطس علم المنطق وعلم الهيئة ثم بعد ذلك تعلق بفيلسوف آخر يقال له لوسيب فتلقى عنه علم الطبيعة وكان مجتهدا غاية الاجتهاد في التعلم وكان من شدة رغبته في التعلم تمضي عليه ايام متكاملة وهو مختل في حجرة صغيرة في

وسط بستان وأتى اليه ابوه ذات يوم ببقرة ليذبحها فربطها له في ركن من اركان حجرته فلم يسمع ديموقريطس كلام ابيه من شدة اجتهاده في القراءة ولم يشعر بما فعله ابوه من ربط البقرة بجانبه حتى عاد له ابوه مرة ثانية واراد ان يخرجه من ذلك المحل واخبره ان بجانبه بقرة يلزم ان يجعلها قربانا

ثم بعد ان مكث مدة طويلة وهو يتلقى عن « لوسيب » عزم على السياحة في الدنيا لمخالطة العلماء ولاجل ان يملأ عقله بالمعارف الحسنة فقسم تركة ابيه بينه وبين اخوته فاخذ نصيبه منها ما كان نقدا وان كان اقل الانصباء وانما فعل ذلك لراحته في مصروفه زمن تعلمه ومدة سفره ثم توجه الى مصر وتعلم فيها علم الهندسة وذهب بعد ذلك قاصدا بلاد الحبشة وبعدها الى بلاد العجم وبعدها سافر الى بلاد « كلديه » ثم اداه حبه للفرجة الى ان سافر بلاد الهند ليتعلم علم قدماء فلاسفتهم وكان يحب التعرف بمهرة العلماء من غير ان يتعرف اليهم ويقال انه سكن بمدينة آثينا مدة من الزمن ورأى سوقراط ولم يعرفه بنفسه فهكذا كان ميله ان يعيش مختفيا بل كان يذهب في بعض الاحيان الى المغارات والقبور ويسكن بها لاجل ان لا يخفر احد المحل الذي هو به ومع ذلك كان يظهر نفسه لدولة « دارى » واتفق في بعض الايام انه حصل لهذا الامير حزن شديد لموت امرأة كان يحبها اكثر من جميع نسائه فلاجل تسكين حزنه وعده هذا الفيلسوف ان يحييها له على شرط ان يأتيه بثلاثة اشخاص من ممالكه لم يصب احد منهم بنكبته لاجل ان تنقش اسماؤهم على قبر تلك الملكة المتوفاة فبعد البحث في جميع اسيا لم يوجد شخص واحد بالصفة التي شرطها الفيلسوف ديموقريطس وكان مقصد هذا الفيلسوف ان يفهم الملك دارا بعظم خطائه من اهمال نفسه للحزن حيث انه لم يوجد في الدنيا باسرها انسان خال من الغم وحين رجع ديموقريطس الى مدينة ابديري مكث متباعدا عن الناس مختليا عنهم واعتراه

الفقر لانه فقد جميع امواله في تجاربه واسفاره فاضطر اخوه دمسكوس الى عطيته له بعضا من امواله لاجل تعيشه وكان عندهم في ذلك الوقت قانون يحكم على من اسرف في ماله بانه لا يدفن مع ابيه في قبره فمن كون هـذا الفيلسوف قد وقع منه ذلك الاسراف وخشى حكم اعدائه عليه بذلك تلا على الناس كتابا من تأليفاته يسمى « دياقوسم » فمن كثرة ما وجدوه من عظم هذا الكتاب سومح في الحال من تشديد هذا القانون واهدوا له خمسمائة من النقود المسماة عندهم « طالان » واتحفوه بصور في المحافل العمومية

وكان ديموقريطس دائم الضحك ومنشأ كثرة ضحكه شدة تأمله في ضعف الانسان وافتخاره الذي يخيل له في الدنيا اشياء كثيرة هزئية ظنا منه انه تدركها بتدبيره مع ان كل شيء في الدنيا حصوله اتفاقي ناشيء من تلاقي ذرات العالم ببعضها مصادفة كما هو مذهب هذا الفيلسوف وقال جوفنال الشاعر في بعض كتبه مشيرا الى فساد هواء مدينة ابديره والى حمق وبلادة اهلها وحكمة وعقل هـذا الفيلسوف تدلنا على انه قد تخرج كبار الحكماء من الاماكن التي اهلها ارباب خشونة وقال جوفنال ايضا ان ديموقريطس كما كان يضحك من الفرح يضحك من الترح وكان يصف هذا الفيلسوف بانه ثابت العقل لا يستميله عن الحق شيء تم مراداته كأن العسد خادم له ولما رآه اهل مدينة ابديره مستمرا على الضحك زعموا ان به جنونا فارسلوا له ابقراط لمعالجته فذهب اليه ابقراط في مدينة ابديره ومعه الادوية وقدم اليه اولا اللبن فلما نظره ديموقريطس قال ان هذا اللبن من عنزة سوداء بكر وكان الامر كما قال فتعجب ابقراط جدا من كونه عرف ذلك وتفاوض معه في الحديث مدة من الزمن فعجب من حكمته الخارقة للعادة وقال ان اهل مدينة ابديره هم المحتاجون للمعالجة والادوية لا هـذا الفيلسوف كما زعموا ثم رجع ابقراط وهو في غاية العجب وزعم ديموقريطس كمعلمه

« لوقسيس » ان اصول الاشياء الذرات والفراغ وانه لا يتكون شيء من العدم كما لا يؤول موجود الى العدم وان الذرات لا يعتريها فساد ولا تغيير لان صلابتها التي تقاوم كل شيء حفظتها من سائر التغيرات وكان يزعم ان تلك الذرات تكون منها ما لا يحصى من العوالم التي كل عالم منها يهلك في زمن معلوم ويتكون من آثاره عالم آخر وهكذا وكان يقول ان روح الانسان التي هي نفس العقل على رأيه مركبة من اجتماع ذرات وكذلك الشمس والقمر وغيرهما من الكواكب وان هذه الذرات لها حركة دوارة يتولد منها جميع الموجودات ومن حيث ان هذه الحركة الدوارة مستوية في جميعها كان سببا لقوله بوجود القضاء وان سائر الاشياء تتكون قهرا وجبرا و « ابيسقورس » سلك في مذهبه مذهب ديمقريطس لكن لما لم يقل بالقسر والجبر كما سيأتي توضيحه في ترجمته لزمه ان يقول بالميل الاختياري

وديمقريطس كان يزعم ان الروح منتشرة في اجزاء الجسم والسبب في وجود الاحساس في سائر اجزاء الجسم ان كل ذرة منه قائم بها جزء يشاكلها من ذرات الروح واما ما يتعلق بالنجوم فكان يزعم انها تتحرك في الفراغ مطلقة العنان وانها ليست مثبتة في اجرام كروية وانه ليس لها الا حركة واحدة جهة المغرب وان سيرها بسبب جذب كرة الهواء الذي هو اشبه بزوبعة مركبة من مادة سيالة والارض في مركز تلك المادة والنجم يكون بطيء الحركة بقدر قربه من الارض فكلما زاد قربه منها زاد بطء حركته وذلك لان عنفوان حركة المحيط تضعف كلما قربنا نحو المركز وان النجوم التي تظهر حركتها جهة المشرق يظهر بطء سيرها جهة المغرب وان النجوم الثوابت هي اسرع في الحركة من غيرها فلهذا قطعت افلاكها في اربع وعشرين ساعة واما الشمس فانها تتحرك بالبطء فلهذا لم تقطع فلكها الا فى اربع وعشرين ساعة وبعض دقائق واما القمر فان حركته ابطأ من جميع

الكواكب فلا يقطع فلكه اليومي الا في اكثر من خمس وعشرين ساعة فلا يتحرك بحركته الخاصة به حركة مستقلة جهة النجم الاقرب للشرق بل النجوم الاشد قربا الى الغرب تدعه في سيرها ثم تجتمع به بعد ثلاثين يوما وقيل ان تولع ديمقريطس بالدارسة تسبب عنه عماه وانه صار لا يمكنه ان يشتغل بشيء آخر وسبب ذلك انه وضع لوحا من نحاس جهة الشمس فكان يعكس على بصره اشعة الشمس فحر الاشعة اذهب بصره ولما كبر سنه وصار هرما وقربت وفاته لمح ان اخته حصل لها غم لخوفها ان يكون موته قبل عيد السنبلة فلا تحضره بسبب الحزن فامر ديمقريطيس بان يحضر له خبز ساخن يستنشقه لاجل ان يمد بحرارة الخبز حرارة بدنه الطبيعية فبعدمضى ثلاثةايام العيد امر بابعادالخبزعنه فمات وكان عمره في ذلك الوقت مائة سنةوتسعا

﴿ تاريخ اميدوقليس الفيلسوف ﴾

ظهر قريبا من الاولمبياد الرابع والثمانين واشهر المنقول انه من تلامذة فيثاغورس وولد بمدينة اغريجانطه بجزيرة سيسيليا وهي صقليه وكان من عشيرة معتبرة جدا في تلك النواحي وكان له معرفة كافية في علم الطب وكان ايضا خطيبا عظيما وكان يعرف في الاشعار والديانات وكان يحترم بمدينته غاية الاحترام حتى ظن انه فوق سائر الناس والمؤلف « لوقريقه » بعد ان حكى ما يشاهد في العجائب بجزيرة سيسيليا قال ان اهل تلك البلاد ذكروا في كتبهم انه لا شيء من الفخار يوزان خروج هذا الرجل الحكيم منهم وان اشعاره عندهم كالوحي وهذا لا يخلو عن صحة وذلك انه وقع منه في حياته وقائع تعجب منها جميع الناس حتى انه اتهم بفن السحر وقال ساتيروس ان « جورجيان لينطين » احد تلاميذ هذا الفيلسوف اعانه مرارا عديدة على عمليات هذا الفن والظاهر ان هذا الفيلسوف قصد التنبيه على هذا الفن

وتعلمه بالاشعار حيث قال لتلميذه جورجياس اني اريد ان اخصك دون غيرك بمعارف عظيمة واسرار جسيمة عامة النفع لجميع انواع المرض وتعيد الشيخ شابا وتهب بها الرياح وتسكن بها الرياح العواصف وبها ينزل المطر ويأتي الحر وتحيي بها الموتى من قبورهم واتفق ذات يوم ان الرياح الصيفية اشتدت جدا حتى كادت فواكه الارض ان تفسد وتتلف بلا شك فجاء امبيدقليس وسلخ عدة من الحمير وجعل جلودها قربا ووضعها على اعالي رؤوس الجبال وفوق التلال فسكنت الرياح حالا كما قبل وعادت الاشياء كما كانت مع السهولة وكان امبيدقليس متعلقا بمذهب معلمه فيثاغورس مولعا به وسبق ان اصحاب فيثاغورس كانوا يكرهون القربان من ذوات الدم فلذلك حين اراد امبيدقليس ان يقرب قربانا للآلهة صنع بقرة من الدقيق والعسل وقربها لهم وكانت مدينة اغريجانطه في زمنه مشهورة كبيرة جدا وكان عدد اهلها يبلغ ثمانمائة الف وكانوا يسمونها المدينة العظمى وكانت في اعلى الدرجات في الزخارف واللذات وكان امبيدقليس حين يصف اهل تلك المدينة يقول انهم يستوفون اللذات فلا يبقوا منها لغد كأنهم تحققوا موتهم في اليوم الآتي بعد ذلك وانهم يؤسسون قصورهم العظيمة ويبالغون في اتقانها كأنهم جزموا بالخلود وعدم الموت وكان يبعد نفسه عن التقلد بالمصالح العامة بل اتفق انهم طلبوه مرارا عديدة للسلطنة على مملكة اغريجانطه فابى ذلك وكان دائما يؤثر ان يعيش كآحاد الناس على فخار الدنيا وجبرة الحكومات انما كان شديد الرغبة في الحرية وان تكون الاحكام برأي الجمهورية ودعاه بعض الناس الى وليمة فاجابه وذهب اليه فتأخروا باتيان المائدة في وقتها ولم يطلب احد من الجالسين حضورها فحصل له غيظ شديد من ذلك واراد حضور الطعام حالا فقال له رب المنزل اصبر برهة من الزمن يسيرة فاني منتظر الوزير الاعظم رئيس المشورة فعند حضور هذا العظيم

قام رب المنزل والجالسون تعظيما له واجلسوه في ارفع المواضع العظيمة واختاره اهل ذلك المجلس ان يكون سلطان تلك الوليمة وكان لا يمكن هذا الوزير ان يمنع نفسه عن اموره الصعبة الشديدة فامر سائر من في الوليمة بشرب النبيذ صرفا غير ممزوج بالماء وان من امتنع من الشرب يصب على انفه كاس من النبيذ والتزم امبيدقليس في هذه الساعة الصمت والسكوت ثم في الغد جمع جميع الناس وشكا من صاحب الوليمة ومن ذلك الوزير الذي كان تكبر في الوليمة وعرفهم بان ما سلك في تلك الوليمة مبدأ الظلم والجور وان مثل ذلك فيه مخالفة للقوانين وللحرية الجمهورية فبعد اقامة الدعوى حكم عليهما بالقتل فقتلا حالا وكان نافذ القول بحيث انه فسخ مشورة عندهم تسمى مشورة الالوف وامر ان القضاة يلزم تغييرهم في كل ثلاث سنوات لاجل ان يدور دور الحكم على الاهالي ويتقلدوا مناصب الدولة وكان اذ ذاك حكيم يقال له اوقرون فطلب من اهل المشورة ان يعطوا له مكانا يشيد فيه مشهدا مزارا لابيه الذي كان فائقا عن غيره في صنعته وكان اعظم اطباء اهل زمانه فقام امبيدقليس في وسط المحفل العام ومنع الاهالي من ان يسلموا له فيما طلبه لان هذا كما زعم هو ضد العدل والمساواة التي اراد استعمالها في جمهوريتهم حتى لا يتمكن احد من العلو والرفعة على الآخر وهذا هو على رأيه اساس الحرية الجمهورية ثم انه حصل طاعون عظيم مكث مدة من الزمن في مدينة سيليونتي حتى خربها وحصل للناس انزعاج شديد حتى ان النساء كن يضعن حملهن قبل مضي مدة الحمل فعرف امبيدقليس سبب هذا المرض وهو انه ناشئ من عفونة مياه النهر الذي يروي تلك المدينة ويعمها فاجتهد ورد مجاري ذلك النهر التي كانت تصب في بحيرات تلك المدينة وصرف سائر ما احتيج له في ذلك من ماله واذا بالطاعون قد ذهب من عندهم فاخذ اهل تلك المدينة في الالعاب والحظوظ وصنعوا له

ولائم عظيمة واشتهر امر امبيدقليس في تلك المدينة وشاع ذكره حتى ان جميع الناس اجتمعوا وقربوا له قربانا كالآلهة واثنوا عليه وبالغوا في مدحه لرأفته بهم وشفقته عليهم ووقع ذلك من نفسه موقعا كبيرا وكان امبيدقليس يزعم ان الاصل الاول لجميع الاشياء هو العناصر الاربعة التي هي التراب والماء والهواء والنار وكان يقول ان بين تلك العناصر وبعضها علاقة التآلف تارة والتنافر اخرى وانها دائما تنقلب وتتغير وانها لا تفنى ابدا وان ترتبها بتلك الحالة قديم باق وكان يزعم ان الشمس قطعة نار كبيرة وان القمر ممهد مبسوط وله جرم كبير بشكل دائر مسطوح وان السماء مصنوعة من مادة تشبه البلور وكان مذهبه تناسخ الارواح فكان يزعم انها تنتقل في الاجسام وقال ان في حفظي اني كنت بنتا صغيرة ثم سمكة ثم طائرا بل اذكر اني كنت نباتا وقد اختلفوا في موت هذا الفيلسوف والاشهر انه حيث كان متولعا ومتشوفا لكونهم يولهونه وان يرى كثيرا من الناس يعبدونه اراد ان يقوى تلك الحالة الى آخر عمره ولذلك حين احس بالكبر ورأى نفسه قد حصل له الهرم قصد ان يتم عمره ببعض اشياء خارقة للعادة تلائم ما جنح اليه فكان بمدينته امرأة تسمى ايلانطه اعيت جميع الحكماء والاطباء في مرضها حتى جزموا بموتها واشرفت على الموت فعالجها هذا الفيلسوف حتى شفيت فقربت له قربانا عظيما وصنع وليمة ودعا اليها من الناس ما يزيد على ثمانين لاجل ان يظهر لهم احتجابه عن الابصار وغيبته فلما فرغت الضيافة ذهب بعض الناس للاستراحة عند بعض الاشجار وغيرها فعند ذلك صعد امبيدقليس سرا على بركان جبل أتنا وألقى نفسه في وسط النيران كما نقل ذلك « هوراس » الشاعر في عاقبة هذا الفيلسوف وكان عنده غاية الجد في كلامه وكان له ذؤابة طويلة وله تاج من شجر الغار على رأسه عظيم منقوش وما كان يمر في طريق الا ومعه جملة من الرجال وكل

من رآه كان يحترمه احتراما كليا وكان كل منهم يسعى في ان يسعد بمقابلته في طريق من الطرق وكان يلبس في رجليه نعال الحديد ولما ألقى نفسه في النار فمن شدة حرها قذفت فردة من نعاله خارج النار فرآها الناس بعد مدة وظهر لهم ما كان دبره في نفسه من الغش فحينئذ حيث لم يحزم رأيه اراد ان ينظم في سلك الآلهة فانتظم في سلك اهل البهتان ولكن مع ذلك كان له بعض خصال ممدوحة كمحبة وطنه وعدم طمعه ولما مات والده ميطون الذي كان ملكا بمدينة اغريجانطه اراد جماعة التغلب على تلك المملكة فشرع اميدوقليس في جمع الناس سريعا وسكن تلك الفتنة ولاجل ان يظهر حب التساوي قسم جميع ما كان يملكه بينه وبين من كان اقل منه مالا

وظهر هـذا الفيلسوف قريبا من الاولمبياد الرابع والثمانين ومات هرما جدا ولا يعرف مقدار عمره بالتحقيق ولما مات شيد الاغريجانطيون له تمثالا ليبقى دائم الذكر

﴿ تاريخ سوقراط الفيلسوف ﴾

ولد هـذا الفيلسوف في السنة الرابعة من الاولمبياد السابع والسبعين وتوفي في السنة الاولى من الاولمبياد الخامس والتسعين وعاش سبعين سنة واتفق الاقدمون على عده من عظماء فلاسفة الجاهلية وانه ذو فضائل وخصال حميدة وكان من اهالي اثينا من قرية صغيرة تسمى « الوبيس » واسم ابيه سوفروزين كان نقاش احجار واسم امه فراميت وكانت قابلة تعالج النفساء تعلم اولا علم الفلسفة على انكسغوراس وبعده على ارخيلبوس الطبائعي ولكن لما رأى ان النظر في تلك الاشياء الطبيعية لا يجدي نفعا ولا يجعل للفلسفي خصالا حميدة تعلق بقراءة علوم الآداب والاخلاق حتى قيل انه واضع الحكمة العملية الادبية عند جميع اليونان كما نبه عليه « قيقرون »

في المقالة الثالثة من الاسئلة « الطوصقولانية » وقد تكلم عليه على وجه صريح مع غاية الاطناب في المقالة الاولى ونص عبارته يظهر لي كما هو رأى جميع الناس ان سوقراط هو اول انسان استخرج الفلسفة من حيز الخفاء وان تشبث غيره بذلك لكن هـذا الفيلسوف وصل المقصد واظهر منها ما ينبغي سلوكه للانسان بحيث انه اشتغل بالبحث عن الخصال الحميدة والذميمة وعن الخير والشر واعرض عما عدا ذلك قائلا ان جميع ما يتعلق بالنجوم والكواكب بعيد عن ادراكنا ومعرفتنا ولو فرض ان ادراكنا قوي وتوصلنا الى معرفة ذلك فلا جدوى لها في تحسين الاخلاق فاقتصر من الفلسفة على البحث المتعلق بالآداب واللائق لاطوار الانسان وما يليق له مدة حياته فهذا التفلسف الجديد الذي اخترعه هذا الحكيم صار مقبولا جدا لما ان مخترعه عمل بما علم فاقتدى به واحسن سلوكه على قدر طاقته فأدى حقوق المعاملة البشرية من رعاية مصلحة الوطن صلحا وحربا وهو من بين الفلاسفة المشهورين الذي لم يذهب لقتال ولا حرب كما نبه على ذلك « لوقيانوس » في كتابه المسمى مخاطبة المتطفلين الا مرتين خاب امل حزبه فيهما وخاطر هو فيهما بنفسه واظهر الشجاعة جدا حتى انه في احداها نجى من الهلاك « زنفون » حين سقط عن فرسه وهو مولى دبره فلولا ان سوقراط حمله على ظهره وابعده عن المصادمة واتى له بحصانه الذي كان انفلت فركبه لهلك باخذ الاعداء له ذكر هذه الواقعة « استرابون » وحصل انه في المرة الثانية حين انهزم الأثينيون وانزعجوا بالكلية وولوا الادبار كان هو آخر من ولى دبره واظهر الجلادة حتى ان الاعداء لما تبعوا المنهزمين من جماعته وجدوه متهيئا للاقدام عليهم فلم يتجاسروا على تبعية الاعداء ذكر هذه الواقعة المؤرخ « أثينه » وبعد هاتين الواقعتين لم يخرج سوقراط من مدينة أثينا اصلا وسلك طريقا مغايرا لما سلكه من مضى قبله من جميع

الفلاسفة من اذهابهم اغلب اعمارهم في السفر لاكتساب العلوم والمعارف بمحاورتهم لعلماء البلدان ولكن المبحث الفلسفي الذي تمسك به سوقراط يرغب من اطلع عليه في انه يشتغل بمعرفة احوال نفسه اولى من ان يتعب نفسه وعقله بمعرفة ما لا يعنى من اخلاق الغير وعوائده فاستصوب اجتناب مشقة الاسفار التي لا يمكنه ان يتعلم فيها ازيد مما يتعلمه في أثينا مما يتعلق باصلاح بلاده وترتيبها الذي ينبغي تقديمه على النظر في عوائد الغرباء ولما كانت الفلسفة الادبية علما اغلبه عمليات لاعبارات رتب قانونا كليا وهو انه ينبغي للعاقل ان يسلك ما يأذن به العقل السليم والطبع المستقيم ولذلك لما صار من ارباب مشورة المدينة وتعاهد مع الاهالي ان لايبدي رأيه الا بما تقضيه القوانين امتنع امتناعا كليا عن ان يقر على الحكم المخالف للقوانين حتى انه بموجب القوانين حكم على تسعة من رؤساء العساكر بالموت فقتلوا جميعا ولم يمنعه من ذلك كونه شق على الاهالي ولا تهديد الاعيان له عليه لما انه لاحظ ان صاحب الفضائل والشرف لايليق له ان ينقض عهده ليعجب الناس ولم يعهد له وظيفة الا هذه المرة غير انه ولو كان من الآحاد كان معتبرا في أثينا بسبب حسن سلوكه وفضائله بحيث يزيد احترامه عن احترام ارباب المشورة واما احوال نفسه وبيته فكان له بها غاية الاعتناء ويذم من يهمل ذلك فكان نظيفا في الملابس والبدن متهيئا بهيئة الحياء والاحتشام مع التوسط الذي لم يبلغ درجة المترفهين ولم ينزل الى مرتبة المتقشفين ومع كونه ليس من ارباب الثروة كان خليا من الطمع فكان لا يأخذ شيئاً من تلامذته وكان يلوم غيره من الفلاسفة ممن يبيع التعليم بالدنيا ويسعر الدروس بالأثمان عظيمة او حقيرة على حسب شهرتهم وكان كثيرا ما يقول كما نقله « زنفون » عجبا لمن صناعته تعليم الاخلاق كيف يخطر له ان يتخذ ذلك مغنما أفلا يكفيه على اعتنائه ان ينسب اليه انه اصلح حال انسان وانه اغتنم من

تلامذته مجاناً له أفلا يكون هذا من اعظم المنافع وادوم الفوائد وكان انتيفون السوفسطائي من كراهته لبعض اخلاق سوقراط اراد تحريمها فقال لسقراط ذات يوم في شأن عدم الحرص الحق معك في عدم اخذك شيئا من تلامذتك وهذا دليل صحيح على انك من خيار الناس وذلك لانك لو اردت بيع بيتك او بعض ثيابك او متاعك فانك لا تبيعه الا بكمال قيمته فضلا عن كونك تعطيه مجانا بلا مقابل ولما علمت في نفسك انك لا تعرف شيئاً فلا يمكنك تعليم غيرك عرفت ان الاولى لك ان لا تأخذ الا على ما يمكنك تعليمه ويكون اخذك حينئذ اكثر دلالة على فضيلتك من عدم الاخذ رأساً

ثم ان سقراط لم يعجز عن افحام هذا السوفسطائي حيث بين له ان هناك اشياء يمكن استعمالها على وجه لائق تارة وغير لائق أخرى وان هناك فرقا بين الانسان الذي يهدي من ثمر اشجاره لاحبائه وبين من يبيعه لهم وبالجملة فلا يتوهم ان سقراط كان له محل معين للتعليم كغيره من الفلاسفة الذين كانوا يعطون الدروس في محالهم المعينة في اوقاتها المعلومة عندهم وكان من دأبه في التعليم ان يعلم بالمخاطبات والمحادثات في أي زمن وأي مكان وأي انسان وكان رجل يقال له ما ليطوس اتهم سقراط بعدة ذنوب كبائر منها انه لم يعتبر الآلهة المعبودة عند اهالي أثينا بل احدث له معبودا والواقع ان هذه التهمة اكذب التهم وذلك لان سقراط كان يأمر كل من يسأله في شأن ذلك باتباع ما ينطق به كهانة هيكل الشمس ودلفيس اللذين هما معبودا الاثينين وكان جواب الكهانة انه ينبغي لكل انسان ان يسلك في عبادته مسالك اهل بلده ولذلك كانت طريقته في القربان كطريقتهم حيث يقرب الاشياء اليسيرة من ملكه قدر وسعه ويزعم ان ذلك مقبول اكثر من القربانات الثمينة الجسيمة التي يقربها الاغنياء لان ذلك وسعة ولم يمكنه ان يعتقد ان عبادة الاغنياء مقبولة والفقراء منبوذة بل اعتقاده ان المرضى عند المعبود

ما يصدر من اهل الصلاح وبالجملة فلا شيء اوفق للدين واسهل من الصلوات والادعية للمعبود ولكن ينبغي الداعي ان لا يسأل مولاه شيئاً معيناً بل يفوض له بان يطلب منه ما يكون صلاحا لنفسه وذلك لانه لو طلب منه مالا اوجاها لكان كمن يطلب منه ان يقيمه في حرابة او ميدان لعب مع انه لا يدري عاقبة ذلك وبدلا عن كونه يأمر المتدين بعبادة بتركها كان يأمر من لا دين له بالتدين فقد بين « زنفون » الطريقة التي سلكها سقراط مع ارستدوموس الذي كان لا ديانة له ويسخر بالعبادة فوصله سقراط الى محبته الديانة والعبادة فاذا قرأ القاريء في كتاب زنفون ونظر ما قاله سقراط في القضاء والقدر يتعجب من معرفة فيلسوفي في الجاهلية عقائد توحيدية مستقيمة

وكان سقراط فقيرا ومع ذلك كان مسرورا من فاقته لزعمه ان فقره باختياره وانه لو اراد الغنى لقبل الهدايا التي كانت تأتيه من احبائه وتلامذته فانه كان لا يقبلها منهم ويردها رغماً عن انف زوجته التي كانت لا تذوق لذة فلسفته وكان سالكا في أمر معيشته مسلك الضيق والصعوبة حتى اتفق ذات يوم ان السوفسطائي الذي تقدم ذكره تجارى على سقراط وغيره بانه في غاية الفقر والذل والمسكنة وان حالتك هذه لا يقنع بها احد ولو رقيقا وقال له ايضاً ان قوتك أخشن الاقوات وملبسك ملبس المساكين بحيث انه قميص واحد للشتاء والصيف وانك دائما حافي الرجلين لا نمل عندك فقال له سقراط انك قد غلطت في هذا واخطأت حيث ظننت ان السعادة انما هي بالغنى واللذات والواقع اني ولو ظهر لك فقري في هذه الحالة فاني اسعد منك لاني ارى الغنى المطلق خاصاً بالمعبود وكلما اكتفى الانسان بما عنده ولم ينظر لما عند الناس قرب من اوصاف الالوهية ولم يتفق ان احدا كان اصفى باطنا من سقراط لان احواله كان لا ينشأ عنها الا التعجب لا سيما في مثل مدينة أثينا التي كان مثل هذا السلوك فيها أمرا عجيبا لان لم يمكنه بهذه

المدينة ان يتأسى به كان يعترف بحسن السير وانه على حق فحسن سلوك سقراط اسرع اليه اعتبار الناس له وانجذبت اليه التلامذة حتى كان جميعهم يؤثر استماعه على الاشتغالات بالحظوظ والشهوات وقد عظم ان جذب قلوب الناس له حيث كان اكثر تشديداته على نفسه قام مقامها السهولة واللين مع التلامذة وكان اول ما يبدأ بتعليمه لهم الديانات وكان يحملهم على العفة والتباعد عن الملاذ ويقول لهم ان الانهماك على اللذات يضيع على الانسان اشرف صفات نفسه وهو الحرية وكانت طريقته في تعليمهم الآداب جاذبة لهم لانه كان لا يتحرى وقتاً ولا استحضارا ولا مقاما مخصوصاً بل يحسب ما يحلي لقريحته ويخطر بباله من المصادفات وكان يفتتح بكيفية سائل فاذا اجيب تكلم وباحث وناقض وبرهن حتى يكشف لهم الحقيقة وكان يمضي من يومه جزء كبير في تلك الادبيات ولذا لم يجتمع به احد الا واخذ فائدة جليلة هكذا ذكر زنفون ومع ان سقراط لم يعقب شيئاً من التأليف ليشهر فضله فيكفيه شاهدا على الفضائل كتب افلاطون وزنفون التي نقلا فيها الآداب والمعارف فانهما توافقت نقولهما لا سيما فيما يتعلق بالمناظرات مما يدل على استيعابه مباحث المقامات بترتيب حسن والبرهنة على كل مقام بما يليق له وان لم تكن الفاظ تلك الكتب عين الفاظ سقراط خصوصا ما ينقله افلاطون كما شهد به سقراط نفسه لما قرئت عليه مخاطباته التي جمعها افلاطون المسماة « لوسيس المحبة » اما زنفون فكان في نقل العبارات اشد تحريا من افلاطون فكان ينقل الادبيات التي تقع بين سقراط وغيره كما يسمعها ومن العجائب ان سقراط الذي دائماً يحث الناس على العبادة ويعظ الشبان ويأمرهم بالتباعد عن اللذات والشهوات يحكم عليه بالموت بدعوى انه كافر بآلهة أثينا مفسد لاهاليها لكن لا عجب حيث كان الوقت وقت اختلال في الدولة وكثرة الظلمة الحاكمين بها فكانوا ثلاثين ظالما ولنذكر لك سبب ذلك فنقول

كان اعظم هؤلاء الظلمة تلميذ سقراط المسمى « اقرسياس » كما كان « القيياده » من تلامذته فزهدا في الفلسفة لما بها من المواعظ غير المناسبة لطمعهما وانهماكهما من اللذات فتركاه فأما اقرسياس فصار اكبر اعدائه بسبب تشديده عليه في اللوم على سوء السير والظلم فلما صار من جملة الثلاثين لم يتمنَّ الا اعدام سقراط خصوصا وسقراط كان اذا بلغه ظلمهم وعتوهم تكلم فيهم وشنع عليهم مع السب ولا يخاف سطوتهم ولما رآهم من القتل في الاهالي والاعيان لم يمتنع نفسه من ان قال في شأنهم في محفل الناس اذا كان راعي البقر تنقص عدية بقره كل يوم ويغادرها نحيفة هزيلة فمن العجيب عدم اعترافه بانه لا يصلح لرعايتها ففهم اقرسياس وخارقليس اللذان كانا رئيسي ارباب الظلم ان سقراط يعنيهما بضرب هذا المثل فرتبوا قانونا ينهي عن تعلم المحاورات بمدينة اثينا ومع كون سقراط لم يتخذ التعليم حرفة فهم ان المنع من اجله وان غرضهم منعه ان يتكلم مع ان عادته الاجتماع به بمثل هذه الامثال الادبية فذهب بنفسه لاثنين ممن رتبوا هذا القانون ليسألهما عن بيان ذلك لكنه حيرهم بدقة اسئلته فلما بهتا وضاقا منه قالا له صراحة انك منهيٌّ عن مخالطة الشبان ابدا فقال لهما فالي اي زمن تمتد الشبوبية فقالا له الى ثلاثين سنة فقال لهما ان سألني سائل عن مكانهما اجيبه اولا فقال خارقليس نعم اجبه وقال اقرسياس انما انت منهيٌّ عن لمات الناس الذين كلت مسامعهم من كلامك فقال سقراط ان سألني من تبعني ما هي الشفقة والانصاف فهل اجيبه فأجابه خارقليس بقوله نعم ورعي البقر ايضا معرضاً له بالمثل السابق وقال احذر ان تكون سبباً في نقص البقر ففهم سقراط انه لا ينبغي الاتساع معهم في الكلام بازيد من ذلك وان مثل البقر اغضبهم منه غاية الغضب ولما رأى هؤلاء الظلمة ما اشتهر به سقراط عند الناس من الفضائل احبوا ان يمهدوا للانتقام منه بتبغيض الاهالي فيه اولا فامروا رجلا يقال له

« ارطوفان » بذلك فاخترع لهم حكاية طويلة سماها بالسحاب وهي كناية عن أمثال في تقبيح من يظهر خلاف باطنه فلما اجتمعت الاهالي في لعب عمومي صار ينزل هذه الامثال القبيحة على سقراط بسماع الاهالي ومن بجمع بحل فانتدب عند ذلك ميليطوس وعرض نفسه وقال ان ذنب سقراط كبير محتو على ذنوب وذلك لانه لا يعتقد آلهة أثينا واخترع آلهة غرباء ولم يكفه ذلك بل صار يعلم الشبان على احتقار اهاليهم فيستحق القتل ومع تعصب هؤلاء الظلمة عليه خصوصا اقرسياس وخارقليس اللذين كانا من تلامذته لو انقاد سقراط واحتج عن نفسه في ما اتهموه فيه لعفوا عنه لكن منعه كبره ولم يرض بدفع الغرامة متعللا بان دفعها نوع اعتراف بالذنب ولما طلبه القضاة ليقضى على نفسه قال بهيئة الكبر ان حقي ان يكون مصرفي مدة حياتي من خزينة المدينة فهذا كله اوجب الجميع ان يقضوا بموته كان فيلسوفي يسمى لوسياس ألف امثالا ليستعملها فقرأها بين يدي القضاة فلما قرأها سقراط قال انها عظيمة وردها لصاحبها قائلا انها لا تصلح لي فقال لوسياس كيف لا تصلح لك وقد اعجبتك فقال له يا صاحبي يوجد في الثياب والنعال ما هو عظيم لكنه لا يصلح لكل احد ومدح سقراط تلك الامثال كان في محله غير ان لوسياس لما كان سالكا فيها مسلكا لا يصلح لعدل وطهارة نفس سقراط قال ما تقدم ثم انه لما حكم عليه بالموت وضع في السجن فبعد مدة ايام اعطوه نباتا سميا فابتلعه ومات منه وهذه كانت طريقتهم في كل من حكموا بموته

ذكر ديوجينس لايرقه ان سقراط تزوج في عمره بامرأتين لم يعرف منهما الاحال « زنتيه » التي اعقب منها ولده « طنبورقليس » وكانت مشهورة بسوء الخلق وكان يتحملها كثيرا حتى انه لما سئل عن سبب تزوجها قال اني اردت ذلك لاجل ان اتحمل اخلاق الناس كلهم متى تجلدت لتحمل هذه المرأة وكان يدعى ان معه قرينا من الجن يهديه لبعض الامور حتى حكى ذلك

افلاطون وغيره من قدماء المؤلفين بل كثير منهم كتبا في هذا الشان بخصوصه وتوفى في السنة الاولى من الاولمبياد الخامس والتسعين وعمره ثمانية وستون سنة

﴿ تاريخ افلاطون الفيلسوف ﴾

ولد هذا الفيلسوف في السنة الاولى من الاولمبياد الثامن والثمانين وتوفى في اول الاولمبياد المتمم مائة وثمانية وعمره احدى وثمانون سنة كان لوفور علمه وشهرة مذهبه يلقب الالهي وكان من اشهر عشيرة في أثينا التي هي ميلاده وكان ينسب من جهة ابيه المسمى اريسطون الى قدروس ومن جهة امه بيربقتيون الى سولون وكان يسمى اولا ارسطوقليس ولما كان ذا قامة طويلة ضخما عظيم الجبهة عريض الاكتاف سمي باسم افلاطون واشتهر به لا غير حكي انه في صغره يقطر النحل العسل على شفتيه فتفوءل له من ذلك بالفصاحة العجيبة وكان كذلك حيث امتاز بها في اليونان واجتهد في الشعر من صباه وعمل ابياتا محزنة وقصيدتين في التوجع من صروف الدهر ثم لما اخذ في تعلم الفلسفه احرق ذلك بالنار وسلمه ابوه لسقراط ليعلمه وعمره اذ ذاك عشرون سنة وكان سقراط رأى في الليلة التي حضر اليه صبيحتها كأنه امسك بطير صغير وضمه لصدره ثم ظهر ريشه نشر جناحيه بقوة وصعد الهواء بسرعة وغنى بصوت حسن واستمر على ذلك فلما اتاه صبيحتها افلاطون فسر تلك الرؤيا به وانه ستكون له شهرة عظيمة فاستمر افلاطون متعلقا بسقراط مع الصداقة فلما مات اجتمع برجل يسمي اقراطولس كان يتتبع طرق هيرقليطس واجتمع بحكيم آخر يسمي هرموجينيس كان يتبع برمنيدس فلما بلغ من العمر ثماني وعشرين سنة ذهب الى مدينة ميغار

للتلقي مع بقية تلامذة سقراط عن اقليدس ثم ذهب منها لمدينة القيروان فتعلم فيها العلوم الهندسية على تيودورس ثم توجه الى مملكة ايطاليا لاجل ان يسمع الفيثاغورسيين المشهورين الذين هم فيلوليوس وارخيتاس الطارتي واوريتوس فلم يقنع بما تعلمه من هؤلاء المعلمين العظام بل توجه لمصر للتلقي عن حكمائها وقسسها وكان عازما على السفر الى بلاد الهند للتعلم عن المجوس لولا المحاربة في بلاد آسيا ثم لما تمم اسفاره رجع الى اثينا واستوطن بقرية تسمى اكدميه وكان هواؤها غير معتدل وانما اختار استيطانها لاجل هضم سمنه وصحة طبيعته فنفعه ذلك فمرض اولا بحمى الربع التي مكث معه سنة ونصفا ثم لما سلك الحمية والقناعة ذهبت عنه وعاد اكثر مما كان في الصحة وحضر القتال ثلاث مرات الاولى بمملكة تاغرا والثانية بمدينة قورنثه والثالثة بجزيرة ديلوس وانتصر الحزب الذين كان هو معهم في المرة الاخيرة وسافر ايضا ثلاث مرات الى مملكة سيسيليا ﴿ المرة الاولى ﴾ كانت للفرجة ومشاهدة نيران جبال اتنا وكان سنه اذ ذاك اربعين سنة فذهب الى الملك ديفيس الهرم الظالم الذي كان يتمنى كثيرا رؤية افلاطون فادته جراءته الى التكلم مع هذا الظالم في امور سلطنته وخاطر بنفسه ولولا شفاعة « ديون » « وارسطومين » عند الملك لقتله ولكنه اعطاه لبوليدس الذي كان بجانبه رسولا من ملك لقدمونيا وامره ان يتصرف فيه كالرقيق فذهب به الى مدينة « جينا » وباعه فيها وكان اهل تلك المدينة قد شددوا في ان من مر من الاثينيين بجزيرتهم يقتلونه فاحب قرمندل اجراء هذا القانون عليه وقتله فاسعف هذا الحكيم بعض كبارهم وقال ان هذا لا يجري على خاصة الفلاسفة فاكتفوا ببيعه فمن حسن حظه اشتراه انقرسيس القيرواني كان بتلك المدينة اذ ذاك فدفع فيه من المعاملة التي تسمى مينة عشرين وبعثه لاصحابه باثينا فاما بوليدس القدموني فهزمه قبرياس ولم يرجع عنه حتى هلك غريقا وسبب ذلك

بيعه لا فلاطون الفيلسوف كما اخبر بذلك بعض الجان افلاطون وبلغ ديغيس الظالم ان افلاطون رجع لاثينا نخاف ان ينتقم منه بحثّ الناس على مقاتلته فكاتبه يطلب الصفح والعفو عن زلاته فاجابه افلاطون بانه لا يمكن عندك شاغل من ذلك لحصول الصفح وايضا فاشتغالي بعلم الفلسفة حفظ فكرتي عن تخيل مثل ذلك ثم ان بعض الاعداء عير افلاطون بان ديغيس الملك اهمله وطرحه من فكره فقال افلاطون ان ديغيس لم يترك افلاطون بل افلاطون هو الذي ترك الملك واهمله ﴿ المرة الثانية ﴾ ذهب الى سيسيليا في مدة الملك ديغيس الاصغر بقصد وعظه وامره باعطاء الحرية لاهل بلاده اوان يسير فيهم في الحكم على منهج حسن فاقام بها اربعة اشهر فلما وجد ان الملك لم تنفعه الموعظة بل نفى من مملكته « ديون » واستمر في سياسته على طريقة ابيه الظالمة رجع الى اثينا رغما عن هذا الملك مع احترامه له غاية الاحترام وبذله الجهد في اقامته عنده ﴿ المرة الثالثة ﴾ ذهب لتلك المملكة يترجى الملك في اعادة « ديون » المنفى وان يتجرد عن ظلم السلطنة فوعده الوفاء بذلك ثم لم يوفه فلامه افلاطون بخلف الوعد واغاظه غيظا شديدا حتى انه خاطر بنفسه للهلاك فلولا ان ارخيتاس الطارتي بعث رسوله للملك بسفينة يحضر فيها افلاطون وترجى الملك في الصفح لاهلكه ولما حضر هذا الرسول فمن شدة الاعتناء بشفاعة ارخيتاس اطلق افلاطون وانزل له في السفينة اهبة السفر ورجع افلاطون الى اثينا عازما على عدم الخروج منها فقابله اهلها بالاحترام الكلي وسألوه ان يكون من اهل حكوماتهم فامتنع ورأى ان ذلك مع تغير اخلاقهم وعوائدهم لا ثمرة فيه ومع ذلك فكان مشهورا محبوبا في سائر اليونان حتى في المواسم الالمبيقية يرونه كانه اله نزل من السماء ومع ما كان لليونان على اختلاف اممهم من شدة الرغبة في هذه المواسم حتى اشتهروا بها في كل جهة كانوا متى حضر هذا الفيلسوف يتركون

سائر ألعاب الموسم ويعمدون للتأنس بمخالطته ونظره وعاش اعزب مدة حياته ملازما للعفة والقناعة والتحفظ من الشهوات حتى من الصبى وكان نادر الضحك وكان اميرا على نفسه في هواها وكان لا يغضب ابدا حتى ان شابا من ملازميه ذهب الى اهله ذات يوم فوجد اباه غضبا فتعجب غاية العجب ولم يستطع منع نفسه من الضحك لكونه لم ير ذلك مدة ملازمته لافلاطون ولم تشمئز نفس افلاطون الا مرة واحدة على عبده عند ما اذنب ذنبا جسيماً ومع ذلك يعاقبه بنفسه قائلا لا يليق لي مع يسير من الغضب استيفاء العقوبة بل امر واحدا من عبيده فعاقبه وافلاطون كان سوداوي الطبع كثير الفكر والتأمل ومع ذلك كما ذكره ارسطو كان لينا رفيقا بشوشاً بل بما مزح مزحا لطيفاً وكان يشير احيانا على « ديون » و « زنقراطس » اللذين كانا في اخلاقهما صعوبة بالتخلق بالبشاشة كي يقبلا عند الناس وتكون لهما اخلاق حميدة كانت تلامذته كثيرة من مشاهيرهم اسبوسيبس ابن اخته وبوتونه زوجة اوريمدون ومنهم أيضاً زنقراطس القلسدوني وارسطوا الشهير ويقال ان منهم ايضاً نيوقراطس وكذلك ديموثنس كان ينتمي اليه ويدل على انه تلميذه انه ذهب الى محل ليحتمي فيه من بطش « انطباطر » به فبعث له انطباطر رجلا اسمه ارخياس ليخرجه من ذلك المحل وأمره ان لا يقتله فذهب ارخياس اليه وصار يتحيل عليه ويقول له اخرج من هذا المحل ولا ضرر عليك فلم يقبل منه وقال له معاذ الله بعد ما سمعت من زنقراطس وافلاطون ان الارواح باقية لا تفنى فهل بذلك يمكنني ان اوثر حياة الذل على موت العز وكان من جملة تلامذته « لاثنيا » و « اكسيوسه » اللتان كانتا تلبسان زي الرجال للياقته بالتعلم الذي شرعتا فيه وكان افلاطون يعتني علم الهندسة اعتناء تاما ويقول انه لازم لتعلم الفلسفة حتى كتب على باب المدرسة لا يدخلها الا الماهر في علم الهندسة جميع كتب افلاطون ما عدا المراسلات تلاشت

وذهبت بالكلية ولم يبق من المراسلات الا اثنا عشر كانت على منهج المخاطبات ولا مانع من قسمتها ثلاثة انواع الاول في رد شبه السوفسطائية الثاني في كيفية تعليم الشبان الثالث فيما يليق بمن بلغ سن الرجولية ويمكن ان تقسم بلحظ آخر الى اقسام أخر الاول المخاطبات التي حكاها عن نفسه كما في مقالاته القانونية وغيرها مما دونه على أنه مذهب له بما فيه من الاجتهادات

القسم الثاني ما حكاه على لسان غيره من الفلاسفة مثل سقراط و « تيتا » و « بوميدينيس » و « زنون » فان حكايته له تشبه ترجيحه مع عدم الجزم به ومع كون ما قاله افلاطون في مخاطباته عن لسان سقراط صحيحاً جاريا على نسق سقراط في تأليفاته وجدله فلا تظن أنه عين مذهب سقراط حيث ان سقراط نفسه لما قرأ عليه مخاطبة افلاطون التي سماها « لوسيس المحبة » كذبها وقال لقد قولني هذا ما لم اقل كانت طريقته في التأليف بلغة متوسطة لم تحط الى رتبة النثر والحكايات ولم ترتق الى رتبة الاشعار في البلاغات كما شهد له بذلك تلميذه ارسطو وقال « قيقرون » الاديب عبارة أفلاطون شريفة منيفة بحيث لو نزل شيء من الوحي على لسان البشر لما تميز على كلامه وكان بانسيوس يسمي افلاطون اومسيروس الفلاسفة اي بليغهم ولذا كان بعضهم اذا مدح حكمه يقول انها اوميروسية والهية قد دون مذهبه من ثلاثة من مذاهب الفلاسفة فتبع هير قليطس في الطبيعيات والمحسوسات وتبع فيثاغورس فيما وراء الطبيعيات وفي العقليات وتبع سقراط في القوانين والآداب وفضله على الاثنين فاقتدى به وحده في ذلك ذكر لوطرقس في المقالة الاولى من كتابه المسمى آراء الفلاسفة في الفصل الثالث ان افلاطون قال بثلاثة اصول الاله والمادة والادراك فالاله يشبه عقل العقول والمادة تشبه السبب الاول للتولد والفساد والادراك كجوهر روحاني قائم بذات الاله نعم عرف ان العالم خلقه الله ولكنه لم يعن انه مخلوق من عدم محض بل عنى ان الاله انما نظم من تلك

المادة القديمة هذا العالم وشكله بالاشكال المتنوعة بمعنى ان الاله اخرج المادة من حيز العمى الى حيز الظهور وميزها عن بعضها حتى صارت هـذا العالم الشبه بمعمار يصور البيت بالآلات الحاضرة كالحجر وغيره كان الناس يقولون ان افلاطون يعرف الاله الحقيقي معرفة جيدة وهذا اما من جودة ذهنه او مما اطلع عليه من كتب العبرانيين لكن ينبغي لنا ان نقول كما قال ماري بولس ان افلاطون كان من الجماعة الذين يعرفون الله حق المعرفة لكنهم تاهوا بسبب مذاهبهم ولم يعظموه كواجب الالوهية بل ضلوا فوقع من افلاطون في كتابه المتعلق بالالهيات انه نوع الالهة مراتب ثلاثا علويين ومتوسطين وسفليين فالعلويون على زعمه هم سكان السماء المرتفعون على جميع العالم وبسبب علو مسكنهم وطبيعتهم لا يتمكن الانسان من مخالطتهم الا بواسطة المتوسطين الساكنين في الهواء ويسمون جنا وهؤلاء المتوسطون كوزراء العلويين بالنسبة للعالم لانهم يوصلون اليهم الاوامر ويقبلون القربان والنذور للعلويين وكل واحد منهم يحكم اقليما من العالم وهم الرؤساء في الكهانة والاخبار بالمغيبات وهم المخترعون لخوارق العادات والظاهر ان افلاطون نسج ذلك على منوال ما وجده في الكتب السماوية من وظائف الملائكة النوع الثالث السفليون جعل مسكنهم الانهار وسماهم انصاف آلهة وجعلهم رسل المنامات والعجائب كالآلهة المتوسطين وزعم ان جميع عناصر العالم وسائر اجزائه ممتلئة بهذا النوع الثالث وقال انهم قد يظهرون في بعض الاحيان لابصارنا ويختفون احيانا والظاهر ان قدماء حكماء الامم غير المتمدنة اسسوا مذاهبهم وألفوا كتبهم في الامور السفليات ونحوها من هذه الاصول كان افلاطون يعلم تناسخ الارواح بالطريقة التي تعلمها من فيثاغورس ثم اتخذ ذلك طريقة له وسلك فيها منوالا خاصا به غير منوال فيثاغورس كما يوجد في مخاطباته ومع ظرافة مخاطبته المتعلقة ببقاء الروح وقع فيها في

غلط فاحش من جهة زعمه انها مركبة من جزئين جسماني وروحاني ومن جهة قوله انها موجودة قبل الجسم وانها اتت من السماء لتدخل في الاجسام المختلفة لتحيي بها وتعود الى السماء بعد ان تطهر من المحال التي كانت فيها ثم بعد مضي جملة سنين تروحن بالثاني عدة اجسام مختلفة فهي دائما متنقلة بين طهارتها من الاجسام تارة وتنجسها بها اخرى ومن السماء الى الارض ولما كانت عقيدته ان الارواح لا تخلو بالكلية عما ادركته سابقا في تواردها على الاجسام المختلفة زعم ان المعارف ليست تجديدا بالكلية بل منها ما هو تذكار لما سبق لها ادراكه وكاد يمحى منها وبنى على ذلك سبق الارواح في الوجود على الاجسام ولا حاجة الى بسط آراء هـذا الفيلسوف زيادة عن ذلك بل يكفينا ان نسلك مسلك الاختصار ونقول ان مذهبه في محلات كثيرة مبتكر ذو شأن عال بنوه بكون صاحبه حريا بما لقب به من انه الهي وباعتباره في اعلى رتب الفلاسفة توفي هذا الفيلسوف في السنة الاولى من الاولمپياد الثمم مائة وثمانية وكان عمره احدى وثمانين سنة ووافق يوم وفاته يوم ولادته

***

تاريخ انتيثينوس الفيلسوف

كان تلميذا لسوقراط وعصريا لافلاطون وغيره من بقية التلامذة انقسمت تلامذة سقراط بعد وفاته ثلاث فرق مختلفة فرقة تسمى الكلبية وفرقة تسمى الاشراقية ويقال لهم افلاطونية وفرقة تسمى القيروانية وكان انتيثينوس شيخ الاولى وسميت بذلك قيل لانهم كانوا في معيشتهم مثل الكلاب وقيل لان محل تعلمهم كان بعيدا جدا عن باب من ابواب اثينا يسمى باسم يوناني قريب من معنى كلب كان والده من اثينا واسمه

كاسمه وكانت امه رقيقة وحين كان يقال له ان امك من ارقاء افروجية يقول لا عيب في ذلك لان التي تزعمها اليونان ام الآلهة المسماة قبلة كانت ايضا من تلك البلدة   اول تلمذته كانت لمعلمه الخطيب جرجياس ثم اشتغل بتعليم طائفة مخصوصة وكان بليغا فصيحا عذب الالفاظ فلذا هرع الناس اليه من سائر المواضع ليسمعوه ثم بلغه صيت سقراط وشهرته فاشتاق اليه وذهب لسماعه ثم عاد مسرورا منه جدا حتى انه استصحب تلامذته وعاد بهم اليه وطلب منهم ان يكونوا اخوانه بمكتب سقراط وانه لا يأخذ لنفسه بعد ذلك تلامذة وكان مسكنه يمينا بوره فكان يسير كل يوم اربعين غلوة ليسر برؤية سقراط وسماعه ورواية العلوم الحكمية عنه   كان استاذا لكن كان سالكا في معيشة مسلك الضيق والصعوبة وكان دائما يدعو الاله ان قضى عليه بالانكباب على الشهوات ان يسلب عقله فكان يجنح للصعوبة جدا حتى في حكمه على التلامذة وكان اذا سئل عن ذلك يقول أفليس الطبيب يسلك مثل هذه الطريقة مع المرضى وهو اول من لبس العباءة العريضة المبطنة واتخذ الخرج والعصا فلذا صارت هذه الثلاثة خاصة بالكلبية وبغيتهم التي يظنون انهم بسببها يتمتعون بسعادة ابدية   كان لا يأخذ من لحيته شيئاً بل كان لا يعتني بشأن ملبسه   كان لا يعلق آماله الا بالعلوم الادبية ويقول ان غيرها من العلوم لا فائدة فيه بالكلية   كان يعظ الملك ويحثه على اتباع المحامد وينهاه عن المفاخر   كانت الكلبية تستعمل التشديد والصعوبة في معائشهم وكانت اقواتهم خصوص الفواكه والبقول لا يشربون سوى الماء ولا يجدون مشقة في النوم على الارض وكانوا يقولون ان خصوصية الاله عدم احتياجه لشيء اصلا فاشد الناس قربا للالوهية اقلهم احتياجا وكانوا جميعا يفتخرون باحتقار الاموال والحسب وجميع الصفات سواء كانت من الفضائل والفواضل وغاية الامر انهم كانوا لايخجلون من شيء ابدا ولا

يخشون المعرة حتى من الامور الفاضحة ولا يعرفون الحياء فلا يحترمون احدا كان هذا الفيلسوف في غاية الفطنة وصفاء العقل وكان انيسا جدا يتكلم في كل مجلس بما يعجب اهله واشتهر بقوة العزم والشجاعة في واقعة «تناغرا» وحصل له من يد الاعتبار والاحترام وسر من ذلك سقراط جدا ثم بعد مدة من الزمن قيل لسقراط ان امه افروجية فقال متعجبا أتظنون ان مثل الرجل العظيم ينشأ من رجل وامرأة اثينيين ثم ان سقراط لم يتمالك نفسه فيما بعد ان عيره بانه متكبر نظره سقراط ذات يوم وهو يوجه خروق عباءته لجهة الناس فصاح به سقراط وقال له قد ظهر كبرك من خلال هذا الخرق لما بلغ هذا الفيلسوف ان الاثينيين يفتخرون بانهم ولادة المدينة التي هي سكنهم فسخر منهم وقال مستهزئا بهم وكذلك الهوام تشارككم في هذا الافتخار حيث تقيم دائما بمحل ولادتها كان دائما يقول نسيان الشر انفع علم للانسان جاءه رجل بابنه ليكون تلميذا له وسأله ما الذي يحتاجه ابني حالا فاجابه يحتاج الى كتاب جديد وقلم ولوح جديدين قاصدا بذلك افهامه ان عقل ولده كشمعة لم ينتقش فيها شيء سئل مرة ما الذي ينبغي طلبه في الدنيا فاجابه موت الانسان سعيدا حصل له غيظ شديد من حساده الذين كانوا يرعاهم حسدهم دائما كرعى الصدأ للحديد فكان يقول لو خيرت بين ان اكون غرابا او حاسدا لاخترت ان اكون غرابا لان الغربان لا تأكل الا الميتة واما الحساد فانهم يأكلون لحوم الاحياء اتفق ان شخصاً قال له ان الحرب يأخذ اشقياء الناس فقال له يأتي باشقياء اكثر مما اخذ سألوه ذات يوم عن الالوهية فقال لا شيء يشبه الاله فمن الجنون تعرض الانسان لمعرفته بجاسة كان يقول يلزم اكرام الاعداء لانهم اول مبادر بكشف العيب وافشائه فهذا هم انفع من الاحباب لحملهم لنا على الاستقامة والرجوع عن المعايب كان دائما يقول يلزم الانسان محبة الصديق الصالح اكثر من محبة

القريب لان لحمة الفضيلة اقوى وآكد بكثير من لحمة القرابة وقال انتظام الانسان في سلك قليل من الحكماء المتعصبين على الجم الغفير من الحمق اولى له من العكس سمع ذات يوم كثيرا من الاراذل يمدحه فقال ما الذي صنعته من سيء الافعال حتى مدحني هؤلاء الاراذل كان يزعم ان الحكيم لا يلزمه ان يجري على نهج القوانين بل يجب عليه العمل بمقتضى حميد الخصال

كان لا يستغرب شيئاً ابدا ولا يحصل له غم من مصيبة لما انه متبصر في الامر قبل وقوعه متهيئ لعاقبته مستعد لكل ما يحدث من النكبات كان يقول الحكمة والشرف شيء واحد والشرف انما هو الحكيم قال الاحتراس كالسور المحكم لا يمكن هدمه ولا اخذه بغتة وقال ايضاً ان آمن الطرق لبقاء الذكر هو معيشة الانسان صالحاً ولا يكمل حظ امرئ الا ان كان عنده عزم سقراط وقوته سأله رجل ذات يوم أيّ النساء احسن في التزوج فقال له اذا تزوجت بقبيحة المنظر فان نفسك تنفر منها عاجلا واذا تزوجت بجميلة فربما زاحمك الرجال عليها رأى يوما رجلا زانيا بمتزوجة خاف زوجها فهرب فصاح به يا مسكين كان يمكنك اتقاء هذا الخطر بفاس للمعدة لذلك كان يحرض تلامذته على الاستكثار من الزاد الذي لا يعتريه ضياع

كان يقول ينبغي للعاقل ان يتمنى لاعدائه كل شيء ما عدا الحكمة

كان اذا ذكرت عنده التنعمات يقول يا رب لا تجعلها الا لاولاد اعدائنا وكان اذا رأى امرأة ظاهرة في الحلى والزينة يذهب حالا الى بيت زوجها ويطلب منه ان يريه حصانه وسلاحه فاذا ظهر له حسنهما اذن لزوجته ان تفعل جميع ما تروم حيث ان زوجها يحميها ويدفع عنها الغير أما اذا لم يظهر له ذلك فانه يأمر المرأة بنزع سائر الحلى والزينة مخافة استيلاء جبار عنيد عليها فلا يمكن زوجها دفعه وردّه عن هتك حرمتها اتفق انه امر الاثينيين ذات يوم ان يحرثوا الارض على الحمير والخيل على خلاف المعهود

عندهم فقالوا له هذا غير مناسب والحمير لا يمكنها ذلك فقال لهم لا ضرر أو ليس انكم تختارون للحكومة قضاة لم تخبروهم هل يصلحون لذلك اولا بل تكتفون بمجرد اختياركم اياهم وقيل له ذات يوم ان افلاطون يذمك فقال قد شاركت الملوك في ذلك والنفس الخبيثة هي التي تسيء من احسن اليها

كان يقول من العجيب ان الناس يتعبون في تنقية القمح من خليطه وفي نفي العساكر غير النافعة مع عدم تطهيرهم الجمهورية من الحساد لما كانوا يلومونه على معاشرة من قبحت سيرتهم فكان يقول ماذا يضرني في ذلك لان الاطباء يخالطون المرضى كل يوم من غير ان تمسهم حماهم كان جلدا صبورا وكان يعظ تلامذته ويحثهم على تحمل الشدائد وان لا يتأثروا من سب وذم يقال فيهم كان يلوم افلاطون على محبته التفاخر والتعاظم لانه كان دائما يسخر من هذا الامر كان اذا قيل له ما الذي اكتسبته من الفلسفة يقول اكتسبت انه يمكنني ان اسامر مع نفسي وان افعل بالطوع والاختيار ما لا يفعله غيري الا بالقهر والغلبة كان دائما يقر ويعترف لمعلمه سقراط بالمعاوف والظاهر انه هو الذي اخذ ثار سقراط بعد موته وذلك ان جماعة اتوا من آخر بلاد البحر الاسود ليسمعوا سقراط فاخذهم انتيثينوس وذهب بهم الى انوطوس احد من حكم بقتل سقراط وقال لهم هذا الرجل احكم من سقراط وهو الذي تسبب في موته بشكواه فهيج ذكر سقراط الحاضرين حتى طردوا انوطوس خارج المدينة حالا وقبضوا على ميليطوس المتهم الثاني لسقراط وقتلوه مرض انتيثينوس بداء السل والظاهر انه كان يؤثر الحياة بهذا الداء على الموت السريع لان تلميذه ديوجينس دخل عليه ذات يوم في غرفته وتحت عباءته سكين فقال له هذا الفيلسوف ما الذي يخلصني مما اقاسيه فاخرج تلميذه السكين من تحت عباءته وقال له هذه هي التي تخلصك فقال له انما اعني الخلاص من الآلام لا الخلاص من الحياة والظاهر

أيضاً ان هذا الفيلسوف كان يفتخر بان واضع مذهب الكلبيين في الاصل هو هرقول الذي يعتقدونه نصف اله كما يدل لذلك ما قيل في الشعر المنظوم عن لسان حال هذا الفيلسوف

﴿ تاريخ ارستيب الفيلسوف ﴾

كان هذا الفيلسوف في عصر افلاطون مدة الالمبياد السادس والتسعين وكان من مدينة القيروان التي هى من مدن « برقا » فحمله صيت سقراط وشهرته على هجر وطنه والتوطن عند سقراط بمدينة أثينا ليتلقى عنه ويسر بسماعه وملازمته فصار من اعيان تلامذته ولكن سلك مسلكا مخالفاً للاصول المقررة في هذا المكتب العظيم فاخترع في الفلسفة المذهب المسمى القيرواني بسبب انه من تلك المدينة   كان ذكيّ العقل جدا سريع الجواب بليغا في كلامه وكان دأبه التملق في تعظيم الملوك والمتظاهرين وكان مستعدا لجميع ما يطلبونه منه وكان يباسطهم ويضاحكهم فيسلب منهم جميع ما يريد وكانوا اذا نقصوه بسب او غيره يتلقاه منهم بوجه الممازجة حتى لا تقع بينهم منافسة ولو أرادوا ذلك وكان بالتحيل والتداخل يبلغ اغراضه مهما كانت لا يتكدر من شيء ابدا بل كانت الاشياء كلها مستوية عنده وقال له افلاطون يا ارستيب من مثلك تستوي عنده ثياب الصعاليك وخلع الملوك   « قال هوراقس » فى شأنه انه ظهر بجميع الظاهر واكتفى باليسير في زمن تمكنه من حيازة الكثير   هذه الاوصاف صيرته عند الملك دينيس الظالم في غاية القبول فكان عنده بمنزلة جلسائه جميعا وكان يذهب دائما الى سرياقوس مدينة هذا الملك لما عنده من المآكل اللذيذة واذا سئم منها تردد على امراء الدولة ومن حيث كونه افنى عمره في دواوين الامراء سماه ديوجينس الكلبي الذي كان

موجودا في زمنه الكلب الملوكي   اتفق ذات يوم ان دينيس الملك بصق في وجهه فبعض من كان بالمجلس استصعب ذلك جدا واما ارستيب فلم يظهر سوى الضحك وضرب مثلا بان الصياد يتحمل مشقة الصيد حتى يبتل بالبحر لصيد سمكة صغيرة فكيف لا احمل ريق الملك لصيد الحوت الكبير

اتفق ايضاً ان دينيس المذكور كان في نفسه منه شيء فلما وضع الطعام وتهيأوا للاكل امر الملك دينيس ان يجلس في المحل الاخير فلم يتأثر من ذلك ولم يغضب وقال للملك عند ذلك الظاهر انك اردت ان تشرف بي هذا الموضع

كان ارستيب من تلامذة سقراط وهو اولهم طلبا لاجرة التعليم ولاجل ان يصير ذلك مأذونا فيه من شيخه بعث له ذات يوم من نقود ذلك الوقت بعشرين قطعة فلم يقبلها سقراط وغضب مدة حياته من سلوك هذا التلميذ والظاهر ان ارستيب لم يبال بذلك ولم يتغير منه وكان اذا قيل له ان معلمك كان كريما شريف النفس لا يطلب من احد شيئاً يقول شتان بين حالي وحاله حيث انه سائر امراء مدينة أثينا واعيانها كانوا يفتخرون بارسالهم لسقراط جميع ما يحتاج حتى انه كان كثيرا ما يرد اكثر ما يهدي اليه ويستغني بالبعض اما انا فهيهات ان يأتيني مملوك دنيّ يتذكرني باعطاء ما اقوت به ويطلب مني عليه ان اعلمه   ارسل بعض الناس ولده اليه ليعلمه وطلب منه ان يعتني بتعليمه فطلب منه ارستيب خمسين من دراهم ذلك الوقت فاستعظم ذلك ابو الغلام وقال كيف ادفع خمسين مع اني يمكن ان اشتري بها مملوكا فقال له ارستيب اذهب واشتر بها مملوكا ليكمل لك خادمان وليس هذا من حرصه فانه كان فيه كرم وانما قصد بأخذ الاجرة ان ينفقها وليبين ان ذلك مما ينبغي   اتفق ذات يوم انه ركب البحر في سفينة فاخبره بعض الناس ان السفينة التي انت فيها سفينة لصوص السفن فعند ذلك اخرج جميع ما معه من الدراهم واظهر انه يعدها وتركها تتساقط في البحر ثم تنهد حتى

كأنها سقطت منه بلا قصد وقال بصوت لا يسمعه الا من دنا منه كوني اخسر اموالى اولى لي من ان اخسر نفسي بسبب الاموال اتفق كان ماشيا وعبده خلفه فظهر له ان العبد لا يسرع مثله في المشي لثقل ما يحمله من الدراهم فقال له ألق منها ما لا تستطيع حمله ولا تحمل منها الا ما تطيق حمله لما تكلم «هوراقس» على الذين يصرفون سائر همتهم في جمع الدراهم ذكر ان ارستيب على عكسهم كان ارستيب يحب الاكل الطيب اللذيذ ومتى امكنته الفرصة في الاكل انتهزها واتفق ذات يوم انه اشترى حجلة بخمسين درهما فلامه على ذلك جماعة وقال بعضهم لبعض لو كان هذا الطير بفلس فهل تشتريه فقال له الآخر نعم اشتريه فقال ارستيب ان قيمة الخمسين عندي دون قيمة الفلس عندك اتفق ايضا انه اشترى بعض حلويات بثمن غال فلامه على ذلك بعض الحاضرين فقال ارستيب هلا تشترى ذلك من جنس الفلس بثلاث فقال نعم فاجابه ارستيب بقوله ما عندي من الاسراف لا يعدل ما عندك من البخل وكان حين يلام على تبذيره وسرفه في المأكولات الفاخرة يقول ان كانت المآكل اللذيذة مذمومة فلم كثرت الولائم في المواسم والاعياد الدينية مع ما كان عليه افلاطون من التجمل والتفاخر عير ارستيب بانه في ارغد عيش واطيب معيشة فاجابه ارستيب بقوله أترى الملك دينيس من خيار الناس ام لا فقال افلاطون هو من خيارهم فقال اذا كان كذلك أوليس هو اكثر مني تنعما وهل الترفه والتنعم يخرجان المرء عن حيز الصلاح اتفق ان ديوجينس كان ذات يوم يغسل بعض حشائش على عادته فبينما هو كذلك اذ مر به ارستيب فقال له ديوجينس لو امكنك ان تقنع بمثل تلك الحشائش لما اضطررت للذهاب للملوك وسمعت منهم ما لا يلذك فقال ارستيب وانت لو عرفت صناعة مجالسة الملوك لبغضت هذه الحشائش واتفق ايضا ان الملك دينيس احضر امام

ارستيب من النسوة المتبرجات ثلاثا وقال له اختر منهن من استحسنتها فاخذهن اجميعا ثم قال للملك ان الانتخاب منهن لا تؤمن عاقبته أما تعلم ما حل بباريس ابن الملك من المصائب المتتابعة بسبب تفضيل بعض النساء على بعض فان انا اخترت منهن واحدة لنفع نفسي ضرني الثنتان بازيد مما انتفعت به ثم سار بهن الى مجاز داره وردهن حالا واتفق ايضا ان الملك المذكور سأله لاي شيء نرى الفلاسفه دائما يترددون عند الملوك ولا نجد احدا من الملوك يذهب الى الفلاسفة فقال له ارستيب وجه ذلك ان الفلاسفة يفهمون ما يحتاجون اليه بخلاف الملوك فانهم لا يعرفون ما تحتاج اليه انفسهم سأله بعض الناس بهذا السؤال بعينه في وقت آخر فقال له ان من شأن الحكماء ان يذهبوا عند المرضى لمعالجتهم ولا احد الا ويؤثر كونه طبيبا على كونه مريضا كان يقول ان من اظرف الاشياء الاقتصاد في متمنيات الانفس لا قطع عرق ذلك بالكلية فليس الذنب والخطأ في حظوة الانسان بالملاذ وانما يلزم ان لا يكون عبدها ولذا كان اذا سخر بعض الناس مما وقع بينه وبين محبوبته التي هي من الفاجرات يقول اني انا المستولى عليها لا انها هي المستولية عليّ دخل ذات يوم عند معشوقته هذه ومعه احد تلامذته فخجل ذلك التلميذ واستحيي فلما احس ارستيب منه بذلك قال له ياصاحبي لا يسوغ الخجل عند دخول هذه المحلات انما يسوغ اذا لم يمكن الخروج منها واتفق ذات يوم ان بولكسينس الفيلسوف اتى لزيارة ارستيب فوجد عنده وليمة كبيرة فيها نساء عليهن زينة عظيمة فغضب من ذلك وانكر على ارستيب تلك الزينة فطلب منه ارستيب مع غاية اللطف ان يصاحبه على السفرة فلما جلس بولكسينس معه قال له ارستيب حيث جلست فلايّ شيء جعلت تكثر الكلام وتنكر عليّ حين دخلت فالظاهر ان لومك ليس على اللذات والشهوات المذمومة بل على خصوص الانفاق الواسع الممدوح

اتفق انه وقع بينه وبين انخينس منازعة عظيمة ادت الى اعراض كل منهما عن صاحبه فذهب ارستيب الى انخينس وقال له هل لنا في الصلح أريد ان جميع الناس يسخرون منا حتى المتطفلين يضحكون علينا اصحاب الولائم فقال له انخينس الصلح بغيتي وعين مرامي فقال ارستيب لا تنس اني انا الذي بحثت عن الصلح وطلبته منك مع اني اكبر منك سنا

اتفق ايضا ان دينيس الملك صنع وليمة عظيمة ثم في آخرها امر ان كل انسان من حاضري الوليمة يلبس ثيابا طويلة نظيفة ويرقص وسط الديوان فامتنع افلاطون من ذلك ولم يرض به وقال اني رجل ولا يليق بي ان البس ثياب النساء فاما ارستيب فتقدم ولم يتوقف واخذ يرقص بتلك الثياب وقال جهارا ان الناس يرقصون في عيد « بقوس » صنم الشراب ولا يدنسهم ذلك الا اذا كانوا مدنسين بشيء آخر اتفق ايضا انه رجى الملك دينيس لبعض اصدقائه فرده الملك ولم يقبله فخر ارستيب على قدمي الملك وقبلهما فاستصعب ذلك بعض من كان في المجلس ونسبوه الى الرذالة فقال ارستيب لا لوم في ذلك عليّ انما اللوم على الملك حيث وضع اذنيه في قدميه يحكى ان ارستيب كان بمدينة سراقوسه اخذه سيموس الفروجيني خازن دار الملك دينيس ليريه قصره العظيم ويفرجه على حسن تبليطه وظرافة نقشه فاخذ ارستيب السعال حتى بصق فالقى بصاقه على وجه سيموس فامتزج سيموس غضبا فقال له ارستيب ياصاحبي اني لم ار هنا موضعا اقذر من صورتك وقد نسب بعض المؤرخين هذه الحكاية او نظيرتها الى ديوجينس وفي الواقع ان كلا منهما جدير بذلك اتفق ذات يوم ان بعض الناس اخذ يسبه ويذمه بحضرته فتركه ارستيب وذهب فذهب خلفه وقال له لم تذهب يا قبيح فقال له ارستيب انت رجل قادر على السب وانا لست مأذونا بسماعه اتفق ايضا انه سافر في البحر الى مدينة قورنثه

فخرجت ريح عاصفة فحصل له خوف شديد واشفق من الهلاك فسخر منه جميع من كان بالسفينة ولاموه وقالوا له نحن مع جهلنا لم نزعج اصلا وانت من عظماء الفلاسفة فما هذا الوجل والخوف فقال نفسي وانفسكم ليسوا على حد سواء بل شتان بين ما اخسره وبين ما تخسرونه لما سئل عن الفرق بين العالم والجاهل قال جردوهما من الثياب وارسلوهما لمن لا يعرفهما فانه يميز كلا منهما بمجرد رؤيته كان يقول اتصاف الانسان بشدة الفقر اولى واحسن من اتصافه بالجهل لان الفقير لم يفقد الا الدراهم بخلاف الجاهل فانه فقد الانسانية والفرق بين ذي المعارف وصاحب الجهل كما بين الفرس الجموح والمتريضة كان اذا ليم عليه في شأن ابنه من جهة اهماله له ونبذه من غير تعهد واعتناء حتى كأنه اجنبي لم يخرج من صلبه يقول لا ضرر في ذلك ألا ترون ان القمل والبلغم لا ينكر احد تولدهما من الانسان مع انه يبادر بطرحهما ويباعدهما عنه بالكلية ويقال ان دينيس الملك ذات يوم اعطى افلاطون كتابا واعطى ارستيب دراهم فذم جماعة ارستيب على عطيته ولاموه على كيفيته فقال انا محتاج للدراهم وافلاطون محتاج للكتب

يحكى ايضاً انه طلب من الملك دينارا فقال له الملك سبق لك انك اخبرتني ان الحكماء لا يحتاجون للدراهم فقال له ارستيب اعطني اولا الدراهم وبعد ذلك نتكلم في هذا الامر فأعطاه الملك اياها فقال له ارستيب أما ترى الآن اني غير محتاج للدراهم لما اكثر الذهاب الى مدينة سراقوسه واعتاده اضمر دينيس الملك في نفسه ان يسأله عن ذلك فسأله ماذا تصنع في هذه المدينة فقال له ارستيب آتي لاعطيك ما عندي واستعوض عنه ما عندك كان اذا قيل له لم تركت الذهاب الى سقراط بذهابك الى الملك يقول لما كنت محتاجا الى الحكمة كنت اذهب الى سقراط والآن حاجتي الى الدراهم فاذهب الى دينيس واتفق انه رأى ذات يوم شابا مسرورا

معجبا بكونه عرف السباحة في البحر فقال له ارستيب ألا تستحي من الافتخار بشيء يسير فان الدلفين تفوقك في هذا الامر وكان اذا سئل ما ذا اكتسبت من الفلسفة يقول اكتسبت اني اتكلم مع جميع العالم كما اريد يعني لست اسيرا لاحد اخشى منه في الكلام وقال له بعض الناس ما الذي تفوقون به ايها الفلاسفة غيركم فقال ارستيب هو انه لو ذهبت القوانين بالكلية لامكننا ان نستمر على مستقيمة وطريق واحدة كان اهل مدينة القيروان لا يعلقون آمالهم الا بالعلوم الادبية وشيء قليل من علم المنطق ولم يتعرضوا لعلم الطبيعة بل كانوا يرون ان معرفتها مستحيلة وكانوا يزعمون انه ينبغي ان يكون غرض الانسان من اعماله حصول اللذات لا مجرد طرد الآلام بل لا بد من لذة حقيقية تنتعش منها النفس وذلك انهم يقولون ان للروح حركتين احداهما لطيفة تلذ الانسان والاخرى عنيفة تؤلمه فحيث العالم جميعهم مجبولون على الرغبة في الاولى والرهبة من الثانية فهذه حجة واضحة على ان غرض كل انسان انما هو اللذة واما الانسان الخلي من الحالتين معا فهو كالنائم لا يعد من أرباب التنعم والتلذذ ولا من ارباب التأسف والتألم ويقولون مزية الفضائل ليست الا توصيلها للذات كما انه لا مزية للحكيم الا حيث نفع الصحة ويزعمون أيضاً ان الغرض من الفضائل خلاف السعادة الابدية لما ان الغرض من العمل انما هو نعيم مخصوص واما السعادة الابدية فهي عبارة عن اجتماع سائر انواع اللذات والشهوات وان لذات الجسم اقوى من لذات الروح ولهذا كان هؤلاء الحكماء القيروانيون يعتنون بتلذيذ اجسامهم اكثر من عقولهم

ومن امثالهم لا تعتن باحبابك الا على حسب مراتب احتياجك اليهم كما تفاوتت اعضاؤك في اعتنائك منها بالانفع فالانفع وكانوا يقولون ان الاشياء لذاتها لا توصف بحسن ولا قبح ولا صلاح ولا فساد وانما يأتيها الاتصاف بذلك من عوائد البلاد وقوانينها وان الحكيم لا ينبغي له ارتكاب ما لا يليق

لعارض طرأ عليه وانه يلتزم قوانين البلاد التي هو فيها ويتحاشى ان يشتهر بشهرة قبيحة وكانوا يزعمون ان سائر الاشياء في حد ذاتها لا توصف بكونها مألوفة او منفرة وانما تتصف بذلك بواسطة اعتيادها او هجرها او بواسطة طروء ما يغري عليها او ينفر عنها وانه لا يمكن للانسان ادراك سائر انواع السعادة في الدنيا لما انه عرضة للامراض الظاهرة والباطنة المانعة من التمتع بالمسرات او التي تكدره في اثناء الشهوات ويقولون ان الحرية والاسترقاق والغنى والفقر والشرف والخسة كل هـذه لا تمنع من الحظوظ والمبسطات وذلك لان السعد لا ينافيه وصف من هذه الصفات ويقولون انه لا ينبغي للحكيم ان يبغض احدا بل الاولى له تعليم عموم الناس ما ينتفعون به وان لا يفعل شيئاً الا لمصلحة تعود عليه اصالة لانه اولى بحيازة جميع انواع المنافع من غيره من حيث حكمته لما انه افضل من سائر من عداه من ابناء الدنيا هكذا كانت طريقة ارستيب والقيروانيين وقواعدهم كان لارستيب بنت تسمى اريطه قد احسن تربيتها على قواعد مذهبه وبرعت في ذلك المذهب وعلمت بنفسها ولدها المسمى باسم جده ارستيب وكان يلقب ميترودبدقتيس وهو الذي علم تيودورس المشرك فصار تيودورس يعلم الناس عموما أصول مذهب القيروانيين وزاد الاعلان بنفي الالوهية وكان يقول ان المحبة ليست الا خيالات باطلة لانها لا تنعقد بين الحمقى والحكيم مكتف بنفسه غني عن غيره ولا حاجة له الى صاحب وان الحكيم لا ينبغي له ان يلقي بيده الى التهلكة لاجل حفظ وطنه فان الدنيا كلها وطنه فليس من الانصاف ان يخاطر بنفسه من المهالك لاجل حماية المجانين وان الانسان يسوغ له الزناء والسرقة والشرك متى امن على نفسه ان هذه الاشياء ليست كبائر الا في اذهان الجهلة والعامة واما في الحقيقة فلا ضرر فيها وكان هـذا المشرك يقول ايضاً لا مانع للانسان من التجاهل في المحافل بجميع القبائح الذي

يستحي منها وتعدها العامة عارا وفضيحة وعيبا ولما فهم هذا المشرك انه يراد جلبه الى محكمة المملكة ليجازى على قبائحه خلصه من ذاك ديمتريوس الذي هو من مدينة « قاليره » فمكث مدة من الزمن بمدينة القيروان محترما فيها غاية الاحترام عند امير يقال له ماريوس ثم ان اهل تلك المدينة طردوه منها فقال لهم عند خروجه أما انكم لم تعرفوا مقدار طردكم لي من ممالككم وذهابي الى بلاد اليونان ثم ذهب عند شخص يقال له بطليموس لاجوس فارسله سفيرا الى الملك المسمى لوسياقوس فتكلم هذا السفير معه بغاية الوقاحة فقال له وكيل هذا الملك الذي كان حاضرا اذ ذاك أظنك يا تيودورس كما تزعم انه لا وجود للآلهة تزعم انه لا وجود للملوك ذكر بعضهم ان هذا الفيلسوف حكم عليه بالموت وانه قهر على شرب السمّ على عادتهم

﴿ تاريخ ارسطاطاليس المسمى ايضا ارسطو الفيلسوف ﴾

ولد هذا الفيلسوف في السنة الاولى من الاولمبياد التاسع والتسعين وتوفي في السنة الثالثة من الاولمبياد الرابع عشر بعد المائة وعمره ثلاث وستون سنة وكان ارسطو من اشهر قدماء الفلاسفة ولم يزل اسمه الى الآن مشهورا في جميع المكاتب وكان والده المسمى نيقوماقوس حكيما صاحبا لملك مقدونيا المسمى امنتاس وكان ارسطو من ذرية ماكون وهو حفيد اسقولاب ولد بمدينة استاجير وهي من مدن مقدونيا في السنة الاولى من الاولمبياد التاسع والتسعين وفقد اباه وامه في زمن صغره جدا فصار غير معتني به عند الذين تكفلوا بتربيته فضيع مدة من صباه في الفسق وارتكاب ما لا يليق الى ان ذهبت سائر امواله فشرع عند ذلك اولا في تعليم الحرابة ولكن

لما لم تكن هذه الصنعة موافقة لطبعه بالكلية بل كان يمجها ذهب الى كاهن دلفيس ليسترشده في صنعة تليق به فامره بالذهاب الى مدينة أثينا وان يجتهد في تعلم الفلسفة بها وكان عمره اذ ذاك ثماني عشرة سنة فذهب ومكث بها عشرين سنة وهو مجتهد في التعلم بمكتب افلاطون ومن حيث ان امواله ضاعت بالكلية كما سبق واضطر الى التعيش اخذ يتكسب بالتجارة في بعض ادوية يصطنعها بنفسه ويبيعها بمدينة أثينا   كان اكله ونومه قليلين وكان مجتهدا مولعا بالقراءة والمطالعة حتى انه لخوفه من غلبة ووخامة النوم الثقيل اتخذ بجانب سريره طستا من نحاس فكان اذا تمدد على سريره اخرج يده خارج السرير ماسكا بها كرة حديد فكان اذا غلبه النوم سقطت من يده في الطست فيستيقظ لوقته من صوتها وحكى « لايرقه » انه كان ضعيف الصوت ضيق العينين نحيف الساقين وكان يلبس افخر الملابس   كان ارسطو دقيق الفهم فكان يسرع فهمه الى المسائل الصعبة جدا حتى انه ما مضت عليه مدة قليلة بمكتب افلاطون الا وقد صار ماهرا ففاق سائر من بالمكتب من الافلاطونيين وكانوا لا يقطعون حكما في شيء الا بعد مراجعته وان كان رأيه قد يخالف رأى افلاطون وكان اعتقاد التلامذة في قريحته انها خارقة للعادة بل كان بعضهم يقدم اتباع رأيه على رأي معلمه ولما خرج ارسطو من المكتب حصل لافلاطون عليه تأثر عظيم فصار يصفه بالعصيان ويشكوه بانه رفض معلمه وتكبر عليه وانه كالصغير العاق لامه ثم ان الأثينيين اختاروه سفيرا الى الملك فيليبس والد الملك اسكندر الاكبر في مدينة مقدونيا فذهب لقضاء اشغاله واقام بها مدة من الزمن ثم لما رجع رآهم اختاروا اكسينوقراط معلما بمكتب افلاطون ورأى المكتب مكتفيا عنه فرأى من العار مكثه ساكتا مع اشتغال اكسينوقراط بالتعليم فجدد له مذهبا خلاف مذهب افلاطون   اشتهر ارسطو شهرة عظيمة في جميع العلوم سيما علم الفلسفة

والسياسة فهذا ما شوق فيليبس ملك مقدونيا الى ان يطلبه مؤدبا لولده اسكندر وكان عمر اسكندر حينئذ اربع عشرة سنة فرضي ارسطو بذلك واقام مع اسكندر ثماني سنين وهو يعلمه وذكر پلوتارك ان ارسطو كان يعلم اسكندر هذا كثيرا من المعارف الخفية التي لم يطلع عليها احدا ومع مطالعته الكثيرة في علم الفلاسفة لم تنفر نفسه من العالم بل كان لجودة فهمه يسوس ويرتب المصالح الميرية بديوان مدينة مقدونيا ثم ان الملك فيليبس لشدة اعتنائه بهذا الفيلسوف جدد مدينة استاجير التي هي وطن ذلك الفيلسوف بعد تهدمها وتخريبها مدة الحرب الذي اسر فيه اغلب اهلها وهرب باقيهم ورد اليها الاسراء والهاربين ولما فارق ارسطو اسكندر ورجع الى مدينة اثينا قابله اهلها بغاية الاحترام والتعظيم بسبب ان الملك فيليبس اكرمهم لاجله فانتخب ارسطو مكانا بمحل يسمى « ليسى » قد اكتنفته صفوف الاشجار وبنى له فيه مكتبا لانه كان من عادته تعليم تلامذته وهو ماش معهم فلذلك سميت اتباعه المشائين وعما قريب صار هذا المكتب شهيرا بسبب الجمعيات العظيمة التي تأتيه من المحال المختلفة لسماع ارسطو لما ان شهرته وصيته عمت سائر بلاد اليونان كان اسكندر امر ارسطو ان يعمل تجربة في سائر الطبيعيات حتى انه اعطاه جماعة من صيادي السمك وصيادي الطير ليجلبوا سائر ما يلزم له في التجربة واعطاه ثمانمائة دينار لاجل مصروفه

اظهر ارسطو في ذلك الوقت لعموم الناس سائر كتبه في الطبيعيات وما وراءها والرياضيات وكان اسكندر اذ ذاك في آسيا فلما بلغه ذلك حصل له غم شديد لانه كان طماعا حريصا على ان يكون هو السابق في كل شيء فكتب لارسطو مكتوبا اظهر فيه تأثره ونصه في اعلاه من اسكندر لارسطو ليس من الصواب ما صنعته من اشهار كتب العلوم ليتداولها عموم الناس لانه اذا فشا بين عموم الناس على اختلاف انواعهم ما نعرفه فباي

شيء نفضلهم ومما لا يخفاك اني اوثر ان اكون فوق غيري في المعارف الشريفة على ان افوقه في الشوكة والبأس انتهى فكتب له ارسطو تسكينا لغضبه اني اظهرتها ولم اظهرها على معنى انه اغمض عبارات مذهبه بحيث لا يهتدي لما فيه من المعارف ولم تدم المودة بين ارسطو واسكندر بل وقع في نفس ارسطو منه شيء بسبب انتصار ارسطو للحكيم قاليثينوس ابن عمته الذي كان رباه واعتنى بتأديبه ولما رجع ارسطو من عند اسكندر اعطاه قريبه هذا على ان يتبعه في الحرب واوصاه عليه كثيرا فكان قاليثينوس لا يبالي بالملك بل يستطيل في كلامه عليه وهذا هو الذي صد اهل مقدونيا عن عبادة اسكندر التي كانت طريقة العجم في رعاياهم من عبادتهم للملك كالاله ثم ان اسكندر لما بغض قاليثينوس من تلك الطبيعة التي لا لين فيها وجد فرصة للانتقام منه فبدأ باهماله ثم اتهمه بلا برهان في الفتنة التي حصلت من هرموليوس تلميذه بعد ذلك بقليل ولم يمكنه من تبرئة نفسه بل قابله بالقتل فمن قائل انه اغرى عليه السباع ومن قائل انه خنقه وعلقه مخنوقا ومن قائل انه صار يعذبه حتى خرجت روحه عند ذلك اشتد غضب ارسطو وكمن حقده على اسكندر واما اسكندر فلم يدع شيئا يغيظ ارسطو الا بحث عنه حتى انه رفع رتبة اكسينوقراط الحكيم واتحفه بهدايا عظيمة فحصل لارسطو من ذلك غيرة شديدة حتى انه على ما زعمه بعضهم كانت له يد في فتنة انطيباطر وانه اخترع لانطيباطر السم الذي سقاه الاسكندر مع ثبات وحزم رأي ارسطو حصل منه ما يوجب ضعفه ويخل بمروءته وذلك انه لاذ بالملك هرمنياس الظالم المستولى على بلاد «آرنا» ولا يعلم السبب الذي جذبه اليه وذكر بعضهم ان سبب هذا السفر قضاء شهوات فاسدة شيطانية

فقد تزوج هذا الفلسفي باخت هذا الملك وقال آخرون بسرية من سراريه فاحبها كثيرا حتى صار يقرب لها القربان كما يفعله الاثينيون للسنبلة

ونظم قصيدة في مدح هرمنياس والثناء عليه بانعامه عليه بهذا الزواج

قسم ارسطو الفلسفة قسمين علمية ونظرية فالعلمية هي التي تعلمنا قواعد بها تستقيم الترتيبات العقلية كالمنطق او تفيدنا حكما وامثالا لترتيب معاشنا ومعادنا فهذا هو الحكمة العلمية والسياسية والنظرية هي التي تظهر لنا الحقائق العقلية الخالصة مثل علم الالهيات والطبيعيات وقد قال ارسطو ان اصول الاشياء الطبيعية ثلاثة العدم والمادة والصورة وبرهن على نظم العدم في سلك الاصول بان مادة الشيء لا بد من سبق خلوها من صورة الشيء مثلا مادة السرير التي يتركب هو منها يلزم ان تخلو من صورة السرير يعني انه يجب قبل عمل السرير ان المادة التي يصنع منها السرير لا تكون هي نفس ذلك السرير على تلك الصورة وليس قصده ان العدم اصل لتركيب الاجسام بل انه اصل خارجي لاحداثها ما دام هذا الايجاد تغييرا به تنتقل المادة من الحالة التي ليست موصوفة بهذا الايجاد الى حالة هذا الايجاد كالالواح التي تنتقل من الخلو عن كونها سريرا الى كونها سريرا وعرّف ارسطو المادة بتعريفين مختلفين سلبا وايجابا فقال في التعريف الاول المادة هي ما ليست جوهر ذلك الشيء ولا امتداده ولا عرضه ولا نوعا آخر من الامور الوجودية العارضة له فعلى هذا التعريف مادة الخشب مثلا ليست امتداد هذا الخشب ولا صورته ولا لونه ولا جسمه ولا زنته ولا صلابته ولا يبسه ولا رطوبته ولا رائحته ولا غير ذلك من الاعراض التي في هذا الخشب الحد الثاني الايجابي وهو كالاول ليس بمقنع وحاصله ان المادة هي مبدأ تركيب الاشياء ومنتهى تغييراتها لكن يرد عليه انه لم يستفد من تعريفه اي شيء هو المادة والاصل الاول الذي الاشياء التي على اصل الخلقة مركبة منه افادنا هذا الفيلسوف انه لاجل حدوث الجسم الطبيعي يلزم خلاف المادة الاولية اصل ثان سماه بالصورة فأول بعضهم هذا بان معناه ترتيب اجزائه الاصلية

وقال بعضهم ان قصده بذلك هيولي جوهرية ممتازة امتيازا تاما عن المادة كما اذا سحقنا الحب فانه يطرأ عليه صورة جديدة جوهرية بها يستحيل الحب دقيقا واذا مزجنا الماء بالدقيق وعجن به فانه يكتسب صورة اخرى جوهرية بها استحال الدقيق الى صورة جوهرية صيرت الدقيق الممزوج بالماء عجينا فاذا خبزنا هـذا العجين اكتسب صورة اخرى جوهرية صيرت العجين المنضج بالنار خبزا وقال المفسرون لكلامه بهذه الهيولات الجوهرية في جميع الاجسام الطبيعية مثلا غير ما في الفرس من العظم واللحم والعروق والمخ فيها الدم الذي بجريانه في سائر العروق والشرايين يغذى جميع اجزائه وغير ما في الفرس ايضا من العقول الحيوية التي هي اصول الحركات يقولون بصورة جوهرية ادعائية وهي روح الفرس وهذه الصورة الادعائية ليست مستخرجة من المادة وانما هي ناشئة من قوتها فيريدون انها هيولى غير المادة ليست جزءا منها ولا قيدا فيها وكان يقول ان الاجرام الارضية مركبة من اربعة عناصر وهي التراب والماء والهواء والنار وان الماء والتراب ثقيلان لانهما يحاولان دائما السقوط بالمركز بخلاف الهواء والنار فانهما يبعدان عنه على قدر الامكان لخفتهما وزاد على هذه الاربعة عنصرا خامسا فقال انه يتركب منه الاجرام السماوية وان حركته مستديرة دائما وكان يزعم انه يوجد فوق الهواء في اعلى الجزء المقعر في القمر كرة من النار تذهب اليها جميع الالتهابات النارية وتلك الالتهابات مثل الخلجان والانهر تصب في البحر وكان يزعم ان المادة تقبل القسمة الى غير نهاية وان الكون ممتلئ وانه لا فراغ وان العالم باق لا يزول وان الشمس تستمر في دورانها على الحالة التي نشاهدها كما هي كذلك قديما وان التناسل في الاجيال لا اول له وكان يستدل على ذلك بقوله انه لو ثبت ان له اول انسان لكان من غير اب وام وهو محال واستدل بمثل ذلك في شأن الطيور فقال انه لا يمكن ان يكون

هناك بيضة اولية هي اصل لجميع الطيور ولا طائر اولي هو اصل لجميع البيض واستدل على ذلك بقوله ان الطير من بيضة والبيضة من طير وهكذا وكان يقول مثل ذلك في سائر الاجناس والانواع التي في الكون وكان يزعم ان الافلاك لا تقبل الفساد ولا تخرب وانما يعرض لها ذلك مما في الجو من الاشياء وكذلك اجزاؤها لا تفسد ابدا وانما تنتقل من محالها وان الآثار التي تبقى يتكون منها شيء آخر ولا تزال الدنيا بهذه الكيفية تامة لا تزيد ولا تنقص وكان يزعم ايضا ان الارض في وسط العالم وان الموجود الاول جعل حركات الافلاك حول الارض بعقول دائما تشتغل بهذه الحركات وذكر ان جميع الاشياء المستترة الآن بمياه البحر كانت سابقا ارضا يابسة وان الاراضي اليابسة الآن تصير فيما يأتي مياها بسبب الانهار والسيول دائما تجذب معها رمالا واتربه ولا تزال الشواطيء تتقدم داخل البحر ولا يزال البحر ينحسر ويتأخر شيئاً فشيئاً بحيث انه بتداول الايام والقرون تصير الارض بحرا والبحر أرضاً وان كان يلزم لذلك ازمنة طويلة وذكر ايضاً ان عدة مواضع من الاراضي المرتفعة كانت بحرا بدليل ان من بحث فيها يجد صدف البحر وقطع المراسي والهلوب واجزاء السفن وقد نقل مثل هذا عن فيثاغورس وذكر ان تقلبات البحر وصيرورته ارضاً وعكسه الذي يحصل مع التدريج بعد مضي مدة طويلة من الزمن هو السبب في نسيان الاشياء الماضية وذكر ايضاً ان هناك عوارض اخر ايضاً ينشأ عنها ضياع سائر العلوم والمعارف كالطاعون والخراب والقحط والزلزلة والخسف والحريق والفساد العظيم فهذه ايضاً ربما نشأ عنها هلاك أمة كاملة الا ان ينجو قليلهم بفراره الى البراري فيعيش هناك معيشة المتوحشين ويتناسل منه امم أخر على تداول الازمان يجتنون ثمار الارض ويخترعون العلوم والفنون او يجدونها مخترعة فيستعملونها ولهذا تجد الاراء تارة تتوافق وتارة تتخالف بآراء اخر متجددة

وكذا الاديان وبهذا يستدل ارسطو على ان الافلاك لا يعتريها فساد اجتهد ارسطو بشأن الاسباب التي تصير الانسان سعيدا في هذه الدنيا فنقض اولا رأى ارباب الشهوات الزاعمين ان السعادة في اللذات البدنية قائلا انه مع ما في اللذات من عدم الدوام يتسبب عنها سآمة منها وزهد فيها بل ربما اضعفت البدن وشوشت العقل وزيف ايضاً رأى ارباب الطمع والحرص الزاعمين ان السعادة في العز والشرف المستعملين سائر وسائل الظلم التي توصلهم لذلك قائلا ان الشرف ارتكاب ما يشرف وقال ايضاً ارباب الطمع يتمنون ان يكونوا مشرفين بسبب التظاهر ببعض خصال حميدة يريدون ان تظنها الناس فيهم ففي الحقيقة السعادة انما هي في الفضيلة نفسها لا في مسبباتها لما ان المسببات ليست ذاتية للانسان وزيف ايضاً رأى البخلاء الزاعمين ان السعادة في الاموال قائلا ان الاموال ليست مرغوبة لنفسها وانها سبب شقاء لمن كنزها وخاف انفاقها فمن اراد ان امواله تكون نافعة فلينفقها ويتوسع بها فليس في ذات الاموال سعادة أصلا ورأى ان السعادة هي اعمال العقل الحسن وسلوك طريق الفضائل وقال ان اشرف اعمال العقل تأمله في الكائنات وبحثه عن احوال الموجودات وعن الافلاك والكواكب وسائر الاشياء الطبيعية خصوصا الموجود الاوليّ الازليّ وقال ايضاً لا يمكن الانسان تحصيل السعادة كلها الا اذا رزق ما يكفيه فانه بدون ذلك لا يمكنه الاشتغال بالبحث عن ظريف الاشياء، ولا استعمال الفضائل مثلا من لا مال معه لا يقدر على صنع المعروف مع احبابه الذي تنبسط منه النفس في حياتها فلذلك كان يقول سعادة المرء تصدر عن ثلاثة اشياء الكمالات العقلية كسداد الرأي وحسن التدبير والضبط والكمالات البدنية كالجمال والقوة واعتدال المزاج والكمالات الدنيوية كالغني وطيب الاصل وقال ان الصلاح وحده لا يكفي في سعادة المرء بل لا بد من كمالات الجسم والمعيشة فاذن الحكيم يشقي باحد سببين

اما الآلام واما الاحتياج للمال بخلاف النقيصة فانها تكفي في شقاء المرء فاذا كان المرء بغاية السعة واستكمل المنافع لا يمكن سعده ما دام متصفاً بنقيصة وان الحكيم لا يمكن خلوه في حكمته من بعض المكدرات انما مكدراته هينة وان الفضائل والرذائل ليست متباينة الافراد على معنى انه اذا وجد احدها عدم الآخر فانه يمكن ان الرجل الواحد يتصف بالصدق والانصاف وحزم الرأي ومع ذلك تكون عنده شهوات نفسانية تخصه وكان يقسم المحبة الى ثلاثة اقسام احدها شفقة القرابة وثانيها الميل للالف ثالثها محبة الاحسان

كان يزعم ان الاعتناء بالعلوم الادبية يعين على التمسك بالفضائل كثيرا وقال انها اعظم ما يوجب تسلية الاديب اذا صار هرما وقال وفاقاً لافلاطون بوجود ذات اولى متصفة بصفة القضاء والقدر وكان يقول ان سائر افكارنا اصلها الحواس واستدل لذلك بان الاكمة لا يفرق بين الالوان والاصم لا يفرق بين الاصوات قال في سياساته اعظم الممالك واتمها انتظاما الولايات المحكومة بواحد بخلاف الجمهورية المتعددة حكامها ونظير ذلك الجيش المحكوم برئيس واحد ينقاد له فانه يظفر بمراده بخلاف الجيش المنقاد لعدة رؤساء ويوضح ذلك ان الجمهورية اذا ارادت شيئاً فانه لا بد من اجتماعها وتشاورها ويلزم لذلك جمع رؤساء اطراف الاقاليم وذلك يحتاج لزمن ربما فاتت فيه الفرصة اما الملك الواحد فربما نفذ اغراضه في زمن قدر زمن اجتماعهم وايضاً ارباب تدابير الجمهورية قد لا يضرهم خرابها لما ان اصل غرضهم غنى انفسهم فقط فربما تنافسوا مع بعضهم فيتولد الفشل في الامر الذي ينشأ عنه الدمار بخلاف الملك الواحد فان مصلحته التي يحافظ عليها هي حفظ ولايته فلا بد وان يدوم عمارها وخيرها وسئل ذات يوم ما كسب الكذابين فقال عدم تصديقهم في شيء وان وافقوا الواقع اتفق انه تصدق على شرير فلاموه على ذلك فقال انما تصدقت عليه لكونه من الآحاد لا

لكونه شريرا   كان دائماً يقول لتلامذته واصحابه العلم الروح كالنور للعين وتحصيل العلوم وان كان متعباً مرا لكن ثمرته حلوة وكان لما يغضب من الاثينيين يعيرهم بانكم لما وجدتم القوانين كثيرة كالحنطة حافظتم على الحنطة ولم تستعملوا ابدا قوانين   سئل ما اسرع الاشياء محوا من الذهن فقال المعارف وفعل الجميل وشكره   سئل ايضاً عن الآمال فقال كالهوس الذي يراه النائم   اهدى له ديوجينس تينة فنظر ارسطو في نفسه انه ان ردها سخر به ديوجينس الذي كان كثير الهزل فاخذها وقال متبسماً ضيع ديوجينس تينته ولم يفز بمقصوده من عطيته   كان يقول اللازم للاطفال ثلاثة اشياء عقل ورياضة وتلمذة   كان اذا سئل عن الفرق بين العلماء والجهال يقول كما بين الاحياء والاموات   كان يقول ان العلوم زينة في العز وملجأ في الشدة ومن احسن تربية الاطفال فهو اولى بهم من آبائهم لانهم لم ينفعوهم بغير المعيشة واما المربون فقد علموهم ما ينتظمون به في سلك السعداء   كان يقول الجمال اقوى في الوصاية من المراسلات   سئل ما السبب الذي يقدم التلميذ في المعارف فقال يلزم نفسه دائماً مساواة من تقدم عليه ولا ينتظر ان يلحقه من دونه   سمع رجلا يفتخر بكونه من مدينة عظيمة فقال له الاولى لك افتخار بتأهلك لهذا الوطن العظيم   كان اذا تفكر في معيشة الانسان يقول يوجد اناس منهمكون على جمع الاموال مع الحرص كانهم لا يموتون ابدا وآخرون يسرفون فيها كانهم يموتون غدا   كان اذا سئل ما هو الحبيب يقول روح في جسمين   سأله جماعة بم نعامل اصدقاءنا فقال بما تحبون ان يعاملوكم به وكان دائما يتأوه ويقول باعلى صوته يا احبابي لا احباب في الدنيا   سأله جماعة لاي شيء تميل انفسنا للجمال دون غيره فقال لهم سؤالكم عن هذا يدلني على انكم كالعميان الذين لا يبصرون شيئاً   كان اذا سئل ماذا اكتسبت من الفلسفة يقول هو عملي بالاختيار ما لا يعمله

غيري الا بالخوف من الشرائع ويقال انه في زمن اقامته بمدينة أثينا اصطحب صحبة عظيمة مع المخالطة بعالم من سكان يهوذا فعلمه ذلك العالم علوم المصريين ودينهم فبذلك لم يفته تعلم علم المصريين الذي كانت تشد لمصر رحال كافة الناس لاجله ثم ان ارسطو بعد استمراره بمكتبه ثلاثة عشر سنة وهو يعلم في غاية الشهرة اتهمه كاهن من كهنة السنبلة بانه كافر فخاف ان يعامل بما عومل به سقراط فخرج حالا من أثينا متوجها الى جزيرة اغريبوس وقال بعضهم انه مات من شدة غيظه بسبب عدم معرفته موجب زيادة المد والجزر فى بحر « اوريب » وزاد آخرون فقالوا قد ألقى نفسه في ذلك البحر قائلا اذ ذاك ان بحر أوريب ابتلعنى لكونى لم اعرفه واثبت بعضهم موته بالقولنج وكان قد بلغ من العمر ثلاثا وستين سنة فكان موته بعد موت اسكندر بسنتين صنع له اهل مدينة استاجيب مزارا وقربوا له القربان كالآلهة وكان ارسطو قد اوصى قبل موته وصية فنفذها انطيباطر ترك ولدا يسمى نيقوماخوس وبنتا تزوجت بحفيد ديمارطوس ملك مدينة لقدمونيا

﴿ تاريخ اكسينوقراط الفيلسوف ﴾

تولى هذا الفيلسوف بعد اسبوسيب الحكم في مكتب افلاطون في السنة الثانية من الاولمبياد العاشر بعد المائة ومكث في الحكم خمسا وعشرين سنة وتوفي في الاولمبياد السادس عشر بعد المائة كان من الفلاسفة المشهورين في مكتب افلاطون موصوفا بكمال العقل والاستقامة والعفة وكان من مدينة يقال لها خلقدوان وكان والده يسمى اغاثينور وكان من ابتداء تعلمه تلميذا لافلاطون واستمر كذلك وكان دائما مشغوفا به حتى انه ذهب معه لجزيرة سيسيليا التي كان افلاطون يذهب فيها للملك دينيس الظالم وكان هذا

الفيلسوف مع عظم عقله بطيء الفهم ثقيله ولذا كان افلاطون حين يذكره ويذكر ارسطو يقول احدهما يحتاج الى لجام والآخر محتاج الى منخاس وتارة كان يقول سخرية باكسينوقراط اي حصان اقطر فيه هذا الحمار كان اكسينوقراط سالكا الصعوبة والجد وكان افلاطون يضحك عليه ويسخر منه ويقول له احيانا يا اكسينوقراط اذهب وقرب لاصنام اللطف قربانا عسى يحصل لك شيء من آثارها افنى عمره وهو عاكف بالمكتب الافلاطوني

كان حين يسلك فجاج أثينا وحاراتها التي يندر مشيه فيها يخرج قباح اهل المدينة وينتظرونه بتلك الطرق ليعبثوا به ويخادعوه بانواع الخداع فكان هو مع تحيلهم بانواع المصائب والمكايد على ايقاعه لا تغضبه افعالهم ولا توقعه بمحذور لان الانسان متى اخذ بازمة هوى نفسه تصير عنده قضايا التحيلات والمكايد عقيمة ومما اتفق له ان امرأة يقال لها « افوونه » عقدت رهانا على انها تسلب عقله بعشقها فاتفق انه شرب مداما ذات يوم ازيد من عادته فتزينت باحسن ما وجدت ودخلت عليه بيته واطالت المكث معه فمع ذلك لم يمكنها ان تصل لشيء من مقصودها فاغتاظت اضياع سعيها في الهباء المنثور وظنت انها تمحو هـذا العار بهجوه وذمه الذي هو حيلة المقلين الاشرار كان قليل الطمع جدا فاتفق ان اسكندر بعث له جملة من الدراهم فلم يأخذ منها الا ثلاثة ورد الباقي وقال للرسول الآتي بتلك الهدية ان اسكندر عنده خلق كثيرون يطعمهم فيحتاج حينئذ للدراهم اكثر مني

وايضا اراد انطيباطر ان يهدي له هدية مثلها فلما بلغه شكر معروفه ومدحه امتنع ولم يأخذ شيئا اعطى له على سبيل الجائزة وهو بجزيرة سيسيليا اكليل ذهب ليتميز به حيث تميز بزيادة الشرب عن غيره فلم ينتفع به اصلا بل بمجرد ما عاد لمدينة أثينا اخذ هذا الاكليل ووضعه في اقدام صورة صنمة عطارد وحرره لها وكان في اغلب الاوقات يهدي لها اكاليل الازهار

ارسله الاثينيون مع جملة رسل الى الملك فيليبش فلاقاهم واحسن لهم الملاقاة حتى استمال قلوبهم وجذبها اليه حتى صيرهم كأنهم تحت امره ممتثلين لقوله ما عدا اكسينوقراط فانه لم يقبل منه هدية ولم يحضر له وليمة قط بل ولا مذاكرته معهم فلما رجعوا جميعا الى مدينة أثينا قالوا انه لم يكن في ارسال اكسينوقراط معنا فائدة لانه لم ينفعنا في شيء فاشتد غضب جميع الناس منه وارادوا الحكم عليه بدفع غرامة فعند ذلك اظهر للاثينيين ما وقع لرسلهم واخبرهم بما فعلوه وارشدهم الى الاحتراس منهم جدا وان يأخذوا حذرهم لئلا تفسد الجمهورية وذكر لهم ان فيليبش استمال قلوب الرسل بالهدايا والولائم اما انا فلم يصل لاستمالتي بشيء فعند ذلك انقلبت البغضاء محبة وقابلوه بمزيد الاحترام والتبجيل بعد ما شرعوا في معاملته بالاذلال والتنكيل وصاروا لا يبحثون الا عما يسره ويعجبه وشاع خبر هؤلاء الرسل حتى ان فيليبش اعترف بان رسل الاثينيين قبلوا هداياه ما عدا اكسينوقراط فانه لم يقبل منه شيئا اصلا كان انطيباطر في غزوة مدينة « لاميا » اسر جملة من الاثينيين فارسلت جمهورية الاثينيين اكسينوقراط لانقاذ هؤلاء الاسرى فلما وصل الى انطيباطر دعا انطيباطر بالاكل قبل التكلم في شأن الاسراء فقال له اكسينوقراط تؤخر المائدة فاني لا اريد طعاما الا بعد تخليص اهل بلدي الذي بعثت بصدده فحصل لانطيباطر شفقة من حب اكسينوقراط لوطنه فاخذا في التكلم في المقصود فتعجب انطيباطر غاية العجب من مداخلة اكسينوقراط معه حتى جذبه وتوافقا على اطلاقهم فاطلقوا حالا اتفق انه كان بجزيرة سيسيليا عند دينيس الظالم واذا بالملك يقول لافلاطون لا بد من قطع احد من الناس رأسك فقال اكسينوقراط هذا لا يقع ابدا حتى تقطع رأسي حضر انطيباطر بمدينة أثينا فذهب ليسلم على اكسينوقراط وكان اذ ذاك مشتغلا بالكلام في المحفل فلم يقطع كلاما ولم يرد تحية حتى تم

مرامه وكمل كلامه وكان اسبوسيب من ذرية افلاطون خليفة على مكتبه فلما احس بالكبر والهرم ورأى انه قد تعب وان العمر انصرم طلب من اكسينوقراط ان يقوم مقامه فرضي بتلك الكرامة واخذ يعلم الناس على العموم وكان اذا جاء مكتبه من يجهل الموسيقى والهندسة والهيئة يقول له اخرج من هذا المحل لانك جاهل باساس الفلسفة ولذاتها كان اكسينوقراط لا يحب التفاخر والزينة بل كان دأبه الخمول والعزلة فكان يمكث كل يوم بعضا من الساعات معتزلا عن الناس كان معتبرا مهابا عند الاثينيين فقد اتفق انه حضر الى القضاة ذات يوم لآداء شهادة في دعوى اقيمت لديهم فلما دنا من المحراب ليحلف على صحة شهادته على عادة بلادهم قام القضاة ومنعوه الحلف وقالوا له حيث وثقنا باخبارك فلا فائدة لليمين كان بمدينة اثينا شاب يقال له بوليمون بن فيلوسترات من اعظم اهلها فسادا فاتفق دخوله مكتب اكسينوقراط لغرض من الاغراض وهو سكران وعلى رأسه تاج فكان اكسينوقراط حينئذ يحرض على العفة والاستقامة فلم يقطع الكلام بل زادت همته وقوته في الكلام اكثر مما كان فاتعظ هذا الشاب جدا حتى انه من ذلك الوقت شرع في الاقلاع من ذنوبه وصمم على تجنبه فتجنبه ومهر في الفلسفة حتى صار خليفة اكسينوقراط على المكتب ألف اكسينوقراط جملة من الكتب نظما ونثرا واتحف اسكندر بواحد منها وافسطيون بواحد كان لا يعتبر احدا اصلا فمن ثم كثرت اعداؤه في الجمهورية فاراد الاثينيون اضراره فعاملوه بالاحتقار وباعوه ليهلك فاشتراه رجل من ارباب المظاهر بمدينة « فالير » يقال له دمتريوس وحرره وتحيل على الاثينيين حتى اقتصروا على عزله لما بلغ من العمر اثنتين وثمانين سنة اتفق ذات ليلة انه سقط على حوض صادفه تحت رجليه فمات لوقته وكانت مدة تعلمه في المكتب اثنتين وعشرين سنة وكان ابتداء ظهوره في زمن لسياقوس في

الاولمبياد الثاني بعد المائة

﴿ تاريخ ديوجينس الفيلسوف ﴾

توفي هذا الفيلسوف في السنة الاولى من الاالمبياد الرابع عشر بعد المائة وعمره تسعون سنة فعلى هذا تكون ولادته في السنة الثالثة من الاالمبياد الحادي والتسعين كانت ولادته في الاالمبياد المذكور بمدينة « سينوب » من بلاد « بافيغونيا » وكان يلقب بالكلبي واسم ابيه ايزسيوس الصيرفي فاتهم بانه كان يصنع مع ابيه الدراهم الخارجية فقبض على ابيه الى ان مات في السجن وأما ديوجينس فمن الرعب فر الى أثينا فلما وصل اليها ذهب الى انتيثينوس فلم يقبله بل وكزه بالعصا وذلك انه كان عازما على ان لا يقبل تلامذة اصلا فلم يرجع ديوجينس عنه بل طأطأ رأسه وقال له اضرب اضرب ولا تخش شيئاً فانك لا تجد عصا يابسة تطردني عنك ما دمت حيا فمن جمود وجهه قبل انتيثينوس ان يتخذه تلميذا ديوجينس هذا اضطر ليتعيش معيشة فقير متغرب عن وطنه منفي من بلده لا يعاونه احد على معيشته ايا كان رأى ذات يوم فارة تجري آمنة من جهة الى أخرى ولم تخش دخول الليل عليها بلا قوت ونقب تبيت به فتسلى بها على فقره وعزم ان لا ينهمك في تحصيل معاشه وان يترك كل ما لا تتوقف عليه حياته ثم بطن دلقه لكي اذا التف فيه يكون وطاء له وغطاء ولم يكن له من الامتعة سوى عصا وخرج وقدح خشب فكان لا يمشي بدونها لكن كان لا يتوكأ على العصا الا اذا ذهب الى الفضاء او وقت المرض وكان يقول ليس الاصم الاعمى معيبا من الرجال انما المعيب من لا خرج له وكان حافي الرجلين دائما فلم ينتعل قط ولو تغطت الارض بالثلج وأراد ان يعود نفسه على اكل اللحم نيئا فلم يمكنه

ترجي انسانا من معارفه في ان يعطى له حجرا في وطنه ليختلي فيه احيانا فلما طالت المدة ولم يرد له جوابا اتخذ برميلا وجعله مسكنا وصار يأخذه معه ايما توجه لا مسكن له سواه كان زمن الصيف وقت اشتداد الحر في سائر المواضع يتدحرج على الرمال الشديدة الحرارة وزمن الشتاء حين يشتد البرد يلصق جسده بالرخام الذي ستره الثلج قاصدا بذلك تعويد نفسه على تحمل مشاق البرد والحر كان يحتقر جميع الناس وينسب افلاطون وتلامذته للتبذير وكذا كل من تفكه بالمآكل وكان يسمى الخطباء عبيد الرعايا كان يقول تيجان الملوك سريعة العطب كالزجاج وحب الظهور ليس الا فخر المجانين وبالجملة فلم يسلم احد من هجوه وذمه كان يأكل ويتكلم وينام في أي محل صادفه وربما قصد ايوان هيكل الشمس ليأكل فيه ويصيح آه ما احسن الأثينيين حيث اسسوا لي هذا المكان اللطيف لآكل فيه

كان غالباً يقول متى تأملت حقيقة الحكام والحكماء والفلاسفة الذين في الدنيا اعتقدت ان الانسان بعقله يفوق عن البهائم ولكن من حيثية اخرى حين ارى من يدعي الوحي والعرافين والمعبرين للاحلام والذين اذا حصلوا مالا او جاها تكبروا فلا اتمالك نفسي ان اظن انهم اشد الحيوانات جنونا

رأى ذات يوم في حال سيره طفلا يشرب بكفيه فاستحى من ذلك جدا وقال كيف تكون الاطفال اشد معرفة مني بالاشياء التي يدرك التخلي عنها واخرج عند ذلك قدحه من خرجه وكسره حيث رآه متاعا لا ينفعه كان يمدح كثيرا من تهيأ للزواج ولم يتزوج كمدحه لمن جهز لوازم سفر البحر ولم يسافر به وكان ينظم في سلكهما من طلب لتعاطي الحكم بالجمهورية فامتنع كمن دعي لوليمة الملوك والامراء فنأى عنها كان مولعاً بعلوم الادب زاهدا في سائر العلوم الاخر وكان حاد الذهن قوي المدركة يستوعب المقام بحيث لا يبقى لاحد بعده مقالا فيه كان رأيه في الزواج لا يرضى به ولا العامة

الوحشيون كليا لانه رفض فيه رأي ارباب الشرائع والقوانين السياسية بل ورفض القوانين الطبيعية. وجعل الخبرة لهوى النفس كان يقول متى احتاج الانسان لشيء واخذه فلا ضرر عليه وكان يود ان لا يحزن احد من شيء اصلا ويقول تسلية الانسان نفسه اولى له واوفق من القبض وتكلم ذات يوم في مادة جدية نافعة مهمة فكان الناس يمرون غير ملتفتين لاستماعه فاخذ يغني فاسرع الناس من كل جهة لاستماعه فوبخهم حيث يجتمعون لسماع الهزء وينفرون من سماع الجد النافع كان يتعجب من علماء الادبيات حيث يبذلون غاية جهدهم ويعذبون انفسهم في الوقوف على بعض الوقائع الخرافية الهزلية التي لا طائل تحتها ويتركون انفسهم لا يلتفتون اليها مع ما هم عليه من ضيق الحال كان يلوم ارباب الموسيقي والالحان على تحملهم المشقة في تطبيق الموسيقى والالحان مع بعضها مع ان عقولهم سيئة الترتيب بان الاولى لهم البداءة بتوفيق احوال عقولهم كان يذم ارباب الرياضة على تسليهم برصد الشمس والقمر والكواكب مع انهم لم يعرفوا حقيقة ما تحت ارجلهم ما كان اقل لوما على الخطباء الذين لا همة لهم الا تحسين الالفاظ مع عدم عملهم بما يقولون كان يلوم ايضاً البخلاء الذين يظهرون الزهد والقناعة ويثنون خيرا على من زهد الدنيا مع ان فكرتهم ليست الا السعي في جمعها ما كان ابشع عنده من الناس الذين يذهبون للهيا كل فيقربون القربانات للآلهة ويدعونها بحفظ العافية واذا خرجوا من تلك الاماكن اتخذوا ولائم وانهمكوا فيها على لذات وشهوات قاتلة كان يقول طالما لقيت ناساً يتسابقون في المزاح والهزء ولم ار منهم منافسا لصاحبه في السبق الى طرق الفضيلة اجتمع مع افلاطون في وليمة بها مآكل عظيمة فلما رآه لا يأكل سوى الزيتون قال له هلا يأكل مثلك على حد سواء من الاطعمة التي لاجلها سافرت الى سيسيليا فقال افلاطون ان غذائي بتلك المدينة ما كان الا

الزيتون والكبر كفعلي بهذه البلاد فقال له ديوجينس فلاي شيء ذهبت الى سراقوسه بجزيرة سيسيليا وبينما بعض اصحاب الملك دينيس الظالم في المحادثة مع افلاطون في بيته اذ دخل ديوجينس عليهم فوطأ بقدميه بساطا ظريفاً لافلاطون قائلا احتقر بفعلي هـذا فرش كبر افلاطون فقال له افلاطون صحيح ولكن صنعك هذا هو عين الكبر اراد بعض السوفسطائيـة ان يظهر دقة عقله لديوجينس فقال له انك لست انا وانا رجل فلست انت برجل فقال له ديوجينس لو قلت انت لست انا واقتصرت لانتجت بنفسها انك لست برجل سئل مرة هل رأيت في بلاد اليونان رجالا حكماء فقال رأيت صغارا في مدينة لقدمونيا فاما الرجال فلم تقع عيني على احد منهم قط مشي ذات يوم وقت الظهيرة بمصباح فسئل عن ذلك فقال لعلي ابصر رجلا

يحكي انه صرخ باعلى صوته في الحارات قائلا يا رجال وصار يكررها حتى انفضت اليه جملة من العالم فطردهم بعصاه وقال لهم انا اطلب الرجال وما لكم اتفق ان ديموثينس اكل ذات يوم في محل السكر فحانت منه التفاتة فأبصر ديوجينس فاختفى فلما لمحه ديوجينس قال له كلما اختفيت في مثل هذا المحل تمكنت فيه اتى جماعة من الغرباء لزيارة ديموثينس الخطيب فرآهم ديوجينس فتلقاهم وهو يضحك ويشير باصبعه ويقول انظروا جيدا في خطيب اثينا الطيب ذهب مع رجل للفرجة على قصر عظيم الشكل مزخرف البناء منقوش بالذهب مزين بالمرمر فبعد تحققه منه وتأمله في زينته وحسن شكله أخذ يسعل سعالا قويا مرتين او ثلاثا حتى جذب نخامة غليظة وألقاها في وجه ذلك الرجل الذي يفرجه وقال له معتذرا اني لم أجد محلا وسخا يصلح للقذارة غير وجهك دخل ذات يوم ولحيته قد صارت بين المحلوقة وغيرها على شبان بمكان لعبهم فأساءوه حتى اخرجوه فكتب اسماءهم في ورقة وعلقها بين كتفيه وطاف بها الشوارع والازقة ليراها الناس فيعرفوهم

عيره اراذل الناس بالفقر وعابوه به فقال لهم لم ار احدا عوقب على فقره ورأيت كثيرا من الناس ارباب القبائح والخيانات يعاقبون على خياناتهم وقبائحهم ويسقطوا من اعينهم طالما كان يقول انفع الاشياء اقلها ثمنا وذلك ان الصورة قد تبلغ ثلاثة آلاف دينار ومد الدقيق يباع بيسير الدراهم دخل الحمام مرة فوجد ماء قذرا بالاوساخ جدا فقال من اغتسل هاهنا فاين يطهر بدنه ويزيل درنه اخذه بعض اهل مقدونيا ليمثلوه بين يدي الملك فيليبس والد اسكندر الاكبر فقال له الملك من انت فقال له على سبيل التهكم اني جاسوس طمعك فتعجب الملك من حسن جوابه وفرح واطلقه وخلى سبيله وكان يزعم ان الحكماء لا يحتاجون لشيء ابدا وان سائر ما في الكون في قبضتهم فكان يقول ان سائر الاشياء لخالقها والحكماء احبابه وما كان بين الاحبة لا حرج فيه بل هو مباح فثبت حينئذ ان جميع الاشياء للحكماء وكان في وقت الاحتياج يقول انا لا اسأل الناس انما اسأل الخالق

ويحكى ان اسكندر توجه ذات يوم الى مدينة قورنثه للتفرج على ديوجينس لكونه كان هناك في ذاك الوقت فرآه جالساً في الشمس يدبق برميله فقال له انا الملك اسكندر الاكبر فقال له ديوجينس وانا الكلب ديوجينس فقال له اسكندر أما تخافني فقال له ديوجينس انت طيب او رديء فقال بل طيب فقال ديوجينس ومن الذي يخاف من الطيب فعجب اسكندر من وفور عقله وانطلاق عنان لسانه ثم بعد تحادثهما برهة قال له اسكندر اني ارى حاجتك لاشياء كثيرة ومن سروري وفرحي اعانتك ومساعدتك عليها فسلني ما تريد فقال له ديوجينس تحول من هذه الجهة فقد منعت عني ضوء الشمس وقطعت لذتي بها فصار اسكندر في غاية العجب من زهد ديوجينس لسائر الاشياء الدنيويه ثم قال ديوجينس اينا اغنى من هو قانع بعباءته وخرجه او الذي لم يقنع بعظيم سلطنته وسعة مملكته بل اقتحم الاخطار لزيادة حدودها واشتغل الليل والنهار

بشؤونها فعجب خواص اسكندر من كونه مع عظمه احترم هذا الكلب ديوجينس ولاطفه وبجله مع كون ديوجينس لم يقم له من محله بل ولا اعتنى به فلما استشعر اسكندر منهم بذلك التفت لهم وقال لو لم اكن الملك اسكندر لاحببت ان اكون ديوجينس اتفق لديوجينس وهو مسافر في البحر لمدينة اجينا اخذ لصوص البحر له فساروا به الى جزيرة كريد وعرضوه للبيع بالسوق فلم يتأثر من تلك النكبة التي نزلت به وبينما هو كذلك اذ رأى رجلا اسمه اكزينادس غليظ الجثة حسن الملبس فقال لهم ينبغي ان تبيعوني لهذا لاني اراه يحتاج لمعلم فلما دنا بقصد سومه قال له ديوجينس تقدم يا هذا الصبيّ واشترِ لك رجلا يعني نفسه فسئل ما ذا تعرف من الاشياء فقال سياسة الرجال والحكم عليهم وقال للمنادي صح في السوق من كان محتاجا لمعلم فليأت لشرائي وكان بائعه قد منعه الجلوس ولم يمكنه منه ابدا فقال ديوجينس لا ضرر في ذلك فان السمك يشترى على اية حالة كانت لكنني اتعجب حيث لا يشترى غطاء القدر من النحاس الا بعد امتحان حسن معدنه برنته واما شراء الرجال فيكتفون فيه بنظرهم فقط فلما تم سومه قال لمشتريه مع اني الآن ملكك فاستعد لما آمرك به لاني اكون عندك اما بمنزلة حكيم او وكيل وعلى كل يلزمك طاعتي عبدا كنت او حرا ثم ان اكزينادس اعطاه اولاده ليعلمهم فاعتنى بهم ديوجينس غاية الاعتناء حتى حفظهم غيبا جميع منتخبات الاشعار وكذلك مختصرا في الفلسفة ألفه لاجلهم وصار يعلمهم الصراع والمسابقة على الخيل والصيد والقنص وضرب القوس والرمي بالمقلاع وعودهم على القناعة في المعيشة فكانوا يكتفون باليسير جدا وشرب الماء القراح فقط وامرهم باستئصال شعورهم حلقا الى البشرة وكان يأخذهم معه في الطرق عليهم الملابس الخشنة واغلب اوقاتهم بلا نعال ولا رداء وكان لهؤلاء الاطفال مزيد محبة وشدة رغبة في ديوجينس فكانوا يوصون عليه اهاليهم جاءه

بعض اصحابه في مدة الاسر والحجر عليه بقصد انقاذه واخراجه من ذل العبودية فقال له ديوجينس أبك جنون او تهزأ بي أما علمت ان السبع ليس اسيرا عند من يطعمه انما المطعم للسبع هو اسيره سمع ذات يوم مناديا يقول ان ديوكسيس غلب جملة من عظماء الرجال في الالعاب الاولمبيقية فقال له لا بل قل غلب جماعة من الارقاء المساكين لان الذي غلب الرجال انما هو انا فقط كان اذا قيل له الآن ينبغي لك الاستراحة فانك صرت شيخا هرما يقول أترى الناس يشيرون على من يجري بما ينشطه او بما يثبطه أفليس المناسب لي ان ابذل جميع قوتي رأى وهو مار في الطريق رجلا وقعت منه كسرة خبز فاستحي ان يرفعها فالتقط ديوجينس بعض قطع زجاجة مكسورة ودار بها في المدينة قاصدا بذلك ان الانسان لا ينبغي له الحياء من شيء حيث كان عرضه عدم الخسارة كان يقول مثلي كمثل ارباب الالحان يعلم غيره الصوت الحسن بالانتقال الى غيره جاءه رجل يريد ان يكون تلميذه فناوله ديوجينس فخذ خنزير وامره ان يمشي به خلفه في ازقة المدينة فاستحي الرجل ورمى به الى الارض وذهب فرآه ديوجينس بعد مدة فقال له ما اعجب حالك حيث كان الفخذ قاطعا لمحبتنا رأى في سياحته امرأة خاضعة ساجدة امام الاصنام مكشوفة العجيزة فاسرع اليها ديوجينس وقال أما تخافي ايتها المسكينة كون المعبود الذي يبصر خلفك كما يبصر امامك يراك على حالة مخلة بالحياء كان اذا تفكر في معيشته وفقره يقول ضاحكا سائر انواع اللوم والمعايب قد لحقتني واني وان كنت لا دار لي ولا مدينة ولا وطن واتقوت يوما بيوم فاني جلد على مقاومة صروف الدهر اقابل المال بالثبات والعفة واقابل العوائد بالحالة الفطرية الخلقية واقابل تكدرات النفس بالتدبر والعقل سأله رجل عن الوقت الذي يأكل فيه فقال له ان كنت غنيا فكل في الساعة التي تعجبك وان كنت فقيرا فكل في الوقت

الذي يمكنك ترجاه الاثينيون ان يكون من حزبهم ويتدين باسرار ديانتهم وحلفوا له ان من دخل في دينهم يكون من السعادة الاخروية في اعلى عليين فقال لهم ان هـذا الامر عجيب حيث ان عقلاء الناس تدوم في الطين والمتداخلين في طريقتكم مع شقائهم يحظون بجنان الخلد كان من عادته تعطير اقدامه فسئل عن ذلك فقال ان رائحة العطر الذي يوضع في الرأس تطير في الهواء بخلاف ما اذا عطرت الاقدام فان الروائح تصعد الى الانف

اتفق انه مر بدار لاحد الخصيان القباح فوجد مكتوبا على بابها لا يدخل من هـذا الباب شيء قبيح فقال فمن اين يدخل صاحب الدار اراد بعض الفلاسفة ان يبرهن له على ان لا حركة له فلم يجبه بل قام وتماشى فقال له ذلك الفلسفي ما ذا تريد بمشيك فقال ابطال دعواك كان اذا سمع متكلما في علم الهيئة والنجوم يقول له متى كان نزولك من السماء كان افلاطون يقرر في تعريف الانسان انه حيوان ذو رجلين لا ريش له فاخذ ديوجينس ديكا ونتفه وخبأه تحت عباءته ولما دخل المكتب اخرجه وطرحه وسط المكتب وقال هـذا انسان افلاطون فالتزم افلاطون لتصحيح تعريفه ان يزيد ذو اظفار عريضة مر ذات يوم بمدينة ميغاره فرأى اطفالهم جميعا عرايا ورأى الغنم مستورة بالصوف فقال غنم هذه المدينة اسعد من بني آدم رأى الفيران الصغار تلتقط فتات طعامه من تحت السفرة وهو يأكل فقال قد بلغ ديوجينس ان صارت تأتي له الطفيلية سئل وهو خارج من الحمام أفي الحمام كثير من الرجال يغتسلون فقال لا فقيل له أفيه ازدحام عظيم فقال نعم دعي لوليمة فامتنع لكونه حضر اليها في اليوم السابق ولم يثن عليه أحد في نظير حضوره اتفق ان رجلا كان يحمل خشبة طويلة على ظهره فصدمه بها على حين غفلة ثم قال له ق نفسك فقال له ديوجينس قد ضربتني ثانية وحصلت له واقعة نظير هذه مرة ثانية فضرب

حامل الخشبة بعصاه وقال كن انت على حذر مر في مطر غزير فابتلت عباته من جميع جهاتها حتى رثى لحاله جميع من رآه وكان افلاطون اذ ذاك حاضرا بالمصادفة فقال لهم افلاطون انما يحزنه ذلك حقيقة اذا لم يره عليه احد منكم صفعه رجل ذات يوم فقال اني لا اعلم انه يلزمني ان اضع على رأسي سلاحا يقيه سئل مرة كم تأخذ نظير الصفعة الواحدة من ضاربك فقال بيضة حرب اتفق ان ميدياس لكزه ذات يوم جملة لكزات بيده ثم قال له اذهب فاشكني وانت تدفع ثلاثة آلاف دينار غرامة ففي ثاني يوم اخذ ديوجينس قضيب حديد وضرب ميدياس به على رأسه ضربة شديدة وقال له اذهب فاشكني وانت تدفع نظير تلك الغرامة سأله لوسياس العقاقيري هل تعتقد وجود الله فقال له أيخفى عليّ مع معرفتي انه عدوك الاكبر ورأى رجلا ينغمس في الماء ليتطهر فقال له يا مسكين لو اغتسلت الى غد بهذا الماء لم يعصم لسانك بذلك عن الخطأ فكيف يطهرك من الذنوب

رأى غلاما في حالة مخلة بالحياة فسار الى معلمه وضربه بالعصا وقال له لم علمت تلميذك الفعلة القبيحة اتاه رجل ليريه حسابا عمله في برج من الابراج السماوية فقال له ديوجينس هذا شيء ظريف يمنع مثلنا ان يموت جوعا كان يلوم الذين يشكون المعيشة ويقول هؤلاء الرجال دائما يطلبون ما ظاهره خير ويتركون ما هو الخير في الواقع والحقيقة كان يعرف استحسان كثير من الناس لمعيشته ولكن لما رأى القليل منهم شرع يقلده قال اني كلب عظيم ولكن لم يتجاسر الذين يعرفوني ويستحسنون طريقتي على الانضمام اليّ للصيد كان دائما يلوم الذين يتطيرون من الاحلام ولا يتأملون ما يخطر ببالهم في اليقظة فيعبرون الخطرات النومية وبينما هو يتنزه ذات يوم رأى محفة جميلة ظريفة بها امرأة فقال أيليق ان يكون مثل هذا قفصا لمثل هذا الحيوان القبيح كان الاثينيون يحترمونه احتراما كليا

حتى انهم عاقبوا شابا بملأ من الناس كان قد كسر برميل ديوجينس واعطوه برميلا آخر كان جميع الناس يغبطون قاليثينيس على اكله مع اسكندر غداء وعشاء أما ديوجينس فكان يقول اما أنا فاني ارثي لحاله في ذلك بخصوصه وكان اقراطير يبذل جهده في التحيل على جلب ديوجينس عنده فقال له ديوجينس اما انا فاختار اكل الخبز فقط بأثينا على تعيشي في عز قصورك وهدد بيرديقاس ذات يوم ديوجينس بالقتل ان لم يأت لزيارته فقال له اقل الهوام السمية يمكنه ذلك ولكني احلف لك ان ديوجينس ليس محتاجا في راحته لبيرديقاس بالكلية ولا لعظمه ثم صاح وقال ان الخيرات الالهية كثيرة انعمت على سائر الرجال بالارواح وأما اللذات المعنوية فمجهولة عند الناس الذين لا همة لهم الا المآكل اللطيفة والتعطرات رأى ذات يوم رجلا يلبسه عبده نعله فقال له انه لم يبق لك عليه من انواع السرور الا ان يمخطك فما منفعة يديك ورأى مرة حين سياحته قضاة يحكمون في رجل سرق جامة في الخزينة العمومية فقال انظروا هؤلاء لصوص كبار ساحبون لصا صغيرا كان يقول ان الغني الجاهل كشاة مغطاة بجل من ذهب وكان ذات يوم في وسط السوق فصار يخمش بدنه باظافره ويقول ليت كثرة ذلك في البطن يمنع بها الانسان جوعه وقت ما يحب دخل ذات يوم الحمام فرأى شاباً يتحرك بحركات متوازنة لكنها مخلة بالحياء فقال له كلما اتقنت حركتك واحكمتها زادت بك قلة الحياء مرّ بالطريق مرة فرأى مكتوبا على باب بيت رجل مسرف انه معرض للبيع فقال اني من قبل ذلك اعرف جيدا ان كثرة السكر توجب صاحبك للقيء لامه رجل في التغرب بالبلاد فقال له يا ايها المسكين اني مسرور بذلك جدا حيث كان سببا لصيرورتي فلسفيا وقال له رجل آخر بعد ذلك بقليل ان السينبيين يحكمون عليك بالنفي الدائم فقال وانا كذلك حكمت عليهم بالبقاء الدائم في بلدهم القبيحة على شاطىء البحر

الاسود وكان يترجى الاصنام ان يمنوا عليه باللطف فسئل عن سبب طلب ذلك منها فقال لا اعود نفسي على ان لا اجاب فيما اطلب ولما كان فقره يحوجه الى طلب الصدقة يقول لمن يراه اولا ان كنت قد اعطيت أحدا غيري شيئاً فاعطني مثله وان لم تكن اعطيت احدا شيئاً فاجعلني اول من تعطيه سئل ذات يوم عن طريقة دينيس الظالم مع اصحابه فقال كان يصنع معهم كالانسان الذي يستعمل الزجاج في حال امتلائه ثم يتركه بعد فراغه

لمح بالحماره رجلا قد اسرف في مالهوضيعهوهو يتعشى بالزيتون فقط فقال له لو كان فطورك على مثل هذا الطعام لكان عشاؤك احسن من هذا

قال الشهوات غير الملائمة تصير منبع جميع المصائب التي تقاسيها البشرية

وكان يقول الصلحاء من الناس هم مظهر الآلهة وكان يقول ان البطان آفة العمر كان يقول ان الكلام الحسن المرتب كسيلان العسل وان العشق شغل اهل البطالة سئل ما اسوأ الحالات قال الهرم مع الفقر

سئل أي شيء احسن في الدنيا قال الحرية وتجاسر عليه رجل وسأله ما اشد الحيوانات عضا فقال اما من الناس المتوحشين فالرجل السباب واما من المتمدين فالرجل المداهن رأى في سياحته نسوة متعلقة بفروع الزيتون فقال ليت سائر اشجار الزيتون تثمر مثل هذه الفاكهة دائما اتاه انسان وسأله ما السن الذي يستحق الانسان الزواج فيه فقال له مادام الانسان صغيرا فان وقت زواجه لم يأت ومتى صار كبيرا فقد فات وقته سئل ما سبب اصفرار الذهب فقال كثرة حساده قيل له ذات يوم ان عبدك مينيس قد هرب والحوا عليه في طلبه فقال يا عجبا لكم حيث ان احدنا لا غنى له عن الآخر فما يكون جربي وسأله احد الظلمة ذات يوم عن اجود معدن لصناعة الاصنام فقال هو المعدن الذي صنعت منه صورة هرمودبوس واستيوجيتون اللذين هما اشد اعداء الظلمة بينما افلاطون ذات يوم

يوضح آراءه في بعض مباحث فتكلم على شكل لوح الطاولة والقدح فقال له ديوجينس اني بالمشاهدة اتصور حقيقتهما جيدا ولكن لا ادري شكلهما فقال له افلاطون صدقت لان معرفتهما بالمشاهدة لايلزم لها الا البصر واما معرفة اشكالهما فتوقفة على الذهن سئل ذات يوم عن سقراط فقال هو رجل مجنون رأى شابا قد احمر وجهه جدا من الخجل فقال له هكذا هكذا يا بني فان هذا لون الفضيلة جاءه ذات يوم اثنان من الفقهاء ليحكماه بينهما فحكم بالمعاقبة عليهما معا وذلك ان احدهما كان متهما بالسرقة والآخر كانت شكواه بلا سبب حيث ان المسروق ليس ملكه بل كان لآخر وسرقه منه وسئل عن سبب تصدق الناس على العمى والعرج وعدم تصدقهم على الفلاسفة فقال ان سائر الناس متأهلون للعمى والعرج وليس كل احد اهلا للفلسفة وسأله رجل ألك خادم او خادمة فاجابه لا فقال له فمن يدفنك فاجاب من احتاج لبيتي تجرأ عليه رجل وقال له انك كنت تصنع الدراهم المغشوشة فقال له نعم كنت في السابق كما انت الآن ولكن ما انا عليه الآن لا تصله طول عمرك دخل ذات يوم مدرسة احد المعلمين فوجد فيها قليلا من التلامذة وكثيرا من صور من اخترع الفنون اللطيفة فقال له ديوجينس اذا حسبنا تلك الصور تكون تلامذتك كثيرة سئل من اي بلد انت فقال من الدنيا يشير بذلك الى ان العاقل لا يحتاج للتعلق ببلدة مخصوصة رأى رجلا مسرفا مارا بطريق فسأله دينارا فقال له ذلك المسرف لم طلبت مني دينارا وتطلب من غيري درهما فقط فقال لانه يعطيني مرة ثانية واشك في اني اجدك بعد ذلك على حال تعطيني فيها مرة اخرى وسئل يوما هل الموت مؤلم فقال انا لا نحس به وقت وقوعه فكيف يمكن ان يكون مؤلما رأى يوما رجلا لا يحسن الرمي وهو يصوب بآلة رميه الى غرض فاسرع ديوجينس الى ذلك الغرض وجعل

رأسه امامه فسئل لم ذلك فقال مخافة ان يصيبني لما كان يقال له ان كثيرا من الناس يهزأون بك يقول وما ذا يضرني مع اني اريد ذلك واظن ان الحمير حين تضرب اسنانها وتبرزها وقت نهيقها انما تفعل ذلك للضحك على مثل هؤلاء الناس فقيل له وهل يكترث مثل هؤلاء بما تصنعه الحمير فقال فكيف اكترث انا بهم سئل ذات يوم لم لقبوك كلبا فقال لاني اتملق لمن يعطيني وانبح على من منعني واعض من يؤذيني سئل من اي انواع الكلاب انت فقال اكون وقت جوعي من جنس السلاق اتلاعب لجميع الناس ووقت شبعي كالكلب العقور اعض كل من قابلني ورأى انكسيمنس الخطيب مارا بالطريق وكان كبير البطن جدا فقال له ديوجينس اعطني بعض بطنك تصنع معي جميلا كبيرا وبخف عنك هذا الثقل ولما كانوا يعيرونه بالاكل في الطرق والاسواق يقول لهم ان الجوع يعتريني هناك كما يعتريني في محال اخر لما رجع من مدينة لقدمونيا الى مدينة أثينا سئل من اين جئت فقال من مدينة الرجال الى مدينة النساء كانت عادته ان يشبه معشوقات الملوك بنبيذ عظيم مسموم وكان يسميهن سلاطين الملوك لانهن ينلن منهم كلما طلبن تعجب بحضرته يوما رجل من كثرة الهدايا الموجودة بهيكل العافية فقال له ديوجينس يا هذا لو كانت الهدايا ممن يموت لوجد به اكثر من ذلك واجتمع حوله جماعة وهو يأكل وسط الطريق ونادوه باسم الكلب فقال بل انتم الكلاب لانكم اجتمعتم حول من يأكل تقابل مع رجل من المصارعين لا معرفة له وكاد يموت جوعا فشرع يجعل نفسه حكيما فقال له ديوجينس الآن قد وجدت طريقة لاخذ ثارك ممن كانوا يضربونك

كان عنده لرجل عباءة فطلبها منه فقال له ديوجينس ان كنت ملكتها لي فقد صارت ملكي وان كنت ما اعطيتها لي الا عارية فانا الآن مستعملها فاصبر حتى لا يكون لي بها حاجة ولما كانوا يلومونه بالشرب في الخمارة يقول

وها انا احلق رأسي في حانوت الحلاق واحسن اليه رجل فسمع الناس يثنون عليه بذلك فقال الاوفق شكرهم لي لاني مستحق لتلك العطية سئل ما ذا ربحت من فلسفتك فقال لو لم تنفعني الا في التجلد على تحمل المشاق التي من البعيد نزولها بي لكفى في سروري منها لما علم ان الأثينيين اعانوا بان اسكندر هو « بخوس » يعني اله الشراب قال لهم مستهزئا وانا لم تجعلوني « سيرابيس » يعني اله النار لاموه على الاقامة بالاماكن القذرة فقال الشمس تدخل في اماكن اقذر من هذه بكثير ولا تتسخ تجرأ عليه رجل وقال له حيث انك لا تعرف شيئا فكيف تجرأت بجعل نفسك في رتبة الفلاسفة فقال لو لم يكن لي من الفضل الا تشبهي بهم اكفى في عدّي منهم

اتوه بتلميذ يوما ومدحوه له بالعقل والمعارف والنباهة والاخلاق الحميدة فتأنى ديوجينس حتى اتموا كلامهم ثم قال لهم حيث كان كاملا جدا فلا حاجة له بي ولم جئتم به اليّ ودخل متفرجا عند خروج الناس منه فسئل لم ذلك فقال هذا ما عودت عليه نفسي طول عمري لما طرد دينيس الظالم من مملكته المسماة سيراقوسه وذهب الى مدينة قورنثه وأداه فقره الى تعليم الشباب كيلا يموت جوعا دخل مدرسته ديوجينس ذات يوم فسمع تصويت الاولاد فظن دينيس انه جاء ليسليه على فقره فقال لديوجينس قد شكرت معروفك فانظر تقلبات الدنيا فقال له ديوجينس يا مسكين اني متعجب من حياتك الى الآن الست الذي عسفت في الظلم باهل مملكتك واني الآن اراك لا تصلح ان تكون معلما في المكتب كما انك لم تصلح ملكا ورأى ذات يوم اناسا يقربون قربانا للآلهة رجاء ان يرزقوا بغلام فقال لهم انكم تفكرتم في الغلام ولم تتفكروا ان يكون صالحا ورأى شابا يتكلم مع قلة الحياء فقال له اما تستحي حيث تخرج من قراب العاج سلاحا من الرصاص كان يقول ان الذين يعلمون الصلاح ولا يعملون به كمثل آلات

الموسيقى تخرج منها اصوات مطربة ولا احساس عندها قال له رجل ألم اصلح للفلسفة فقال له يا مسكين حيث لا ترجو معيشة طيبة فلم حياتك رأى شابا يصنع شيئا مع قلة الحياء فقال له أما تستحي تبخس ما انعم عليك به خالقك كان يقول اغلب العالم في ذلة وذلك ان العبيد في طاعة ساداتهم والسادات في هوى انفسهم وسائر الاشياء متقومة بالموائد فبعض الناس عودوا انفسهم على المعيشة اللذيذة والفخر والحظ بالشهوات فلا يمكنهم ان يتحولوا عنها ابدا والبعض الآخر عاشوا على احتقار التلذذات والشهوات

في مذهبه الكلبي ان الحياء من ضعف النفس ولذلك كان لا يستحي من صنع اقبح الاشياء امام الناس ويقول ان الاكل شيء عظيم فما يمنع الانسان ان يأكل في الطرق والاسواق كاكله في بيته سئل اي محل تريد ان تدفن فيه بعد موتك فقال في وسط الخلاء فقيل له أفلا تخاف ان تكون غنيمة الطيور والوحوش فقال ضعوا بجانبي عصا كي اطردها بها حين تاتي فقيل له انك اذ ذاك لا احساس عندك فقال فحينئذ ما الضرر في كونها تأكلني قال بعضهم انه لما بلغ عمره تسعين سنة اكل مخ بقرة نيئا فنشأ له عنه تخمة فتوفي بها وقيل انه حين صار هرما قتل نفسه بان جذب نفسه ولم يخرجه فذهب اليه اصحابه في الصباح ولما وجدوا عادته في الانتباه من النوم تغيرت ووجدوه ملتفا بعباءته كشفوها فاذا هو ميت فتنازعوا ايهم يجهز جنازته حتى ادى للعراك فاتى القضاة واكابر مدينة قورنثه وسكنوهم وشهدوا جنازته العظيمة ودفنوه بجانب باب المدينة جهة البرزخ ونصبوا بجانب قبره عمودا من رخام فوقه صورة كلب من رخام جزيرة « باروس » وكان موته وموت اسكندر الاكبر الذي مات في بابل في يوم واحد وكان ذلك في الاولمبياد الرابع عشر بعد المائة واهدى الى قبر ديوجينس جملة صور عظيمة مكتوب عليها

﴿ تاريخ اقراطيس الفيلسوف ﴾

كان عصريا لبوليمون وخليفة اكسينوقراط في المكتب الافلاطوني وكان موجودا في الاولمبياد الثالث عشر بعد المائة كان من الفلاسفة الكلبية وهو من اجل تلامذة الشهير ديوجينيس وهو ابن اسقوندوس الطيوي وكان من عائلة شهيرة جدا وكان من ارباب الاموال الكثيرة كان ذات يوم بمحل لعب فرأى تيلفوس ترك امواله لاجل ان يكون فلسفيا كلبيا فتأثر هو من ذلك وصمم على التشبه به فباع عقارات وطنه باكثر من مائتي دينارا واودعها عند احد الصيارفة وقال له ان رأيت عقول اولادي لا تصلح للفلسفة فادفعها اليهم والا ففرقها على أهالي « طيوا » لما ان الفلاسفة لا احتياج لهم الى المال فاتاه اهله وترجوه ان يعدل عما شرع فيه الى غيره فطردهم من داره وضربهم بعصاه كان يلبس في الصيف عباءة ثقيلة جدا ويلبس في الشتاء ثيابا خفيفة جدا ليتعود على مشاق الحر والبرد وكان لا يستحي ان يتقصد دخول البيوت والتلفت فيها حتى اذا رأى ما لا يعجبه وبخ صاحبه عليه فيتمرن على ذلك وكان يمشي خلف الاسافل ويسبهم ليسبوه فيتعود مقاساة نحو هذه الاحوال وكان ضنك المعيشة جدا وما شرب غير قراح الماء كبقية الفلاسفة الكلبيين كان في زمنه ميتروقليس الخطيب الذي كان لا يمكنه ان يظهر لعموم الناس لانه كان سلس الريح ويعسر عليه منعه فمن شدة خجله لزم العزلة بمنزله وصمم عليها بقية عمره فلما سمع بذلك اقراطيس اكل ترمسا حتى ملأت الارياح بطنه فذهب الى منزل ميتروقليس وكلمه كلمات ظريفة ليظهر له انه لا ينبغي هذا الحياء وقال له حيث لم يقع منك الا كما يقع من كل أحد فما الحياء من الامر العام وبينما هو يكلمه اذا بالترمس اثر اثره فتقوى هذا الخطيب بما صنعه اقراطيس حتى عاد يلوم نفسه

وصار لا يبالي بلوم الناس على مثل ذلك وتعلق تعلقاً كليا باقراطيس حتى حرق جميع كتبه التي تعلمها من تيوفراسط وتبع مذهب الكلبية حتى ربى تلامذة كثيرة وصار محترما عند الفلاسفة واشتهرت ملامذته شهرة عظيمة في سائر اليونان ولكن لما احس بالهرم سئم الحياة وقتل نفسه خنقا كان اقراطيس بشع المنظر جدا حتى يظهر ان قباحته ورداءته خارقة للعادة وكان يخيط على عباءته جلود الغنم فلذا كان عند اول رؤيته يصعب تمييزه من أي نوع من انواع الحيوانات وكان ماهرا جدا في الالعاب وكان اذا حضر المحافل العامة لمصارعة ونحوها لم يتمالك الحاضرون منع انفسهم من الضحك عليه لقبح وجهه وملبسه الخارج عن العادة وكان هو لا يبالي بذلك ويرفع يديه يصيح تصبر يا اقراطيس فان الذين يسخرون منك ويهزأون بك الآن سيكون غدا ويحسدونك حين يعرفون جبن انفسهم وانت تجد نفسك بذلك سعيدا ذهب ذات يوم ليترجى بعض المعلمين ان ينعم على أحد تلامذته بالصفح فقبل فخذه بدلا عن تقبيل ركبته المعتاد فاستغرب هذا المعلم ذلك وظهر غمه منه فقال له اقراطيس لا يضرك ذلك أليس فخذك كركبتك

كان يقول يستحيل ان يجد الانسان احدا لم يذنب أصلا ولا يقدح في ظرافة الرمانة بعض الحبات العفنة كان يحث تلامذته على عدم التعلق بزهرة الدنيا اصلا ويقول لهم انا لم ادرك من الدنيا الا ما تعلمته وتركت سواه للذين يحبون فخر الدنيا كان كثيرا ما يحملهم على الهروب من حظوظ الدنيا بقوله لا يليق للفلسفي من الاوصاف الا الحرية ولا مالك اصعب من الشهوة كان يقول ان الجوع كاف في اذهاب العشق فان لم يذهبه في مبدأ امره قطع عرقه في العاقبة فان لم يذهبه الجوع فلا حيلة في اذهابه الا قتل الانسان نفسه كان اذا نظر في اخلاق اهل عصره الفاسدة عيرهم بالسفه حيث يصرفون اموالهم في النقائص الملائمة لشهواتهم ويتأثرون على اقل قليل

يصرف في محله ألف رسالة في عوائد اهل بلاده وقال فيها ما نصه عطية الطباخ عشرة دنانير وعطية الحكيم درهم واحد وعطية المتملق مقدار عظيم وعطية الناصح كالهباء وعطية الزواني اموال جسيمة واما نصيب الفيلسوف عندهم فهو فلس كان اذا سئل ماذا اكتسبت من الفلسفة يقول معرفة اني اتعود على الاكتفاء في الغذاء بالبقول وان اعيش بلا هم وحيرة ارسل له ديمتريوس الفالبري ذات يوم مقدارا من النبيذ والخبز فغضب جدا من توهم ديمتريوس ان الفيلسوفي يحتاج للنبيذ ورد اليه زجاجته بحالها مع الانفة والشدة وقال ليت الخبز بهذه البلاد يجري كما يجري النبيذ لما كان اقراطيس قد بلغ الغاية في الجسارة والتمكن من اغراضه اعجب غاية التعجب « هوبرخيا » اخت ميتروقليس حتى انها لم تمل لسائر من خطبها من عظماء الناس وهددت اهلها بانهم ان لم يزوجوها باقراطيس لتقتلن نفسها فاحتال اهلها على ازالة ذلك من ذهنها فلم يجد تحيلهم شيئاً فسعوا الى نفس اقراطيس وطلبوا منه بالحاح ان لا يجيبها لما طلبت فلما لم يمكنه توفية مرامه معها قام لها على قدميه وخلع ثيابه ليريها احدوداب ظهره واعوجاج اعضائه وطرح عباءته وخرجه وعصاه الى الارض وقال لها لاجل ان لا تغتري هذا متاع الذي تريدين التزوج به وما يملكه من الدنيا فان احببت تزوجي فلا تظني ان يساري اكثر من ذلك او اني اطلب غيره فلم تتردد في زواجه بل بادرت بايثاره على جميع طلابها الآن ومن تظن طلبه لها غدا ولازمته في سائر المحلات حتى في حضور جميع المحافل بينما هي معه ذات يوم في وليمة عند ليساقوس شرعت في قياس سفسطائي تخاطب به تيودورس الحاضر بهذه الوليمة فقالت اذا عمل تيودورس بعض الاشياء ولم يلم عليها فهو برخيا اذا عملت هذا الشيء بعينه لا ينبغي ان تلام عليه وتيودورس لما ضرب نفسه بيده لم يعمل شيئاً يلام عليه فهو برخيا اذا صفعت تيودورس على قفاه بهذه

الضربة لا تلام وصفعته بكفها فلم يجبها عن هذا القياس بشيء في الحال ولكن اخذ عباءتها من فوق كتفها وقال انظروا هـذه المرأة التي تركت فرشها وجمالها الى هذا فقالت له صحيح ولكن اتظن اني اخطأت حيث قدمت الفلسفة على سائر ما تصنعه النساء ولد لها من هذا الزواج العظيم غلام يسمى « باسقليس » وكان ابوه وأمه معتنيين بتربيته وتعليمه الفلسفة الكلبية

سأل اسكندر اقراطيس ذات يوم فقال له أترني اذا اعدت لك تجديد مدينة وطنك كما كانت يحصل لك سرور فقال له هذا غير لازم لاني لا آمن ان يأتي اسكندر آخر فيهدمها ثانياً كان اقراطيس يقول لا احسن ولا افخر من التوطن في الفقر وازدراء سائر المفاخر فلا يكون للدنيا تسلط واني اعيش معيشة ديوجينس لا احسد احدا على لذات الدنيا كان يقول ان اغنى الاكابر العظام مثل الشجر الذي ينبت على رؤوس الجبال والصخرات الواعرة التي لا يمكن ان يصل لثمارها غير الغراب والحـداة فحينئذ لا ينتفع بتلك الاموال الا المتملقون من الرجال والقباح من النساء فالغني حينئذ بين هؤلاء بمنزلة عجل بين قطيع من الذئاب لما كان يسأل عن مقدار الزمن الذي يحصل فيه الانسان الفلسفة يقول حتى يعرف ان الناس الذين يسوسون الجيوش ليسوا الا كقادة الحمر كانت طريقته كبقية الفلاسفة الكلبية اهمال سائر العلوم ما عدا علم الآداب وعمر زمنا طويلا حتى مسه الهرم جـدا وانحنى ظهره ولما احس بان أجله قد دنا قال متأوها متفكرا ياذا القتب من بعد ان عشت زمانا طويلا توضع في القبر عن قريب وتنظر هناك قصور جهنم وتوفى على غاية من الهرم في وقت عزه وشهرته وكانت وفاته تقريباً في الاولمبياد الثالث عشر بعد المائة وكان في ذلك الوقت ظاهرا مشهورا في مدينة « طيوا » حتى غطى اسمـه ذكر الكلبيين من اهل عصره وهو الذي علم « زينون » الفيلسوف رئيس الفلاسفة الشاكين

﴿ تاريخ بيرهون الفيلسوف ﴾

كان موجودا قبل زمن ايبقورس قريبا من الاولمبياد العشرين بعد المائة وكان بيرهون مخترع المذهب المسمى بيرهوني واسقيطيقي وهو مذهب المشككة وابوه افليسطرقس من « مورا » واجتهد في اول امره بالنقش والتصوير ثم بعد ذلك صار تلميذا لادريزوق ومن بعده تتلمذ لانكسرخوس الفيلسوف وتعلق به كليا حتى تبعه في السفر الى بلاد الهند وفي مدة سفره كان له اشتياق كلي الى محاورة المجوس وغيرهم من حكماء المشرق ومن بعد ان تعلم جميع مذاهبهم لم يكفه ذلك بل ظهر له ان سائر الاشياء غير مدركة الحقائق وان الحقيقة مخفية في هوّ لا قرار له وانه لا اصوب من الشك في كل شيء وعدم القطع بشيء كان يقول ان الناس في ترتيب معائشهم يسلكون عوائد بلادهم وان كل انسان لا يفعل شيئا الا بحسب العادات ويمارس كل الاشياء على حسب القوانين والعوائد المؤسسة في كل بلد من غير ما يدري ان هذه القوانين جيدة او رديئة كان في ابتداء امره فقيرا خاملا فلما اخذ في صناعة التصوير ومكث مدة طويلة في بلده يشتغل بتلك الصنعة تيسر امره ونجح بمرامه وكان دائم العزلة عن الناس معتكفا عنهم لا يحضر مجامعهم بل لا يخالط احدا ابدا وكان كثير الاسفار ولا يخبر احدا بالجهة التي يريد التوجه اليها وكان يقاسي الشدائد والصعوبات العظيمة من غير ان يظهر منه تألم او ضجر من ذلك وكان مسلما في جسده الى الحوادث ولا يمنعه خطر عن مقصده فربما اثر ان نحو العجل يمر فوقه ولا يرضى ان يميل عن طريق مشيه فلذا كان يتبعه كثير احبائه خوفا عليه من ذلك ويجتهدون في امالته عن الطريق وقت الحاجة لها وكان عقله معتدلا وملبسه لا يختلف في سائر الفصول واذا شرع في الكلام مع احد لا يقطعه

ولو ذهب الشخص الذي كان يكلمه لسبب اقتضى ذهابه حتى كان كلامه مسموع لسامعه وكان يعامل الناس ويخالقهم بحالة واحدة لا يميز احدا في المعاملة عن احد حاز الشهرة عند جميع اليونان في اقل زمن وقلده كثير من الناس ولما ظهر فضله لاهل بلده احترموه احتراما كليا حتى انهم جعلوه خليفة دينهم وعده الأثينيون من اهالي مدينتهم ليتشرفوا به وكان ايبقورس الفيلسوف يحب محادثته ومكالمته ويلتذ بسماع قصة معيشته واحواله وكان جميع الناس يعتقدون كمال حريته وخلوه من هموم الدنيا والكبر والاوهام وقد حكى طيمون الفيلسوف ان بيرهون هذا كان محترما مفخما قريبا من احترام الاله وقد قضى مدة عمره على حالة محبوبة وعيشة هنيئة مع اخته « فيلطه » كانت صنعتها انها قابلة تولد النساء وكان يذهب السوق ليبيع الطيور الصغيرة والخنازير الصغيرة ويكنس بيته وينظفه بنفسه تبعه كلب ذات يوم واراد ان يعضه فدفعه بيرهون عن نفسه فقال له بعض الحاضرين ان هذا ليس مذهبك فانك دائم التسليم فتأوه قائلا ما اصعب خروج الانسان من اوهامه فانه يعسر تنزهه عنها بالكلية ومع ذلك فيلزم الانسان بذل جميع جهده وصرف سائر همته عله يخلص من هذه الصفات وبينما هو ذات يوم في سفينة صغيرة في البحر اذ هبت ريح عاصف على غفلة فحصل للسفينة خطر عظيم ازعج ركابها الذين معه واما هو فدامت طمأنينته مع هذا الخطر واشار لهم الى خنزير صغير بجانبه يأكل بهدوء وسكون فقال لهم انه ينبغي للحكيم ان يبذل جهده حتى يصل في قوة القلب والسكون الى رتبة هذا الحيوان الصغير كان في جسده قرحة عظيمة اضطر معالجها ذات يوم الى الجرح والقطع لمحاها فقطع وحرق ولم يظهر منه تألم ولا تأوه بل لم يعبس وجهه ولم يحرك اهدابه وكان يعتقد ان اعلى ما يبلغه الانسان في الدنيا من الكمالات امساكه عن الجزم بشيء ما وتلامذته جميعا اتبعوه في

ذلك فكان من اصولهم انه لا شيء محقق ثم انقسموا فمن قائل ان الحقيقة ربما ادركت بطول البحث ومن قائل باستحالة ادراكها ومن قائل انه لا جزم الا بقضية واحدة وهي الجزم بان لا جزم بشيء ومن قائل بانه يشك أيعرف شيئا ام لا وكان بعض هذه الآراء معروفا قبل ظهور بيرهون ولكن لما لم يتعرض احد في ما سبق لاتخاذ رأي منها مذهبا له كان هذا هو السبب في شهرة بيرهون باختراع هذا المذهب وانه رئيس فرقته والذي حمل هذا الفيلسوف على تعليق الحكم بالاشياء وعدم الجزم بحقيقة هو ان معرفتنا للاشياء انما هي عبارة عن ادراك النسبة بين بعضها مع بعض واما الاشياء في حد ذاتها فمجهولة الحقائق عندنا جهلا كليا فانك مثلا تجد ورق الصفصاف تستطيبه المعز ويجده الانسان مرا ونبات الشوكران يسمن الطير السماني ويقتل الانسان و « ديموفون » الذي كان وكيل مائدة اسكندر احرقه الظل وجمد جسده برد الشمس عليه و « اندرون المرلي » جاب جميع رمال « برقه » ولم يظمأ اصلا وبعض الاشياء يعد في بلد من العدل والانصاف ويعد في غيرها من الجور والاجحاف وكذلك يكون الشيء فضيلة عند امم رذيلة عند آخرين فان العجم يتزوج الرجل منهم بابنته بلا نكير وذلك موبقة عند اليونان وبعض الامم لا يقول في الزوجة بالوحدة وباقي الامم ينبذون هذا القول والسرقة محمدة عند امة تسمى « القيلقية » ويعاقب عليها عند اليونان وارسطبس له في اللذة مقالة تباين مقالة انتيثينس ومقالة ابيقورس تباينهما معا وبعض الفلاسفة يثبت القضاء والقدر وبعضهم ينفيهما والمصريون يدفنون موتاهم والهنود يحرقونهم والبيونيون يطرحونهم في البحيرات وبعض الاشياء لونها في الشمس يخالف لونها في القمر ولونها في ضوء الشمعة وعنق الحمامة يظهر بألوان مختلفة على حسب الجهات التي ينظر هو منها وشرب قليل النبيذ يقوي المعدة وكثيره يعكر الحواس ويفسد العقل والشيء

الذي هو على يمين انسان هو على يسار آخر وبلاد اليونان شرقية بالنسبة لبلاد ايطاليا غربية بالنسبة لبلاد العجم وبعض الاشياء مستغرب في بعض الاماكن مبتذل في اماكن اخر والرجل يكون ابا بالنسبة لبعض الناس واخا بالنسبة لبعض آخر وبالجملة فالتنافي في احوال الاشياء هو الذي حمل بيرهون وتلامذته على عدم تعريف شيء بالحد لزعمهم انه لا شيء في الدنيا معروف الحقيقة بنفسه بل لا بد في معرفته من مقابلته مع غيره لادراك النسبة بينه وبين غيره ولما كانوا لا يعرفون شيئا محققا تركوا جميع البراهين قائلين ان البرهان انما يؤسس على شيء واضح ضروري لا يحتاج لدليل ولا شيء في الدنيا بهذه الصفة لما ان ما تتراءى بداهته من الاشياء يلزمنا ان نبين حقيقة العلة التي اوجبت بداهته ولا سبيل الى ذلك وقد وافق هذا الفيلسوف اوميروس شاعر اليونان في تشبيه الناس باوراق الشجر التي لا يزال يخلف بعضها بعضا ويأخذ الجديد منها محل ما سقط من القديم وعاش من وقت ما عرفه الناس في غاية الاحترام والتبجيل توفي وعمره اكثر من تسعين سنة

﴿ تاريخ بيون الفيلسوف ﴾

كان هذا الفيلسوف تلميذ تيوفراسطيس خليفة ارسطو في مكتب فرقة الفلاسفة المشائين قريباً من الاولمبياد الرابع عشر بعد المائة ومكث زمنا طويلا يتعلم في المكتب الافلاطوني ثم لما لم تعجبه دراستهم وكان دائما يضحك على التماثيل التي به ويسخر منها ترك المكتب بالكلية وأخذ عباءته وعصا وخرجا وتمسك بمذهب الفلاسفة الكلبيين ولكن لما وجد فيه ما لا يعجبه اضاف اليه عدة أصول من مذهب تيودورس تلميذ ارسطيبس وخليفته بمكتب القيروانيين وتلقى اخيرا عن تيوفراسطيس خليفة ارسطو كان بيون

دقيق العقل يحسن علم المنطق والشعر والموسيقى وكان له ادراك خاص في علم الهندسة وكان يحب كثيرا طيب المآكل وكان كثير الشهوات الشيطانية ولا يطيل المكث بمكان بل يديم التنقل في المدن وكان يرى في جميع الولائم وكانت مزيته فيها اضحاك الجلساء واظهار النكات اللطيفة ومن حيث انه كان ظريفاً مألوفا كان كل انسان يود مجالسته واطعامه بلغه ذات يوم ان بعض اعدائه اهدى للملك انتيغونوس بعض حكايات تتعلق برداءة اصل هذا الفيلسوف فلم تتأثر نفسه من ذلك بل ولم يظهر انه بلغه ذلك فارسل الملك الى بيون وزعم انه يفحمه من الكلام ويحيره فقال له اخبرني باسمك واسم بلدك وأصلك وحرفة اهلك فلم يتحير من ذلك بل قال كان ابي رجلا عتيقا وكان يبيع دهن الخنزير والسمن ولا اعلم ان كان جميلا ام لا بسبب ان وجهه الآن مشوه بآثار ضرب سيده له وكان تتاريّ الاصل وكانت بلدته على شاطئ نهر بورتينيس فوقعت المعرفة بينه وبين أمي بشارع مطروق لعموم الناس صدفها فيه فتزوجها هناك ولا ادري أي ذنب ارتكبه ابي حتى بيع هو وزوجته واولاده وكنت انا في ذلك الوقت شابا صغيرا جميل الصورة فاشتراني احد الخطباء وأوصى لي بجميع امواله فلما مات مزقت حالا ورقة تلك الوصية وحرقتها بالنار وذهبت الى مدينة أثينا وتعلمت فيها علم الفلسفة فها انت قد عرفت الآن اسمي واسم ابي وبلدي وجميع اصلي كمعرفتي بذلك فهذا ما امكنني معرفته والاخبار عنه وكذلك اعرف ان من احب ان يؤلف لك في هذا المقصد كتابا لم يفدك باكثر من ذلك وسئل ذات يوم عن اشقى الناس فقال هو الذي يعلق غاية طمعه بان يعيش سعيدا ويقضي عمره في المعيشة اللذيذة الهنيئة لما ان ذلك مستحيل كان يقول الشيخوخة مورد الآلام واليها ترجع المصائب افواجا وانه لا ينبغي للانسان ان يعد من اعوام عمره الا اعوام الفخار الذي اكتسبه وان الجمال خير لدني لا كسبي وان الغني هو

مجمع المقاصد العظيمة لان الانسان بدونه لا يبلغ مرامه ولو بلغت براعته ما بلغت قابل ذات يوم رجلا اكل جميع امواله وعقاراته فقال له ان الارض ابتلعت امفياروس وأما انت فقد ابتلعتها اتى اليه ذات يوم رجل متشدق مقبض فضولي الكلام وقال له اريد ان اسألك بعض اشياء فقال له بيون اقضي لك جميع اغراضك بشرط ان لا تسألني بنفسك بل ارسل اليّ بما تريد وكان ذات يوم بسفينة مع بعض المجرمين فاخذ تلك السفينة جماعة من لصوص البحر فقال بعض المجرمين لبعض ان عرفونا هلكنا فقال بيون وانا ان لم يعرفوني هلكت اتاه ذات يوم بعض الحساد حزيناً فقال له هل مرت بك مصيبة او رأيت خيرا لغيرك كان اذا مر به احد من البخلاء يقول له انت لست سيد مالك بل مالك هو سيدك وكان يقول ان البخلاء يحفظون اموالهم ويحرصون عليها كأنها لهم حقيقة ويحترسون من الانفاق منها كانها لغيرهم وكان يقول اصعب الآلام عدم معرفة التجلد عليها وكان يقول لا ينبغي للانسان ان يعير احدا بالشيخوخة والهرم لان بلوغ ذلك امنية كل احد وكان يقول اعطاء الانسان من ماله احسن من تمنيه زيادته بمال غيره لانه يمكن للمرء ان ينظم في سلك السعداء باقل مال ومتى علق امانيه بمال غيره انتظم في سلك الاشقياء وكان يقول ان المجازفة والمخاطرة لا تليق بالشبان في بعض الاوقات واما الشيوخ فينبغي لهم دائما استصحاب العقل واستعمال الحزم في كل شيء وكان يقول اذا صاحبت احدا فاستبق صحبته على اي حال كان صاحبك حذرا من ان يظهر للناس انك صاحبت الاشرار او قاطعت الاخيار وكان يقول لاصحابه لا تعتقدوا انكم تمكنتم من الفلسفة حتى لا تحركم الاهانة ولا الاكرام

وكان يرى ان حزم الرأي بالنسبة لسائر القوى الباطنة كالبصر بالنسبة لباقي الحواس الظاهرة وكان يقول ان جحد الاله قرين سوء لايلايم النفس

ولا تذعن له لما ان الانسان متى تجاسر على شيء ولامته عليه نفسه ظن ان ذلك من غضب الهي استحقه فنفسه دائماً تمانعه كان يقول ان طريق جهنم سهل جدا بحيث يدخلها الانسان متناعس الطرف كان يقول ان الذين لم يتوصلوا الى الفلسفة وتعلقوا بغيرها من العلوم البشرية كعشاق المرأة المسلسلة يقنعون بمجالسة خادمتها عند فقدها كان ذات يوم بجزيرة رودس فرأى ان الاثينيين الذين بهذه الجزيرة لا يجهدون الا في الفصاحة وانشاء الاشعار فشرع يعلم الفلسفة فلامه بعض الناس على عدم عمله كغيره فقال لهم انما جئتكم بالحنطة فكيف تبغون مني بيع الشعير كان اذا سئل عن الاخوات المسماة « بنايد » المذكورات في خرافات اليونان اللاتي يصببن الماء دائماً في وعاء مخروق بجهنم ولا يخرجن منه حتى يمتلئ مع ان ذلك غير ممكن يقول يكون الرثاء لحالهم اعظم لو حكم عليهن بالادلابانية لا منفذ لها اصلا

بعد ما عاش معيشة المذنبين ادركه مرض شديد بجزيرة « خلفيس » حتى اذبله مدة طويلة ولفقره وكونه لا يمكنه تحصيل متعهد ارسل اليه الملك انتيفونوس عبدين وسريرا هديه لينتفع بذلك في أي مكان يقال ان بيون في وقت مرضه ندم على احتقاره للآلهة وصار يبتهل اليهم ليشفى من هذه الحالة الشنيعة وكان يذهب ويتبرك بشم لحوم القربانات التي كانت تهدى لها ويعترف بذنوبه ومن طروء ضعف عقله سلم نفسه لعجوز ترقى كي تداويه فمد لها ذراعه ورقبته لتملأهما له تمائم وطلاسم ولا زال يتتبع الاوهام الخارقة للعادة حتى صار بابه مزينا بشجر الغار ونهياً لان يستعمل سائر ما يقال له لصحة بدنه وبقاء عمره ومع ذلك فلم تجد معالجاته اصلا بل مات بعلاته التي تولدت له من فساده

﴿ تاريخ ابيقور الفيلسوف ﴾

ولد هذا الفيلسوف في السنة الثالثة من الاولمپاد التاسع بعد المائة وتوفي في السنة الثانية من الاولمپاد السابع والعشرين بعد المائة وعمره اثنتان وسبعون سنة ابيقور هذا كان من عشيرة يقال لها «فيلياده» وولد بمدينة أثينا قريبا من الاولمپاد التاسع بعد المائة ولما بلغ من العمر اربع عشرة سنة اجتهد في تعلم الفلسفة وقرأ مدة من الزمن بجزيرة «شامس» على المعلم «بمفيلس» الافلاطوني ولما لم تطمئن نفسه لهذا المذهب خرج من المكتب ولم يتخذ له معلماً آخر بعده وصار كما قيل يعلم بعد ذلك علم النحو واللغة وقيل انه انتهى امره انه سئم ذلك ايضا وصار يسر من كتب ديمقريطس التي انتفع بها جدا وساعدته على تدوين مذهبه ولما بلغ من العمر ثنتين وثلاثين سنة اشتغل بتعليم الفلسفة في «متلينا» ثم انتقل منها وعلم في «لامبساق» فبعد خمس سنين رجع الى أثينا واسس فيها فرقة جديدة واشترى بستانا عظيما وسار يزرع فيه بنفسه واسس فيه مكتبه ومكث في عيشة لذيذة هو وتلامذته الذين كان يعلمهم وهو يتماشى معهم او يشتغل في البستان وكان يحفظهم جميع الحكم التي يفيدهم اياها عن ظهر قلب وهرعت اليه الناس من جهات اليونان للسرور بسماعه ومشاهدته وهو في هذه العزلة وكان خلقه الصداقة وصفاء النفس لين الجانب محبوبا لجميع الناس ذا شفقة جدا على اهله وأصحابه وكان معهم بكليته في الظاهر والباطن وكان يجود عليهم بكل ما عنده ويوصي تلامذته صراحة بالشفقة على الارقاء وكان هو ايضاً يشفق على ما يملكه ويعاملهم معاملة الكاملين ويأذن لهم في التعلم ويهتم في تعليمهم بنفسه كأنهم تلامذته كان دائما غذاؤه الخبز والماء والفواكه والبقول النابتة في بستانه وربما قال لبعض الناس ائتني بما تيسر من اللبن والجبن كي الذذ به نفسي

قال « لايرقه » هذه معيشة هـذا الفيلسوف الذي اتهمه الناس في معيشته باللذات والشهوات قال فيقرون في مؤلفه المسمى كتاب الفلاسفة ما أشد قناعة ابيقور بالقليل كانت تلامذة ابيقور تقلده في قناعته وفضائله فكانوا يتعيشون بالبقول واللبن لا غير وكان قليلهم يشرب يسير النبيذ وعامتهم لا يشرب الا الماء القراح ولم يرض ابيقور ان يجعل اموال تلامذته شيوعا مثل تلامذة فيثاغورس قائلا ان طريقة فيثاغورس في هذا دلالتها على عدم الوثوق بالتعاون لو احتيج اليه اقرب من دلالتها على الاتحاد كان يعتقد انه لا اشرف من الاشتغال بالفلسفة وان الصغار لا يمكنهم البداءة فيها في حداثة سنهم وكذلك الشيوخ لا يليق بهم السآمة منها لان المقصود منها ان يعيش الانسان سعيدا وهذا مقصد كل عاقل والسعادة التي يتكلم عليها الفلاسفة هي السعادة الضرورية يعني حالة راحة يصلها الانسان بقدرة الهية قال ابيقور انها ليست عبارة عن مجرد لذات الحواس بل هي راحة القلب وعافية البدن فكان يرى ان الخير الكامل هو اجتماع هذين الشيئين في آن واحد كان يقول الفضيلة هي اقوى الطرق الى معيشة الانسان سعيدا لانه لا شيء احلى من كون الانسان يعيش على مقتضى الحكمة والصلاح ولا يعمل ما يلام عليه ولا يحس في نفسه باصابة الذنب ولا يؤذي احدا ويصنع الجميل مهما امكن فبالجملة لا يهمل من واجبات الحياة شيئا فمن هذا ينتج ان لا سعيد الا ارباب الصلاح وان الفضيلة لا تفارق الحياة الهنيئة كان لا يسأم من كثرة مدحه للقناعة وكف النفس عن شهوتها وهذه الصفة الثانية هي دائما سبب صفاء العقل وحفظ العافية بل ربما جبرت خلل العقل او البدن الطارئ وكان يقول ينبغي للانسان تعويد نفسه على اليسير لان هـذا اصح الكيمياء وذلك لان الانسان عند جوعه واضطراره يتلذذ بهين الاكل اكثر من ألذ المطاعم وايضا فمهما كانت اغذية الانسان معتادة مجردة عن نفيس

الاطعمة كانت اقوى لبدنه فلا يتكدر رأسه بل يستنير عقله ويخلو عن الشغل بمثل ذلك فحينئذ يتفرغ المرء للبحث عن حقائق الموجودات وترجيح بعض الامور على بعض فاذن يكون للولائم اذا صنعت غبا موقع عظيم ويستوي عند الانسان حلول النكبات او يهون عليه تحملها بسهولة بحيث انه يكتفي بما تدعو اليه الحاجة بخلاف من عود نفسه على التعيش بالملاذ والزخارف كان يقول لا يمكن الانسان وان خرق العادة في بذل الجهد ان يتجنب سائر ما يفسد جسمه ويكل عقله تجنبا كليا فاذن لا بد له من تجنب بعض اللذات وان كان مألوفا في نفسه اذا ترتب عليه من المكاره ما يفوق ملاءمته للنفس كما ان بعضها وان كان فيه ما ينفر في ذاته يقبل عليه الانسان اذا ترتب عليه خير اكثر من شره كان يقول مخالفا للقيروانيين ان البلادة لذة دائمة وان القوى الباطنية اكثر احساسا وتأثرا من القوى الظاهرية وعلل ذلك بان الجسم لا يتأثر من الالم الا وقته بخلاف العقل فانه يتأثر بالحال والماضي والمستقبل كان يقول ان الروح جسمانية معللا ذلك بانها محركة لاجسامنا مشاركة لها ألما ولذة وانا في حالة ثقل النوم نتيقظ بها بغتة وبها تتغير ألواننا على حسب ما يعرض لها من الحركات والاعراض واثبت انه لا يمكن ان تتعلق بالجسم ما لم تكن جسمانية فكان يتصورها بانها ليست الا منسوجات مادية دقيقة جدا منبثة في جميع اجزاء البدن التي هي جزءه فنسبتها له كالرجل واليد والرأس ومنه ينتج انها تهلك بموتنا وتتفرق كالابخرة المتصاعدة وتفقد الاحساس كما فقده الجسم فاذن لا يخشى من الموت لعدم ايلامه لما ان الايلام منوط بوجود الاحساس والموت اعدام الاحساس فاذن لا نسبة بينه وبيننا لعدم المشاركة والاتصال فمتى كنا لم يكن ومتى كان لم نكن وفي الحقيقة متى كان الحي موجودا في الدنيا فالاوفق بالطبيعة ان يريد الاقامة بها بمقدار سروره فيها ولا ينبغي له ان يكون

خروجه منها اشق عليه من الانصراف من المائدة بعد الشبع ✗ كان يقول قل من يلتذ من الناس بحياته وذلك لان كل انسان يحتقر حالته الراهنة ويأمل ان يكون المستقبل احسن من ذلك فتخترمه المنية على غفلة قبل بلوغ الآمال فهذا موجب شقاء الانسان في حياته فلا احسن من التمتع بفرصة الحالة الراهنة وعدم الوثوق بالمستقبلات .ولا ينبغي له ان يعد السعد بمقدار ما عاش من السنين على وجه الارض بل هو ما عاشه منها معيشة هنيئة فكان يقول قصر الحياة مع الهناء خير من طولها مع التكدر ✗ وضرب لذلك مثلا بالمآكل فان اللذة ليست في كثرة لحومها التي لم تهيأ تهيأ حسنا بل هي في لذة المطعم وان لم يكن بكثرة فينبغي اغتنام اللذة متى امكنت واما التسلي بانا سنفقد لذات الدنيا بالموت فلا يجدى لانا حين ذاك لا نشتهيها بل لا نحتاجها كما كنا في بطون امهاتنا ✗ كان يقول ان من ضعف الرأي خوف الانسان من جهنم وان ما ذكره جاهلية اليونان من انواع عقابات جهنم ككون البعض يعاقب بالجوع والظمأ الدائم والبعض يعاقب بان يدحرج حجرا مستديرا من اسفل جبل الى اعلاه كلما دحرجه عاد اليه والبعض يكلف ان ينضح بدلوه حتى يملأ حوضا منخرقا ونحو ذلك فانما هي خرافات واختراعات للتنبيه على مكاره الدنيا وانه ينبغي للانسان ان يتجنب ما يزعجه مما لا يستعمل الا لتنكيد معيشة الدنيا وتضييع الهناء ✗ كان يقول انما ينتج الحرية استواء سائر الاشياء خيرا كانت او شرا عند الانسان وكان يرفض القول بالقضاء والقدر ويقول الاخبار بالمغيبات هوس لا اصل له لما انه لا يمكن لاحد معرفة المستقبلات الاختيارية الوقوع حيث لا سبب ضروري لها كان يتكلم على الالوهية مع الجلال والادب ويقول ينبغي للانسان ان لا ينسب للالوهية الا الكمالات وكثيرا ما كان يمنع الناس صراحة ان ينسبوا للاله شيئا لا يليق بمن شأنه البقاء وسائر الكمالات وكان يقول ليس المشرك من رفض الآلهة

المعبودة للعامة بل الشرك في نسبة القبائح اليها كما تنسبه لها العامة وكان يقول ان منصب الالوهية يستحق العبادة لعظمتها وشرف ذاتها فتعبدها بتلك الملاحظة لا خوفا من شرها ولا طمعا في خيرها وقد ذم هذا الفيلسوف ما عليه العامة من البدع التي اوقعتهم في اعظم الكبائر وكان دين وطن هذا الفيلسوف يقول بجواز الاعراض البشرية على الآلهة اما هو فكان يرى انها ذوات سعيدة مسكنها اماكن منعمة منزهة عن الرياح والامطار والثلج يحفها هواء طيب ونور ساطع وشغلها التمتع بما هي فيه من النعيم كان ينزهها عن جميع ما يحير البشر ويقول انها لا تتأثر بشيء من افعالنا فلا ترضيها طيباتنا ولا تغضبها سيئاتنا فكان يزعم انها اذا اهتمت بشؤون العالم او ادخلت انفسها في سياسته وتدبيره تكدرت معيشتها الهنيئة واستنتج مما تقدم ان الادعية والصلوات والنذور ونحوها لا تنفع عندها بشيء وانه لا فائدة للاستعانة بها ولا للسجود بمحاريبها فلا يدفع ذلك شيئاً من النكبات التي تقع ولكن يجب على الانسان ان يتلقى الحادثات بطمأنينة بلا عجب كان يقول ليس العقل هو الذي تصور الآلهة وان الخوف الذي جاء للناس مع هدوّهم انما يجيء غالبا من المنامات حيث يخيل للانسان انه يرى فيها خيالات عجيبة فيتراءى له ان تلك الخيالات تخوفه وتهدده مع العظمة والكبرياء اللائقين بصورها العظيمة فيتمثل للانسان في نومه انه يراها تفعل أموراً عجيبة ولما كانت هذه الخيالات تتكرر في جميع الازمان وكان كثير من الآثار يظهر انه مجهول الاسباب توهم كثير من ارباب المعارف الهينة في كثير منها كالشمس والقمر والنجوم لما صدورها ورأوا حركاتها المنتظمة ان هذه الخيالات الليلية ذوات ازلية قادرة وجعلوها قارة في وسط الفلك حيث يشاهد نزول الصواعق والبرق والبرد والمطر والثلج وجعلوها رئيسة تسيير هذا الفلك العجيب الذي هو دولاب الدنيا ونسبوا اليها كل ما جهلوا اسبابه من الآثار فعلى ما زعمه

هذا الفيلسوف ان هذا كله هو سبب اتخاذ المحاريب والمعابد وعلى ما زعمه ايضاً فسائر العبادة التي تؤدي للآلهة لا اصل لها الا ما ذكره قبل وأما الاماكن العجيبة التي يعتقد اليونان انهـا مقام تلك الآلهة فهي كما قاله « لوقريقه » عن ابيقور انها لا يمكن تصور ان بينها وبين قصور الدنيـا ايا كانت مشابهة لان الآلهة حيث كان جوهرهم لطيفاً لا يمكن العقول ادراك كنهه يلزم ان يكون بين اماكنهم وبين جوهرهم مناسبة في اللطف

اتفق سائر الفلاسفة على انه على حسب ما جرت به عادة الطبيعة لا يصدر موجود عن معدوم ولا يؤول موجود الى العدم لما قد صح بالتجربة ان الاجسام يتكون بعضها من آثار بعض فينتج من هذ ان لها سببا عاما وهذا السبب هو الذي يسمونه مادة اولية واختلفوا في بيان هذه المادة الاولية فزعم ابيقور انها الذرات يعني اجسام دقيقة بسيطة فزعم ان سائر الاجسام تتركب منها وذهب ايضا الى اصل ثان غير الذرات وهو الفراغ ولكن لم يجعله اصلا لتركيب الاجسام وانما يقول انه اصل لحركاتها لانه لو لم يكن للفراغات الصغيرة انتشار في جميع الاجسام لم يمكن تحرك شيء بل كانت اجرام المادة تبقى متلاصقة ببعضها كالصخرة الواحدة فلا يتولد عنها شيء وكان يقول بقدم هذه الذرات وانه لا يعقل عدد صورها وان امكن حصره ولكن لكل صورة من هذه الصور ما لا يحصى من الذرات وزعم ان زنة الذرات هو السبب في حركاتها فبتصادمها تشتبك ببعضها وان اختلاف طرق ترتيبها وانتظامها يتولد عنه ما نشاهده في الكون من الآثار المختلفة من غير ان يكون شيء من هذه الآثار معلولا لعلة غير تلك المصادمة التي تقع بين عدة مقادير من الذرات مختلفة الصور وكان يشبه هـذه الذرات بحروف المباني حيث يحدث عنها كلمات مختلفة على حسب اختلاف المادة التي تتركب منها الكلمات في الحروف مثلا كلمة « بكر » و « ركب » و « كربوريك » كلمات مختلفة مع

اتحاد حروفها وليس اختلافها الا من اختلاف هيئة التركيب بالتقديم والتأخير فكذلك الذرات التي يتقدم منها بعض الاجسام اذا كانت مرتبة على وجه معين تكون منها صورة كذا واذا رتبت على وجه آخر تكونت منها صورة اخرى ولكن مع ذلك فلا يقول بان جميع الذرات ايا كانت صالحة للدخول في تركيب سائر الاجسام ايا كانت فمن الظاهر ان الذرات التي تكون فرو الصوف لا تصلح ان تكون الالماس كما نشاهد ان كثيرا من الكلمات يباين غيره في سائر حروفه وكان يزعم ان هذه الذرات الصغيرة دائمة الحركة وهذا هو العلة في كون ما في الوجود من الحوادث لا يدوم بحالة واحدة بل يصغر تارة ويعظم اخرى بما ينضم اليه مما نقص من الآخر وبعضها يقدم والآخر يأخذ في الزيادة والقوة يوما فيوما فبناء على ذلك لا يمر على الشيء الواحد الا زمن واحد وكلما اخذ في الفساد انتزعت منه اجزاء وانضمت الى اخر وصنعت في العادة جسما يخالف ما تحللت منه فبهذا لا يفسد شيء ابدا وان لم يبق الا زمنا واحدا وانما يتراءى ان الشيء يؤول للزوال كأنه انعدم بالكلية وكان ابيقور يزعم انه مر على الذرات زمن وهي متفرقت ثم اجتمعت مصادفة واتفاقا ولا تزال تتكون منها دنيا وبزوالها تتكون غيرها وهكذا وهذا الزوال اما بواسطة نار كما اذا دنت الشمس جدا من الارض فاحرقتها واما بهزة مهولة تقلب جميع الاشياء وتفسد دولاب العالم وبالجملة فهلاك كل دنيا يحصل بسبب من اسباب عديدة ولكن من آثار الهالكة تتركب دنيا اخرى تشرع حالا في توليد حيوانات جديدة بل الظاهر ان الدنيا التي نحن بها الآن انما هي اجتماع آثار ما بقي من حوادث مهولة وقعت في سالف الازمان كما يشهد لذلك ما يشاهد في البحار من المهاوى التي لا قاع لها وسلاسل الجبال الشامخة وطبقات الصخرات الطويلة العريضة المختلفة الاوضاع المتباينة التقاطع ويشهد لذلك ايضا

اختلاف ما بباطن الارض من المعادن والانهر التي تحت الارض والبحيرات الكامنة فيها والمغارات والكهوف ويشهد لذلك ايضا مافوق سطح الارض من التقاطع فانك تجدها مشقوقة بالجار والبطائح والبوغازات والجزائر والجبال ﴿ وكان يزعم ان العالم لا نهاية له وان هذا العالم العظيم لا وسط ولا اطراف له وان اى نقطة نتصورها في العالم فانه يبقى علينا ايضا اماكن اخر تقطع ولا يوجد له آخر ﴿ وكان يقول من الجنون تمدح الانسان بان الدنيا خلقت محبة للناس بل الظاهر ان الآلهة بعد ما مكثوا زمنا طويلا في الراحة استحسنوا ان يغيروا حالتهم الاولية بغيرها وكان يقول ان الارض قد تولد منها في ما سبق اناس وحيوانات اخر كما يتولد عنها الآن الفيران وبنات عرس والديدان وسائر الحشرات وكان يزعم ان الارض في ابتدائها وقت ما كانت جديدة كانت سمينة نطرونية فلما صارت الشمس تسخنها شيئا فشيئا تغطت بالاعشاب والاشجار الصغيرة ثم ارتفع على سطحها نفاطات وخراجات على شكل الفقاقيع وبعد مدة كافية لتضجها انفتحت جلدتها العليا وخرج من تحتها حيوان صغير صار يتحرك شيئا فشيئا ذاهبا من الاماكن الرطبة التي تولد منها ودخله النفس فيها وكان يقطر من هذه الاماكن جداول من اللبن لغذاء هذه الحيوانات الصغيرة ومن هذه الحيوانات الكثيرة الاصناف عدة عجيبة الخلقة سيئة التركيب فمنها مالا رجل له ومنها مالا فم له ومنها مالا رأس له ومنها ما اعضاؤه ملتحمة بهيكل بدنه بحيث ان كثيرا منها فقد من عدم قدرته على التقوت بنفسه او لعدم امكان تحصيل النسل الذي يكون من اجتماع الذكر بالانثى فلم يبق منها الا ماكان حسن التركيب وهي الانواع الموجودة الآن كان يقول ان في مبادي الدنيا لم تكن الحرارة والبرودة واختلاف الامزجة شديدة كما هى الآن بل كانت في مبدأ امرها كغيرها في الانتظام والناس الذين خرجوا من

الارض كانوا وقت خروجهم منها اقوى مما نحن عليه الآن فكانت اجسامهم مغطاة بالشعر الخشن مثل شعر الخنازير ولم يكن عندهم تألم من رديء المأكول ولا من فساد الهواء والفصول ولم يكن من عادتهم اللبس بل كانوا ينامون عرايا على اديم الارض في اي محل ادركهم الليل به وكانوا يتقون المطر بالاشجار الصغيرة ولم يكن لهم في ذلك الوقت ائتناس ببعض بل ولا اجتماع بل كان كل احد لا يعرف غير نفسه ولا يشتغل الا بخاصة راحتها وقد تولد من الارض ايضا غابات اشجارها دائمة النمو فاول ما ابتدأ الناس يتغذون بثمر البلوط وثمر الاشجار الصغيرة والثمرات الرديئة وكان لهم احيانا منازعات مع الخنازير والسباع فاخذوا يتجمعون طوائف طوائف ليتقوا ضرر هذه الحيوانات الوحشية وابتنوا لهم اخصاصا صغيرة وشرعوا يصطادون الحيوانات ويتخذون جلودها ثيابا يلبسونها ثم اختار كل واحد منهم لنفسه امرأة وعاش معها معيشة خصوصية فتولد منهما اولاد وبمداعبة الآباء مع ابنائهم خف توحشهم ولان جانبهم فهذا اصل الائتلافات والتأنسات والجمعيات البشرية ثم ائتلف الجار بالجار وانقطعت عداوة كل لصاحبه وكانوا اولا يقضون اغراضهم بالاشارة بالاصابع الى الاشياء ثم اخترعوا لسهولة بعض اسماء للاشياء مصادفة ثم ألفوا لغة خشنية يستعملونها في افادة بعضهم بعضا ما في ضميره كان يقول انهم قبل ظهور النار كانوا ينضجون ما احتاج النضج بحرارة الشمس فكانوا ينضجون فيها لحوم الصيد فنزل برق من السماء ذات يوم فاحرق بعض اشياء دفعة واحدة فالناس الذين عرفوا منفعة النار عوضا عن ان يطفئوها لم يتفكروا الا في حفظها فكل انسان اخذ منها في خصه شيئا لاستعماله في تنضيج مأكولاته ثم بنوا بعد ذلك مدنا واقتسموا الارض بلا مساواة بل اخذ الذين لهم قوة وشجاعة اكثر من غيرهم وجعلوا انفسهم ملوكا واكرهوا غيرهم على طاعتهم

وبنوا لهم قلاعا وحصونا لاجل ابعاد هجوم واغارات من جاورهم وكانوا في ذلك الوقت لا يدافعون عن انفسهم الا بايديهم واظافرهم واسنانهم وبالاحجار او العصى فهذا هو سلاحهم الذي كانوا يستعملونه عند المنازعة

وبعد ما احترقت عدة غابات بسبب مجهول وجدوا معدنا يجري في عروق الارض الى حفر صغيرة فيتجمد فيها فتعجبوا من بهجة هذا المعدن واستنتجوا من ذلك انه بواسطة النار يمكنهم ان يعملوا منه ما يشاءون ولكن لم يتذكروا في اول الامر الا عمل الاسلحة وكانوا في هذا المعنى يختارون معدن النحاس على الذهب لان اسلحة الذهب كانت دون اسلحة الحديد في القطع ثم صنعوا من النحاس لجم خيلهم وآلة حراثهم وكل ما احتاجوا اليه وقبل ظهور الحديد كانوا يتخذون الملابس من قطع الاشياء المختلفة ويربطونها ببعضها قطعا قطعا فلما وقفوا على منافع هـذا المعدن وما يصلح له عرفوا وسائط اتخاذ الاقمشة من خيط الصوف والكتان لاجل راحة انفسهم

اما بذر الارض فقد عرفوه من طبيعة الارض حيث ان الناس في ابتداء الدنيا رأوا ان ثمر البلوط الذي يسقط من شجره على الارض يتولد منه اشجار تشبه اصله فلما ارادوا زرع البلوط ببعض الاراضي بذروا بها ثماره وقاسوا على ذلك بقية النباتات فكل انسان صار يبذر ما يحتاج اليه على منوال ما رآه ولما كان النبات يطيب بطيب حراثة الارض شرع كل انسان في الاجتهاد العظيم في الفلاحة والى هـذا الزمن القوة والمهارة هي التي كانت جارية وبمجرد ما تعاملوا بالذهب وافتتن الناس به صار كل لا يتفكر الا في كنزه وادخاره فاغتنى كثيرهم بهذه الواسطة وترك الناس التعلق والميل الى الملوك السالفة وقصروا ميلهم على الاغنياء وقتلوا الملوك ومن ذلك الوقت صار الحكم للرعايا في انفسهم فاسسوا شرائع وقوانين واختاروا لهم قضاة وحكاما لاجل التمسك بها وتدبير المصالح العامة فكلما فقدت

هذه الامم توحشهم زاد ائتناسهم ببعض وشرعوا يدعون بعضا للمآكل والمشارب وكانوا بعد تمام الاطعمة يلذذون انفسهم باستماع اغاني الطيور ويبذلون جهدهم في تقليدها ويؤلفون مغاني على الاهوية التي يسمعونها من الطيور ثم لما سمعوا للرياح هديرا لطيفا في داخل القصب كان هذا حاملا لهم على اختراع المزامير ولما تعجبوا من الاجسام السماوية حملهم ذلك على الاجتهاد في تعلم الهيئة ثم لما داخلهم الطمع والحرص في اخلاقهم شرعوا يحارب بعضهم بعضاً لينتزع كل ما في يد خصمه فنشأ من ذلك شعراء ينظمون ما كان يصدر في تلك الوقائع العظيمه من الحسن وغيره وكثرة البطالة التى سلكوها فيما بعد كانت سببا لتجرهم في اتقان الفنون التي حملتهم الضرورة على وضعها بل ربما اخترعوا فنوناً ليست ضرورية حملهم عليها قصد الترفه وحسن الحال واما كون الارض الآن لا يتولد عنها آدميون ولا سباع ولا كلاب فقد أجاب عنه ابيقور بانصفة الولود التي كانت قائمة بالارض انقطعت وصارت الارض عقيمة كالمرأة المسنة فانها لا تلد وان الارض التي لا تحرث تكون في اول اعوام احيائها بحيث يخرج منها اكثر مما يخرج منها فيما بعد واننا اذا قلعنا اشجار غابة فان قرار الارض لا يخرج منه اشجار مشابهة لما نزعناه بل اشجار آخر تخبث عن اصلها مع الصغر والوحاشة كالشوك ونحوه ولا مانع من انه لم تزل الارض تلد الى الآن ارانب وثعالب وخنازير وغيرها من الحيوانات ولكن هذا يحصل في الاماكن المتباعدة عنا فلا نعرفه فلهذا لا تظن وقوعه وكذلك لو لم نر اصلا من الفيران الا ما تولد بين الفيران لظننا ان الفيران لا تتولد من الارض بلا توسط ذكر وانثى ولما اختلفت الفلاسفة في الطرق التي يتوصل بها الى معرفة الحقيقة قال ابيقور اعظم طريقة توصل الى ذلك هي الحواس واننا لا نعرف شيئاً الا باخبارها ولا شيء لنا نميز به الصحيح من الباطل غير الحواس وكان يقول ان الذهب في

مبدأه لم يكن فيه تصور شيء بل كان كلوح خال لا شيء به فلما تكونت الجوارح الجسمانية تواردت عليه المعارف تدريجا بواسطة الحواس فصار قابلا للتفكر في الاشياء الغائبة ولا مانع من كونه يخطئ حيث انه يتصور الغائب حاضر بل ربما تصور ما لا وجود له بخلاف الحواس فانها لا تدرك الا الاشياء الحاضرة حال حضورها فلذلك لا تخطئ ابدا في وجود الاشياء ولهذا كان من الجنون ان الانسان في صورة الخطأ لا يستعين بالاختبار من حواسه لاجل ان يستعين بالبراهين على صدق فكره او كذبه وللفلاسفة في تفسير الابصار عدة طرق فقال ابيقور انه دائما يخرج من جميع الاجسام مقادير كثيرة من السطوح الصغيرة المشابهة لنفس الاجسام في هذه السطوح الصغيرة تملا الهواء وبواسطتها ندرك الاشياء الظاهرة المحسوسة وكان يزعم ان الشم والحر والصوت والنور وغيرها من الاوصاف المحسوسة ليست مجرد ادراك للروح بل جميع هذه الاشياء في الحقيقة ليست جزءا من الانسان بالكلية وانما هي أمور خارجية في الواقع كما هي كذلك في الظاهر فهي مقدار من المواد مصور ومهيأ للتحرك على وجه خاص هو الشم والحر والصوت والنور فهي مستقلة خارجة عن جميع الحيوانات مثلا الاجزاء الصغيرة التي تنفصل من اجزاء روضة تملأ الهواء حول تلك الروضة بمشموم ذي رائحة لطيفة هي التي يشمها المار بها واذا ضربنا ناقوسا فان الهواء المحيط به يمتلئ بصوت حاد مشابه لما نسمعه حينئذ واذا اشرقت الشمس ظهر في الهواء نور ساطع شبيه بما نراه وقتئذ واما كون الشيء الواحد يظهر مختلفاً لحيوانين مختلفين فما ذاك الا من اختلاف شكل باطن هذين الحيوانين مثلا ورق الصفصاف مر في فم الانسان حلو في فم المعز فهذا دليل على كون داخل الانسان والمعز لا تماثل بينهما الفلاسفة الاسطوانيون مع ما هم عليه من التشديد والصعوبة والتعاظم حصلت لهم غيرة عظيمة من كثرة تلامذة

ابيقور ومن احبابه الذين كانوا يتعلقون به دائما وان كانت طريقته مخالفة لطرائقهم فمن الغيرة بذلوا جهدهم في ابطال طريقته حتى انهم ذكروا في كتبهم كلاما قبيحا سبا له فكان هذا سببا في كون اتباعه بعد موته ظنوا نقصه مع انه كان على طريقة مستقيمة ومعيشة منظومة قد مدح « اجرجوار » عفة ابيقور فقال ابيقور ان اللذة منتهى اغراض الناس بافعالهم ولاجل ان يثبت انها ليست عبارة عن مطلق لذة الحواس بل هي استقامة الحال عاش دائما غير عفيفا منهمك على اللذات ليثبت قوله بالفعل كان لا يحب الدخول في حكام الجمهورية بل كان يؤثر راحة المعيشة على زحمة الحكم وتصوير الاثينيين صورته في اشهر اماكنهم دليل على احترامه وتبجيله وكان كل من اجتمع به لا يفارقه الا مترودروس فانه تركه لاجل تلقي العلوم بمدرسة « كرنياد » ولكنه لم يمكث فيها الا نحو ستة اشهر ثم عاد الى ابيقور ومكث معه حتى مات وكان موته قبل موت ابيقور بمدة قليلة وبقي مكتبه بعد موته كما كان حال حياته حتى في زمن ما هجرت المكاتب الاخر ولما بلغ من العمر اثنتين وسبعين سنة مرض بمدينة اثينا التي كان مستمرا على التعليم فيها وكان داؤه حصر البول وكان يؤلمه ألما شديدا فتصبر عليه فلما احس بانه قد حان وقته وقرب هلاكه وموته اعتق جملة من عبيده وفرق امواله واوصى بان يعمل ليوم ولادته وولادة اهله موسم في كل سنة فكان ذلك الموسم يوافق عاشر شهر « جامليون » واعطى بستانه وكتبه لهرماقوس ميطلين الذي جعله خليفة بعده وشرط ان تعطى كذلك لكل خليفة بعده وكتب لايدومينى هذا الخطاب ونصه ها انا الآن بفضل الله تعالى في آخر يوم سعيد من عمري واني معذب بدائي الذي يرعى مثانتي واحشائي اكلا لا يتصور اقسى منه ومع ما اذوقه من هذه الآلام فاني اتسلى واتصبر حين اتذكر البراهين التي زينت بها علم الفلسفة فارجو منك اعتمادا على ما ظهر لي من

حبك لي ولمذهبي ان تستوصي باولاد مترودروس ثم انه بعد ان مضى عليه وهو في المرض اربعة عشر يوما ذهب الى حمام حار قصدا فلما دخله طلب كاسا من نبيذ صاف فشربه فمات حالا واوصى احبابه وتلامذته الحاضرين عنده ان لا ينسوه ولا ينسوا اصول مذهبه وكانت وفاته في السنة الاولى من الاولمبياد السابع والعشرين بعد المائة وحزن على فقده جميع الاثينيين

﴿ تاريخ زينون الفيلسوف ﴾

كانت وفاة هـذا الفيلسوف في الاولمبياد التاسع والعشرين بعد المائة وكان شيخ الفرقة الاسطوانيين وكان من مدينة « قيتيا » بجزيرة قبرص وفي ابتداء امره قبل الشروع في شيء ذهب يتفاءل من بعض الكهنة لاجل ان يفهم ما الذي يفعله حتى يعيش سعيدا فاجابه الكاهن بابهام وقال له لا بد ان لونك يصير كألوان الموتى ففسره زينون بان معناه انه يتعلق بقراءة كتب الاقدمين واعتقد ذلك فابتدأ في القراءة وبذل جميع جهده اتباعا لاشارة الكاهن كان ذات يوم آتيا من مدينة « قيتيا » ومعه شيء من ارجوان الصوريين فكسرت السفينة التي هو بها وتلف ما كان معه بمينا « بيرى » فحصل له غم عظيم من تلك الخسارة فجاء الى مدينة أثينا فدخل عند بياع كتب وابتدأ في قراءة المقالة الثانية من كتاب زنفون ليسلي غيظه فحصل له من قراءتها سرور عظيم ازال تكدر خاطره فسأل الكتبي عن مسكن هؤلاء الناس الذين يتكلم عليهم زنفون واذا باقراطيس الكلبي مارا بالمصادفة على غفلة فاشار الكتبي الى الكلبي باصبعه وقال لزينون اتبع هـذا الرجل وكان سن زينون في ذلك الوقت ثلاثين سنة فتبع اقراطيس وكان هذا اول يوم صار فيه تلميذا له وكان زينون شديد الحياء والخجل فلذلك لم يمكنه ان يتعود على طريق الكلبيين فلما رأى اقراطيس ان هذه الطريقة تشق

عليه اراد ان يقوي عزمه عليها فاعطاه ذات يوم قدرا ممتلئة عدسا وامره ان يدور بها في طرق مدينة « سيراميقه » فاحمر وجه زينون من شدة الخجل بسبب ذلك فاختفى به خشية ان يراه احد وهو على هذه الحالة فقال له اقراطيس لاي شيء هربت يا مكار مع ان هذا لا ضرر عليك فيه

وكان زينون يحب علم الفلسفة وكان دائم الشكر للدهر على غرق امواله في البحر وكثيرا ما كان يصيح قائلا ما اطيب الهواء الذي غرقني حيث آل بي الى طيب واستمر يقرأ على اقراطيس اكثر من عشر سنين من غير ان يمكنه التخلق بقلة حياء الكلبيين ثم لما اراد ان يترك معلمه ليذهب الى استيلفون الميغارى ليتلقى عنه العلوم جذبه اقراطيس من عباءته وحجزه قهرا عنه فقال له زينون يا اقراطيس ان الفيلسوفي لا يحجز بامساك اذنه فأقم لي برهانا على ان طريقتك احسن من طريقة استيلفون فان لم تحقق لي ذلك يكون عندك في الحقيقة جسمي وعقلي يكون دائما عند استيلفون

مكث زينون عشر سنين اخرى عند استيلفون واكسينوقراط وبوليمون ثم بعد ذلك خرج واسس له مذهبا وعما قريب انتشرت شهرته في سائر بلاد اليونان وصار في زمن قليل احسن فلاسفة جميع البلاد وهرع اليه كثير من الناس من سائر الجهات للتلقي عنه والتلمذة ومن حيث ان زينون كان يعلم التلامذة جالسا بايوان ذى اعمدة سميت فرقته الاسطوانيين كان الاثينيون يفتخرون به جدا حتى جعلوه امين مفاتيح البلدة وشيدوا له صورة واهدوا اليه تاجا من الذهب وكان السلطان انطيغونوس يمدح ويستحسن دائماً هذا الفيلسوف ولا يمكن ان يأتي مدينة اثينا الا ويذهب الى سماع درسه وكان في اغلب الاوقات يأتي الى زينون ويأكل معه او يأخذه للاكل معه عند ارسينوقلى الالاتي ولكن زينون ألزم نفسه ان لا يجتمع معه فيما بعد في وليمة ولا جمعية عامة لتدوم الحشمة بينهما ثم ان انطيغونوس

بذل جهده في جاب زينون اليه فطلب ان يسامحه من ذلك السفر وارسل عوضا عنه برسيوس وفيلوميد وكتب له معهما جوابا صورته انه حصل لي غاية الفرح والسرور من حبك واشتياقك للعلوم وانه لا يصلح لردك عن لذة حواسك ويدعك تتبع الحقائق الا حب الفلسفة وقال فيه ايضا انه لولا كبر سني وقلة عافيتي منعاني عن الخروج لاتيتك كما تشتهي ومن حيث عدم امكان ذلك قد ارسلت اليك اثنين من اعظم اصحابي مماثلين لي عقلا ومذهبا واشد مني قوة فاذا كلمتهما بجد واتبعت ما يعلمانه لك من الاصول الفلسفية رأيت انك لا تفقد شيئا من السعد الكامل كان زينون طويل القامة نحيف الجسم شديد سواد الجلد فلذا لقب بالنخلة المصرية وكان رأسه مائلا على كتفه وكان غليظ الرجلين مريضهما يلبس دائما خفيف الاقمشة التافهة القيمة وكانت معيشته غالبا بالقليل من الخبز والتين والعسل والنبيذ الحلو ولم يأكل مطبوخا اصلا وكان ماسكا بازمة هواه وشهوته بحيث انهم اذا ارادوا ضرب المثل بعفة احد قالوا انه اعف من زينون وكان يمشي بتؤدة وهيبة وكان حاد الفطنة صعب الاخلاق واذا تكلم عبس جبهته ولوى فمه ومع ذلك فكان اذا حضر في محفل حظ يكون طلق الوجه بشوشه ويحظ الحاضرين ولما كان يسأل عن سبب هذا التغير يقول ان طبيعة الترمس المرارة ولكنه اذا نقع في الماء مدة حلا كان وجيز العبارة واذا سئل عن سبب ذلك يقول على العاقل اختصار كلامه ما امكن وكان اذا اراد توبيخ احد قصر في الكلام مع الكناية والتعريض حثه ذات يوم شاب على جواب قضية لا يسع جوابها عقل هذا الشاب فاحضر له زينون مرآة فلما نظر الشاب وجهه فيها قال له زينون هل رأيت هذه الصورة تقبل مثل جواب هذه الاسئلة كان يقول ان تمويهات الخطباء مثالها كمثل دراهم سكندرية حسنة الظاهر خبيسة المعدن وكان يقول ان اضر ما يظلم به الشبان تربيتهم على

الفخار انما اللائق تربيتهم على الادب وعلى فعل ما يليق فان الحكيم قافزيوس لما رأى ذات يوم احد تلامذته محشو بالكبر صفعه وقال له ان تعاليك لا يتسبب عنه صلاح حالك واما صلاح حالك فيتسبب عنه رفعتك على غيرك كان اذا قيل له ما تعريف صديقك يقول من كان اياي وكنت اياه ذهب ذات يوم في وليمة كانت عملت لرسل الملك بطليموس فالتزم الصمت وقت الاكل فعجب الرسل من ذلك وسألوه أيريد تبليغ شيء عنك الى الملك فقال بلغوه انا رأينا انسانا يعرف الصمت هؤلاء الاسطوانيون كانوا يرون انه ينبغي لكل انسان ان يعيش بمقتضى الطبيعة على معنى ان لا يفعل ما يخالف حكم العقل الذي هو قانون عمومي مشترك بين جميع الناس وانه ينبغي لكل احد التمسك بالفضيلة لذاتها لا لما يترتب عليها من ثواب فانها بذاتها كافية في اسعاد المرء فمن تمسك بها تمتع بكمال الراحة ولو احاط به التعب الشديد وانه لا نافع الا ما كان صلاحا ولا نفع في الذنب وان تنزيه الحواس بالشهوات لا يعد من الخير في شيء لانها مدنسة للمرء ولا خير في المدنس وان الحكيم لا يخاف شيئاً ولا يتزين بشيء لانه قد استوى عنده الفخار والعار انما طبع الحكيم شدة الاخلاق وصفاء الباطن ولا يمتنع من شرب النبيذ ولكن لا يشرب حتى يصل حد السكر مخافة ان يضيع لحظة من عمره مع الخلو عن استعمال العقل وينبغي للعاقل تعظيم المعبود وتقريب القربان له واجتناب الفساد بانواعه وان الحكيم دون غيره هو الذي يعرف ان يحب وانه ينبغي له ان يدخل نفسه في مصالح الجمهورية لابعاد ذميم الخصال عنها وحث الاهالي على حميد الخلال لانه دون غيره هو الذي يميز الحق من الباطل وانه مختص دون غيره بانه لا يميل ولا يضر احدا ولا يعجب من شيء مما يعجب منه غيره كان يقول ان جميع الفضائل مشتبكة ببعضها بحيث لا يتم لاحد فضيلة

من الفضائل ما لم تكمل له سائرها وانه لا واسطة بين الفضيلة والرذيلة لان الامور حيث انقسمت الى معوج ومعتدل فكل عمل اما خير واما شر بلا ثالث عاش زينون حتى بلغ من العمر ثماني وتسعين سنة ولم تصبه فيها علة وحصل التأسف على موته ولما سمع بوفاته السلطان انطيغونوس تأثر عليه وقال اواه من تلك الخسارة التي خسرتها فسئل عن سبب اعتبار هذا الفيلسوف فقال ما ذاك الا لاني مع كثرة ما اهديت اليه لم تدنسه الهدايا بالذل لي وترجى هذا السلطان الاثينيين ان يكون مدفن هذا الفيلسوف بقرية قيرميق كما تأسف عليه السلطان تأسف عليه الاثينيون اكثر منه واكابر اهل الحل والعقد مدحوه على رؤوس الاشهاد بعد موته ولاجل ان يكون أمر فضيلته محققاً عند الناس خاليا عن الشك مسجلا في صحيح التواريخ نشروا بين الناس ما صورته

﴿ الحكم على زينون ﴾

بحيث ان زينون بن امناسي الذي هو من مدينة « قيتيا » مكث بمدينتنا هذه عدة سنوات لتعليم الفلسفة واستبان انه رجل من اهل الاستقامة في جميع الاشياء وانه كان دائما يحث تلامذته على سلوك طرق الفضائل وسلك طول عمره على موجب الاصول التي كان يعلمها استحسن نظر الاهالي مدحه على رؤوس الاشهاد واتحافه بتاج من الذهب استحقه لاستقامته وورعه وان يشيد له قبر بقرميق من بيت المال وقد استحسن نظر الاهالي انتخاب خمسة انفار من اهالي مدينة اثينا لمباشرة عمل هذا التاج والقبر وان ديوان الجمهورية ينقش هذا الحكم على عمودين احدهما بالمدرسة الافلاطونية والثاني بالمدرسة الارسطاليسية وان الدراهم اللازمة لهذا العمل كله تسلم حالا لمباشرة مصالح الجمهورية حتى يعلم كل الناس ان اهالي اثينا يشرفون ارباب الفضل احياء وامواتا انتهى وكان صدور هذا الحكم مدة ما كان اوهينيداس من ارباب

مشورة أثينا المسماة مشورة الاراخنة بعد موت زينون بمدة يسيرة هذه كيفية انتهاء اجل زينون الفيلسوف يقال انه بينما هو خارج من مكتبه ذات يوم انصدمت اصبعه فانكسرت فتفاءل من ذلك بالموت عن قرب فضرب حالا الارض بيده وقال لها اتطلبينني ها انا حاضر غير متوان ولا متأخر ولم يلتفت لمعالجة اصبعه بل تعجل الموت بخنق نفسه مع السكون والطمأنينة

وكانت مدة اشتغاله بالتعليم ثماني واربعين سنة مع الدوام بلا فتور

واما ابتداء اشتغاله بتعلم الفلسفة على اقراطيس الكلبي

فكان قبل وفاته بثماني وستين سنة

﴿ انتهى تاريخ زينون وهو آخر ترجمة كتاب الفلاسفة ﴾

فهرسة كتاب تاريخ الفلاسفة